

أعلام العرب

٥٥

الكبرى المؤرخ
أبو عمر محمد بن يوسف المصري
وكتابه الولاية والقضاة

تأليف

الكتور حسن أحمد محمود

أستاذ التاريخ الاسلامى المساعد - كلية الآداب - جامعة القاهرة

الدار المصرية للتأليف والترجمة

القِسْمُ الْأَوَّلُ
الكِنْدِيُّ الْمُتَوَخَّخُ

كندة قبيلة المؤرخ

لم تكن كندة قبيلة خاملة الذكر بين قبائل شعب كهلان أحد فروع الشجرة القحطائية العظيمة . ورغم أن علماء العربية الجنوبية لم يعثروا على اسمها بين القبائل التي ورد ذكرها في النقوش اليمنية القديمة وأن اسمها لم يرد في مؤلفات المؤرخين الاغريق والرومان ، لكن صيبتها قد ذاع في القرن الرابع الميلادي ،^١ حين عمل التبابعة ملوك حمير المتأخرين على بسط نفوذهم على طرق التجارة التي تخترق نجدا ماضية الى العراق ، فأطلقوا يد كندة وملكها حجر (آكل المرار) ليحكم باسم ملوك حمير ، وتدين له ولقبيلته بالطاعة قبائل كثيرة كأسد وبكر وتغلب وقيس وكنانة وغيرها ، ثمشى هذه القبائل الخاضعة في ركابهم تدفع الاتاوة وتستقبل الجباة الكنديين الذين يرفعون علم حمير وينشرون نفوذها .

ثم عصفت الأحداث بملك العرب الجنوبيين وتداعى النظام السياسي الذي أقامه الحميريون في شبه جزيرة العرب ، وأصبحت بلاد اليمن مسرحا لصراع دموي عنيف بين المسيحية

(١) جواد عل : تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ١٢٧

واليهودية . وأهملت المشروعات الزراعية وبدأ سد مأرب يتدعى وضاعت السيطرة على تجارة البحر الأحمر الغنية وخرجت القبائل العربية الشمالية عن طاعة ملوك اليمن ، وحاربتهم في وقائع مشهورة ثم هفت الأطماع الخارجية الى بلاد العرب ، فغزا الأحباش بلاد اليمن وسقط ملك حمير ، ومضى الأحباش يوطدون نفوذهم في بلاد العرب .

ودالت دولة كندة في غمرة هذه العواصف العاتية التي هبت على شبه الجزيرة العربية ، ولم تجد مفرا من أن تهاجر صوب الجنوب الى بلاد حضرموت . ويذكر الرواة أن نحواً من ثلاثين ألفاً من مهاجري كندة استقر بهم المقام في حضرموت في الوقت الذي ولد فيه الرسول عليه الصلاة والسلام .

وظلت كندة تعيش في مهجرها ذلك بعشائرها الشهيرة من السكاسك وبريح والسكون وأشرافها من بني تميم حتى ظهر الاسلام .

ثم ظهر الاسلام وقامت الدولة العربية الاسلامية بالمدينة . واذا بهذه القبائل تكتشف نفسها فجأة ، بعد أن انضمت الى الحلف العظيم الذي أقامه الرسول عليه الصلاة والسلام ، وجمع به شمل العرب كلهم في كيان سياسي واحد . وبدأت الجزيرة العربية تموج بطاقة روحية عظيمة وطاقة بشرية كبرى ، وبدأت تحتك بدولتي فارس وبيزنطة . وخرجت طلائع الفاتحين العرب تغزو مشارف الشام والعراق ، واذا بالقبائل اليمانية لا تتخلف عن الركب ، بل كانت في مقدمة الحركة الزاحفة ،

كانوا دائما قوات الطليعة الزاحفة في كل فتح ، فكأنهم أرادوا أن يعوضوا تخلفهم عن الزعامة السياسية بأعجاب جديدة يتوجون بها هاماتهم ، واذا باليمانية سباقين الى تعمير المدن وتمصير الأمصار والأخذ بأسباب الحضارة الجديدة ، وأكبوا الحياة الثقافية الوليدة ، ثم سبحوا على سطحها ، وكانت منهم الطليعة الأولى من رواد النهضة الفكرية التي فجرها الاسلام^١ .

ومن ثم اندفعت كندة بعشائرها وبطونها في معركة الفتح . اشترك منها مقاتلة في معارك فارس ومعارك مصر ، ولما انتهت موجة الفتح الأولى وبدأ عهد الاستقرار ، استقر مهاجرون من كندة في بلاد الشام . فقد دخل السكاسك بلاد الشام زمن الخليفة عمر ونزلوا وادي السكاسك بالأردن وهاجر البعض من كندة الى بركة وأقاموا فيها .

وارتفع شأن كندة في العصر الأموي وكان لأبنائها الصدارة في كل بلد انتقلوا اليه حتى لقد صاح هشام بن عبد الملك الخليفة قائلا : « يا لكندة » عندما لاحظ أن سادة فلسطين وحمص والجزيرة ومصر كلهم من أشراف كندة .

وحفل تاريخ مصر في صدر الاسلام بعدد كبير من أهل كندة من رجال الدولة والحرب ، وتركت كندة أثرا كبيرا في مختلف نواحي الحياة المصرية وظلوا في مصر يحافظون على تقاليدهم الأرستوقراطية العربية .

(١) منهم أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي الفيلسوف .
المهرست ص ٢٥٧

فكان منهم حجر بن عدى رسول محمد بن أبى بكر أمير مصر سنة ٣٧ هـ الى الثوار من أنصار عثمان الذين اعتصموا بخربتا ١ ، وبرز منهم فى العصر الأموى الحديجيون نسبة الى معاوية بن حديج ، وكافت أسرته من أهم أسر الأشراف فى المجتمع المصرى طوال العصر الأموى ، فقد ظهر بعد عميدهم معاوية ابنه عبد الرحمن المتوفى سنة ٩٥ هـ وكان من كبار رجال الدولة ، وولى عبد الواحد بن عبد الرحمن قضاء مصر ، وكان من أندر القضاة الذين عرفهم التاريخ فقد ولى القضاء وعمره خمس وعشرون سنة .

ولم يجهل العباسيون قدر كندة عامة والحديجيون خاصة فقد كانوا يعلمون قدر رجال هذه الأسرة الذين كانوا من أكابر المصريين ابان الحكم الأموى فأبقوا على نفوذهم وأعطوهم الأمان لما دخلوا مصر سنة ١٣٢ هـ . وقد ظلوا على حالهم فى الدولة العباسية يلون المناصب الكبرى فى كفاية واخلاص . وتولى امرة مصر عبد الله بن عبد الرحمن الحديجى (١٥٢ - ١٥٥ هـ) بعد أن تقلب فى مناصب الشرطة ابتداء من سنة ١١٩ هـ وأحمد الحركة العلوية التى تزعمها خالد بن سعيد الصدفى فى الفسطاط سنة ١٤٥ هـ . وكان أخوهما محمد بن

(١) الكندى : الولاة ص ٢٨

(٢) الكندى : الولاة ص ٨١ ، ٩٣ ، ٩٤

عبد الرحمن من أشرف مصر وقوادها وكبار موظفيها فقد تولى
لمرة مصر سنة ١٥٥ هـ ١ .

ولعب هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن دورا هاما في
قضية أهل الحرس (١٨٥ - ١٩٤ هـ) وفي الدعوة الى خلع
الأمين . وكان أخوه محمد بن عبد الله صاحب دربين بالقسطنطينية
وضيعة بالجيزة .

وبدا هبيرة بن هشام بن عبد الله حياته العامة بالاشتراك
مع أبيه في الدعوة الى خلع الأمين ، ثم ولى الشرطة ثلاث
مرات . وولى حديج بن عبد الواحد الاسكندرية سنة ١٩٨ هـ .
ووليها عمر بن هلال واشترك في الحوادث العنيفة التي قام بها
الأندلسيون وقتذاك . أما معاوية بن عبد الواحد فولى
الاسكندرية (٢٠٢ - ٢٠٣ هـ) ثم كان الرئيس العام لأهلها في
ثورة أسفل الأرض سنة ٢١٦ هـ وولى معاوية بن معاوية بن
نعيم الشرطة مرتين سنة ٢٢٦ ، ٢٢٨ هـ .

ولم يتفوق أبناء كندة في مضمار السياسة والحرب فحسب
بل أسهموا في الحركة الفكرية بنصيب كبير ويذكر الرواة منهم
أبا القاسم بن عبد الله البريحي من التابعين ، أدرك عبد الله بن
عمرو بن العاص ثم غرفة بن الحارث الصحابي الذي شهد
فتح مصر وسكنها وحدث بها . ومنهم كذلك جعفر بن ربيعة
زميل يزيد بن أبي حبيب في النظر في الفتيا في مصر . وكان أبناء

كندة عامة يأتون الى مصر ويقيمون بها اقامة مؤقتة أو دائمة
فولى اسماعيل بن اليسع الكوفى^١ قضاء مصر (١٦٤ - ١٦٧ هـ).
كما نزل حسان بن عبد الله الواسطى المتوفى سنة ٢٥٥ هـ وحدث
بها حتى وفاته .

هكذا كان الكنديون فى مصر ما بين قائد وفقية وقاض
ومحدث ولم يكن مواليهم بأقل منهم ، وظل أثر كندة بمصر قويا
حتى القرن الثالث الهجرى . وشواهد القبور تؤيد ذلك بالنسبة
الى القرنين الثانى والثالث الهجرى .



(٢)

« تجيب » عشيرة المؤرخ

تعنيانا من بين عشائر كندة العديدة عشيرة واحدة دون
سواها ، من أشرف عشائر السكون وأكثرها نفوذاً وأبعدها
صيتاً ، تلك هى عشيرة تجيب التى أنجبت مؤرخنا أبا عمر
محمد بن يوسف .

وإذا كنا قد تحدثنا بصفة عامة عن دور كندة فى الحياة
الاسلامية عامة وفى تاريخ مصر الاسلامية خاصة فانه ينبغى
أن نعطى شيئاً من التركيز على هذه العشيرة وأن نوضح الدور

(١) الكندى : القضاء ص ٣٧١ - ٣٧٢

الذى قامت به فى حياة البلاد حتى أتيح لصاحبنا أن يولد فى
حجرها عام ٢٨٣ هـ .

كانت تجيب من أسرع عشائر كندة استجابة للإسلام
حتى لقد وصفها الرسول بقوله : « أجابت الله ورسوله » ١ ،
ثم اشتركت فى أحداث الدولة العريية بعد وفاة النبى ،
واشترك فرسانها فى فتوح فارس ثم انضموا الى جيش
عمرو بن العاص وخاضوا معارك الزحف من القرما الى بلبس ،
واشتركوا فى حصار حصن بابلون ، ويبدو أنهم قاموا بنصيب
كبير فى الاستيلاء على الحصن الأمر الذى دعا شاعرها الى أن
يفخر بذلك قائلا ٢ :

وبابلون قد سعدنا بفتحها

وحزنا لعمر الله فينا ومغنا

ورافقوا الزحف العربى نحو الاسكندرية ، وشهدوا مواقع
قيوس والكريون ووقفوا حيال أسوار الاسكندرية وخاضوا
معركتها .

ويبدو أن التجيبين بعد انتهاء معارك الفتح اختاروا أماكن
خاصة ينزلون بها ويستقرون فيها مستقلين عن عشائر كندة
الأخرى فقد استقرت بعض عشائر كندة - على نحو ما ذكرنا -
فى البصرة أو الشام الا أنه لم ترد إشارة الى استقرار تجيب فى
هذه البلاد . انما استقرت غالبية التجيبين فى مصر وان كان بعض

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٨

(٢) المخطوط ج ٤ ص ٥

منهم قد استقر في جبل برقة الغربى مع غيرهم من بطون اليمانية ، ورحل قوم منهم الى الأندلس ليظهروا في أحداث عصر الخلافة وملوك الطوائف .

على كل حال اتخذت غالبية التجيية مصر داراً ومقاماً واختطوا بالنسطاط ، ومن اختط منهم قبيسة بن كلثوم الذى جاء مع جيش الفتح في عدد كبير من أهله وعبيده وخيله . وكانت خطته بجوار حصن بابليون ولكنه تنازل عن هذه الخطة دون مقابل ليبنى المسلمون فيها مسجدهم الجامع . وكانت لهم مرحلة باسمهم في الطريق الى النسطاط . وعاشوا في مصر في صدر عصر الراشدين ، كما كانت قبائل العرب تجيا في ذلك الوقت المبكر ، وكانت حياتهم قسمة بين الحاضرة وما فيها من نفوذ سياسى وبين مناطق الريف المصرى حيث ترعى ابلهم وخيلهم وسائمتهم . وذكر المؤرخون أنهم ملكوا مرتبعين : الأول كان لمعظهم في (تى الأمديد) وبسطة وأوسيم ، والثانى في البدتون (بديرية البحيرة) . والذى يلفت النظر تعدد أماكن ارتياح تجيب وتباعدها الأمر الذى يدل على كثرة عدد بطونها ووفرة ثروتهم من الابل والخيل^١ .

وانفعلت « تجيب » شأنها شأن القبائل العربية الأخرى بأحداث عهد الخليفة عثمان وشهدت نذر الفتنة تلوح في آخر عهده ، ثم شهدت ريحها بعد مصرعه تعصف بالحياة الاسلامبة ليتمد أثرها الى كل مكان استقر به العرب .

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١٤٢

ويبدو أن أغلب بني تجيب ثاروا على عثمان شأنهم شأن معظم القبائل العربية في مصر متأثرين بدعاية الجماعة التي كان ينتمى إليها ابن أبي حذيفة ، وانهى الأمر بأهل مصر أن أصبحوا من شيعة علي ، فيما عدا أنصار عثمان الذين اعتصموا بخربتنا . وكان كنانة بن بشر التجيبي^١ من أبرز الثائرين على عثمان وأحد كبار زعماء الفتنة ، فكان رأس الشيعة الأولى وأحد القواد الستة لذلك الجيش الذي سيره ابن أبي حذيفة الى عثمان . وفي زقاق زويلة بالفسطاط يقع المسجد الذي قيل أن تجيبا تعاقدت فيه علي قتل عثمان ، كما وقف فريق منهم موقفا سلبيا من اعتداء ابن أبي حذيفة على ضيفهم سعد بن أبي وقاص ، وانحازت قلة منهم الى عثمان فكافوا من شيعته ، منهم مسلمة بن مخزوم الذي أبي أن يأخذ عطاء من ابن أبي حذيفة لما اغتصب حكم مصر وذهب الى عثمان رسولا من قبل أنصاره يعصر ليخبروه بأمرهم وبصنيع ابن أبي حذيفة ومن أنصار عثمان أيضا مقسم بن بحيرة القشيري .

وإذا بالمراجع تتحدث عن أثر التجيبيية في العصر الأموي ومشاركتهم في الأحداث الكبيرة التي شهدتها ذلك العصر ، فقد تمكن معاوية من اقتزاع مصر من سلطان علي وانتقم من أهلها وقتل ثمانين من تجيب ، والأرجح أن تجيبيا ظلت في معظمها محتفظة بميولها العلوية وتأثر بعض رجالها بفكرة الخوارج التي بدأت تتسرب بعد ذلك الى مصر . واستردت تجيب رغم ذلك

(١) الكندي : الولاة ص ١٧ - ٢٠

أهميتها في الفترة الواقعة بين سنتي ٤٦ ، ٦٢ هـ ، ولا يمكن أن يغفل شأن مثل هذه العشيرة كبيرة العدد واسعة السلطان . ومما يدل على ذلك أنها كانت قريبة الى السنة الشعراء حين تحدثوا عن مصر وقد ذكرها عمران بن خطاب وهو يرحب بالخوارج من أهل العراق الذين نقاهم زياد الى مصر (٤٥ - ٥٣ هـ) ، ذكرها جميل وهو يتحدث عن بثينة حين سكنت مصر مجاورة يسكنها تجيبا . كما أن عتبة بن أبي سفيان قد استخلف منها عبد الله بن قيس على مصر فاشتد على أهلها . وليس أدل على شعور الولاة الأمويين بمكائنها وأهميتها مما كان من اعفاء مسلمة بن مخلد إياها من الأمر الذي أصدره سنة ٥٣ هـ انى القبائل بابتناء منارات المساجد .

ولم يكد ابن الزبير يظهر حتى استعلن خوارج مصر المستترون وانضموا الى ابن الزبير ، واشتركت قبائل مصر ومن بينها تجيب مع ابن جحدم والى مصر من قبل ابن الزبير ضد مروان بن الحكم . ولكن انتصار مروان أخلى السبيل للعثمانيين فغلبوا على مصر . ويبدو أن تجيبا سايرت الوضع الجديد وان كان فريق قد ظل محتفظا بوضعه الجديد . والغريب أن ميول بنى تجيب بعد ذلك قد تقلبت . فكثيرون منهم آزرروا الأمويين بعد مروان وساروا في ركابهم وتولوا وظائفهم ولعبوا دورا كبيرا في سياستهم ، وفريق آخر كان يتربص الفرص المواتية ولا يكاد يرى نذر ثورة الا واشترك فيها الأمر الذي يدل على الوزن الكبير الذي كان لتجيب في أحداث البلاد سلمها وحربها .

ومن التجيبية الذين والوا بنى أمية وأفادوا منهم عبد الرحمن ابن حسان صاحب شرطة عبد العزيز بن مروان وزياد بن حناطة (ت . ٧٥ هـ) وكان من شيعة بنى أمية وكبار موظفيهم . وكان له قصر باسمه فى خطة تجيب . وكان بنو عتاهية السعديون من كبار أنصار بنى أمية ، بل كان عبد الرحمن بن يحيى قاتل ابن الزبير من مواليهم ^١ ، ومنهم حسان بن عتاهية الصغير الذى ولى مصر عام ١٢٧ هـ ، وقيس بن الأشعث من كبار الموظفين بمصر سنة ١٢٤ هـ .

وثمة فريق آخر من التجيبية اختاروا خط الثورة على الأمويين ومضى فيها حتى غايتها ، فقد اشتركوا فى ثورة الاسكندرية على قرّة بن شريك عام ٩١ هـ ، وتزعم هذه الثورة ابن أبى أرطاة أحد سعاة الاسكندرية والمهاجر بن أبى المشنى التجيبى ، ولما قتل والى الوليد بن رفاعة وهيبا الشارى سنة ١١٧ هـ ثار القراء عليه وحاربوه بزعامة واحد من تجيب هو شريح بن صفوان وكان من ضحايا هذه الثورة أبو زرعة المحدث مولى تجيب ، وفى سنة ١٢٩ - ١٣٠ هـ بايع بعض التجيبية الثائر الاباضى عبد الله بن يحيى طالب الحق . واذا بالحوليات تظهر استمرار نشاط التجيبية فى الأحداث السياسية فى مصر فى العصر العباسى الأول ، اذ تذكر منهم العباس بن عبد الرحمن صاحب شرطة مصر سنة ١٥٥ هـ وسالم بن غيلان (١٥٣ هـ) من أشهر

(١) الكندى : الولاة ص ٥١ ، ٢٢١

قواد البحرية المصرية وعبد الله بن المهاجر الذي أخذ ثورة القبط عام ١٥٦ هـ ، وخالد بن الوليد (١٦٨ هـ) الذي كان من رجال الدولة البارزين ويوسف بن نصير (١٦٨ هـ)^١ من قواد دحية الثائر الأموي . واذا بفريق من تجيب ينضم الى السرى بن الحكم سنة ٢٠٢ هـ ضد الثائرين على المأمون وولى عهده العلوي ، وعبد العزيز بن سويد وكان شريفاً ومن كبار الموظفين .

ثم صممت المصادر عن النشاط السياسي لبنى تجيب منذ عصر الخليفة المعتصم فصاعداً . اذ يبدو أن ما عمد اليه المعتصم من اسقاط العرب من الديوان قد أفقد التجيبية خاصة والعرب عامة ذلك الوزن السياسي الذي حافظوا عليه منذ الفتح . ذلك أن الدولة عملت منذئذ على استخدام الترك في قواتها المسلحة . وانصرفت الكثرة الكثيرة من القبائل العربية في مصر الى الريف المصرى تستقر فيه وتمارس الزراعة أو التجارة وتختلط بالمصريين . ولم نجد في المصادر ما يدل على أى نشاط سياسى يذكر لبنى تجيب حتى قامت الدولة الطولونية ومولد المؤرخ أبو عمر محمد بن يوسف عام ٢٨٣ هـ .

ولم يقم التجيبيون بدور بارز في أحداث مصر السياسية على النحو الذى ييناه فحسب ، بل تكشف كتب التراجم والطبقات عن دورهم العظيم فى تاريخ الحياة الفكرية فى البلاد ،

(١) الكندى : الولاة ص ١٢٦ ، ١٢٨

فكان منهم الكثيرون من أعلام مدرسة القسطنطينية المصرية وكان منهم كثيرون من الصحابة والتابعين والقضاة والفقهاء والرواة والشعراء فقد شاركت في الحياة الفنية بشعراء ثلاثة هم : أبو قبان وسعيد بن شريح وأبو شبيب . بل نستطيع أن نتبع مساهمة التجيبيية في علوم الدين منذ مستهل القرن الأول الهجري حتى العصر الذي ولد فيه المؤرخ . منهم سليم بن عتر قاضي مصر (٧٥ هـ) . وعمار بن سعد التابعي (١٠٥ هـ) وحرملة ابن عمران المحدث المصري (٨٠ - ١٦٠ هـ) وحبيب بن الشهيد (١٠٩ هـ) من أئمة مصر المجتهدين وفقه طرابلس والمغرب وسعيد بن سامة بن مخزومة (١٥٢ هـ) من محدثي مصر ، وحرملة ابن يحيى الفقيه الكبير صاحب الشافعي (١٦٦ - ٢٤٣ هـ) ، وكان من أهم الشخصيات العلمية في مصر ، ومحمد بن مسروق القاضي (١٧٧ - ١٨٤ هـ)^١ وسليمان بن يحيى بن وزير وأبو زرعة المحدث الذي قيل انه قتل في فتنة القراءة (٢١٧ هـ) وأحمد بن يحيى بن وزير (١٧١ - ٢٥٠ هـ) من فقهاء مصر وعلمائها الكبار ويحيى بن السائب الذي روى عن مالك وابنه شعيب (٢١١ هـ) وكان رجلا صالحا غلبت عليه العبادة ويحيى ابن عبد الله صاحب مسائل العمري قاضي مصر (١٨٥ - ١٩٤) وإبراهيم بن عبد الله الخفاف المحدث (٢٠٥ هـ) ومحمد بن رمح الحافظ (٢٤٢ هـ) وعبد ربه بن خالد (٢٥٩ هـ) من الرواة

(١) الكندي : القضاة ص ٢٨٨ - ٢٩٢

وعبد الوهاب بن خلف المحدث المصري (٢٧٠ هـ) وسليمان بن برده الفقيه وابنه أحمد (٢٥٧ هـ) وحفيده القاسم بن حبيش وحفيده أيضا أحمد بن الرقاع (٢٨٦ هـ).

هكذا نستطيع أن نجزم بأن تجيبا كانت من قبائل مصر البارزة التي أثرت في مجرى الأمور بها وتركت طابعها في كثير من جوانب حياتها، وفي مصر طوال القرون الثلاثة الأولى تطالعتنا أسماء الكثيرين من الصحابة والتابعين والأمراء والموظفين الكبار والقادة والقضاة والفقهاء والرواة والشعراء والشوار، وشواهد القبور تشير إلى كثرتهم بمصر في القرن الثالث والرابع الأمر الذي يدل على أنهم أفلحوا في الاحتفاظ بوزنهم حتى ذلك الحين.

(٣)

الكندي المؤرخ

مولده - نشأته - عصره

والمؤرخ الذي نعرف به وبكتابه يسوق الرواة اسمه على هذا النحو: أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص بن يوسف التجيبي الكندي المصري. وقد ظن البعض ومنهم المؤرخ ابن خلكان أنه قد يكون حفيد الفيلسوف الكندي المعاصر للمأمون والذي توفي عام ٢٦٠ هـ وكان اسمه أبو يوسف يعقوب ولكن الفيلسوف الكندي لم يكن من تجيب إنما كان

من عشيرة أخرى من عشائر كندة التي استقرت بالعراق .
ويجمع المترجمون له ونخص بالذكر منهم ابن ميسر وأبو محمد
عبد الله بن أحمد الفرغاني على أنه ولد سنة ٢٨٣ هـ وتوفي في
رمضان سنة ٣٥٠ هـ . فهو اذن ينحدر من عشائر كندة التي
تدفقت على مصر بعد الفتح وشاركت في أحداثها السياسية
وأثرت في حياتها الاجتماعية والثقافية على النحو الذي رأينا .
كما أنه من ذلك الجيل من العرب الذين عاشوا في مصر أواخر
القرن الثالث الهجري^١ .

وانطلقوا الى الريف وخالطوا أهل البلاد الذين دخلوا في
الاسلام وبدأوا يحسون أنهم يمتون بأوثق صلة بهذه الأرض
التي عاشوا فيها هذا الدهر الطويل . وأن صلتهم بهذه الأرض
الطيبة أقوى من صلاتهم بأعراقهم القديعة في أرض العرب وأنهم
فوق تشبثهم بأنسابهم العريية يتمسكون بنسبهم المصري ،
يظهر هذا واضحا من شواهد هؤلاء العرب الذين دفنوا بمصر
ثم من لقب المصري الذي يحرص عليه الكندي كل الحرص على
سبيل الاعتزاز والفخر . ثم انه عاش سبعا وستين سنة من تاريخ
البلاد ولا شك أنه تأثر بهما أشد التأثر ، بل كان ثمرة من ثمارها .
فعم تأثر الكندي بالأحداث السياسية التي سمع بها وليدأ
وعاصرها شابا وشيخا الى أن قبض . ونكاد نلمح في كتاب
الولاية والقضاة صورة حية من انفعاله بأحداث العصر الذي

(١) ترجمة المصنف - مقدمة الكندي : الولاية والقضاة ص ٤ - ٥

عاش فيه وذلك من حديثه عن انقراض دولة بنى طولون ،
وكأنى به يعقد المراثى الطوال لهذا العز الزائل والمجد المولى
فيذكر في أحداث سنة ٢٩٢ « ... ثم أخرج ولد أحمد بن طولون
وهم عشرون انسانا ... وأخرج منها قواد بنى طولون ومواليهم
وقتا بعد وقت فلم يبق منهم أحد يذكر فخلت منهم الديار وعفت
منهم الآثار وتعطلت منهم المنازل وحل بهم الذل بعد العز
والتطريد والتشريد بعد اجتماع الشمل ونصرة الملك ومساعدة
الأيام » ١ .

ونراه يعدد الشعراء الذين رثوا الدولة ويورد نماذج
من شعرهم وأحيانا يورد القصائد كاملة وكأنها تعبير عن
احساسه ، فقد نقل قصيدة لأحمد بن محمد الحبشي وذكر
منها نحواً من اثني عشر بيتاً ، كما نقل شعراً لأحمد بن أبي
يعقوب ولاسماعيل بن هاشم ولسعيد القاص وشعراً آخر
لمحمد بن طشويه الذي رثا الميدان الذي أنشأه بنى طولون
وأمر بهدمه الحسين بن أحمد سنة ٢٩٣ هـ ، وكذلك أبيات أخرى
لأحمد بن اسحق الحكر ، كما تأثر كذلك بحياة العرب في مصر
آخر القرن الثالث الهجري وبنمو مدرسة القسطنطينية وتفوقها
وبالاتجاهات التي وضحت فيها وكان هو صورة من اتجاهها .
ولعل مزيداً من الفهم لحياة المؤرخ نفسه قد يتأتى من عرض
سريع لأهم الاتجاهات التي حفل بها عصره . لقد شهدت
السنوات التي عاشها الكندي في مصر تطورات سياسية خطيرة

(١) الكندي : الولاة ص ٢٤٨

شملت العالم الاسلامى كله وتركت آثارا عميقة فى جميع
الأمصار الاسلامية .

ومن أهم ما تميز به ذلك العصر وكان له أثره الواضح فى
تاريخ مصر الاسلامية ما تناقله المؤرخون المعاصرون من عدوان
على أشخاص الخلفاء بالسجن أو التعذيب أو العزل أو على
سلطانهم بالسلب والتضييق . وكان الخليفة لم يأمن على نفسه
فحسب بل ان منصب الخلافة فقد ما كان له فى النفوس من
الهيبة والقداسة . وكان الصورة المثالية للخلافة الاسلامية التى
ازدهرت فى العصر العباسى الأول قد تحطمت وتلاشت وخضع
سلائل العباسيين وذلوا للترك يستبدون بهم ويتحكمون فيهم^١ .
وليس أبلغ فى تصوير ما انتهى اليه نظام الخلافة من ضعف
وما وثب اليه الأتراك من نفوذ قول بعض الخلفاء لأحد خاصته :
« كأنى بالناس يقولون أرضى هذا الخليفة بأن يدبر أمره عبد
تركى حتى يتحكم فى المال وينفرد بالتدبير ولا يدرون أن هذا
الأمر قد أفسد من قبلى ، وأدخلنى فيه قوم بغير شهوتى
فسلمت الى قوم يتسحبون على^٢ ويجلسون فى اليوم مرات
ويقصدوننى ليلا ويريد كل واحد منهم أن أخصه دون صاحبه
وأن يكون له بيت مال خاص . ويتعدى الواحد منهم أو من
أصحابهم على بعض الرعية بل على أسبابى وأمر فيه بأمر فلا

(١) حسن احمد محمود : حضارة مصر الاسلامية ص ١ - ٢

يَعْتَل ولا ينفذ .. وأكثر ما فيه أن يسألني كلب من كلابهم
فلا أملك رده وان رددته غضبوا وتجمعوا وتكلموا ... »^١ .
بل تجاوز نفوذهم حاضرة الخلافة وتطاول الى الأقاليم فكان
الولاية يختارون اما من طبقتهم أو المقربين منهم . وها هو
الكندي نفسه في حوادث سنة ٢٣٨ هـ يقول : « وكان عنيسة
آخر من وليها من العرب »^٢ ويعدد من أمراء الترك حتى قدوم
أحمد بن طولون يزيد بن عبد الله التركي ومزاحم بن خاقان
وأحمد بن مزاحم وأزجور التركي . فلم يكن الأمر اذن ضعف
خلفاء بقدر ما كان ضعف النظام الخلافي نفسه فقد حفل هذا
العصر بطائفة من الخلفاء لو كان زمانهم قد تقدم بهم لما كانوا
أقل من المنصور أو الرشيد أو المأمون . كما أن هذه الخلافة
المتهاوية نحو الضعف وهي تناضل من أجل الاحتفاظ بالنفوذ
الذي فقدته شغلت بمشاكل اقتصادية واجتماعية عميقة قدر لها
أن تشل حركتها وتشغل عليها تفكيرها .

والأمصار الاسلامية التي كانت في عصر الراشدين والأمويين
وصدر بنى العباس تخضع للسلطة المركزية في المدينة أو دمشق
أو بغداد وتستلهمها التوجيه وتوفد اليها الحاضرة ولاة أو
عمالا تطول اقامتهم أو تقصر ، شهدت خروجا على هذه المركزية
وشهدت عمالا لا تطول اقامتهم أو تقصر انما يورثون الملك
ويظفرون باستقلال محلي للبلاد التي يظهرون فيها .

(١) الطبرى ج ٧ ص ٤٠٩

(٢) الكندي : الولاية ص ٢٠٠

ولد الكندي في هذا الجو المشحون بالتطور الحافل بالأحداث ، فقد وفد أحمد بن طولون الى مصر وأتخذ البلاد من الفوضى والاضطراب وتمكن من النفوذ والسلطان وأصلح الأحوال الاقتصادية وأسس مدينة القطائع ومسجدها الجامع وأنشأ القوات المسلحة التي تدين له بالطاعة والولاء ، ولم يتردد في أن يتصدى للموفق أخى الخليفة العباسى وأن يقف في وجهه دفاعاً عن نفوذه وسلطانه ، وانطلقت قواته تؤكد نفوذ مصر في بلاد الشام وحاول أن يستضيف الخليفة العباسى في مصر وأن ينقذه من أخيه الذى لاحقه بالاستبداد والاضطهاد . ومضى الى آسيا الصغرى مجاهداً وحسن الثغور ودافع عن حدود دار الاسلام . ولم تعد مصر في عهده ولاية خاضعة انما أصبح أمرها بيدها ووفد اليها العمال والتجار تنفيأون ظل بنى طولون ثم خلفه ولده خمارويه فازدهرت القطائع وتألفت الحياة الاجتماعية وغلب الاستقرار وهدأت ريح الفتنة وانطلق في نفس الطريق الذى انطلق فيه أبوه . واعترفت الخلافة بشرعية حكمه ، ثم تداعت الدولة الطولونية وتفككت أوصالها ، ولم تجد الخلافة التى كانت قد صحت من غفوتها الى حين ، بدا من أن تخضع الطولونيين بالقوة المسلحة فكانت حملة محمد بن سليمان الكاتب والقضاء على الطولونيين وتخريب القطائع واخضاع مصر لسلطان الخلافة المباشر حتى سنة ٣٢٣ هـ .

ولكن الاستقلال لم يكن بالتجربة العارضة غير ذات الجذور ولكنه كان متصلاً في نفوس المصريين ، فقام محمد

ابن طنج بنفس الدور الذي قام به أحمد بن طولون من قبل
وإستقل بالبلاد وأصلح أحوالها وأنشأ القوات المسلحة واقتنى
آثار بنى طولون ثم دب الضعف في أوصال الأخشيديين في
مصر في الوقت الذي كان فيه الكندي يغالب سكرات الموت ،
وثمة تطورات أخرى اجتماعية عاصرت ظهور الكندي
ونشأته ، ذلك أن النصف الأول من القرن الثالث الهجرى شهد
انتشارا للإسلام على أوسع مدى ، وشهد حركة اسلامية بعيدة
الأثر ظهرت آثارها في أكثر من ناحية ، ويمكننا أن نسوق لتأييد
ذلك أكثر من دليل ، ففي ذلك الوقت على وجه التحديد
انخفضت مقادير الجباية من الجزية المفروضة على غير المسلمين ،
تتضح هذه الحقيقة من الاحصائية التي أوردها المقرئى في
كتابه الخطط^١ ، والتي تشير الى تناقص مطرد في مقادير الجباية
كلها .

ومعنى هذا كله ازدياد عدد الداخلين في الاسلام حتى ان
الجزية بدأت تختفى كباب من أبواب الإيرادات . وفي هذا
الوقت أيضا خفتت ثورات المصريين التي ظلت منذ أواخر القرن
الأول الهجرى تظهر ثم تختفى ثم اختفت تماما فلم يعد لها ذكر :
« ومن حينئذ ذلت القبط في جميع أرض مصر ولم يقدر أحد
منهم بعد ذلك على الخروج على السلطان وغلبهم المسلمون على
عامة القرى »^٢ .

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٤٩٤

(٢) نفس المصدر والصفحة .

ولا يفوتنا أن نشير الى ما تظهره الوثائق المعاصرة من غلبة المسلمين على وظائف العمدة في البلاد « نزع موازيت القبط عن الكور واستعمل المسلمون عليهم »^١. ثم تأكد هذا التطور في العصر الطولوني فلم نسمع بثورة قام بها المسيحيون أو بمقاومة الدولة لتيار مسيحي قوى ، ولم نجد فيما ذكرم البلوى وابن الداية أو غيرهم من مؤرخى العصر الطولوني أية اشارة الى الجزية كمورد مهم من موارد الدولة .. ونكاد نحس من النذر القليل من الوثائق التى بين أيدينا أن المجتمع الاسلامى في عصر الطولونيين لم تتحدد معالمه بصورة قاطعة ، انما كان لا يزال في طريقه نحو التطور ، فأوراق البردى التى ترجع الى العصر الطولوني تشير الى قوم أسلموا وما زالوا يحتفظون بنسبهم المسيحي الى جانب أسمائهم المصرية كما تشير هذه الوثائق الى ظاهرة زواج الذميات بالمسلمين وهى ظاهرة شاعت في ذلك العصر الى حد بعيد^٢.

وكان هذا العصر أيضا مرحلة هامة في تاريخ القبائل العربية في مصر ، هذه القبائل التى كان تيارها الدافق ينفذ الى البلاد منذ الفتح العربى حتى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى الذى كان عصر اضطراب في حياتهم بعد حرمانهم من العطاء في عهد المعتصم ، وبعد المعارك العنيفة التى نشبت بينهم

(١) الكندى : الولاة ص ٦٩

(٢) جروهان : اوراق البردى العربية ج ١ ولبقة ٤٨

وبين ولاية بنى العباس وأريقت فيها دماؤهم وفقدوا زهرة شبابهم ولم يجدوا بدا من الرضوخ للأمر الواقع .

وبقيت بعض سلالتهم بالنسب طوال العصر الطولوني غير أن الغالبية العظمى من القبائل العربية كانت تنزح الى الصعيد نزوحا مستمرا ثم تتجه الى حدود النوبة . ويبدو أن كثيرا من هذه القبائل العربية النازحة قد تركزت في عهد بنى طولون في منطقة الصعيد الأعلى . ونعتقد أنها كانت من وراء الفتن والثورات الداخلية التي شهدتها العصر الطولوني الأول . وكانت هذه القبائل في بداية اختلاطها بأهل البلاد واستقرارها بريف مصر ، الدليل على هذا ما ورد في كتاب المكافأة ١ من ميث العرب القيسية بمديرية بنى سويف وامتداد نفوذهم حتى الجيزة . وكان القيسيون قد تركزوا في منطقة الحوف منذ أيام مشام بن عبد الملك ، والرحلة التي قام بها ابن الداية من مدينة هناس حتى الجيزة واختراقه مضارب الأعراب تدل على أنه إن اخترق ديار جماعات لم تكن قد استقرت استقرارا كاملا إنما كانت تحترف السلب والنهب وتفرض الاتاوات على لسافرين وتقوم بخفارتهم وتأمين تنقلاتهم .

على أن ثمة وثائق أخرى تدل على استقرار فريق من العرب ، بعض مدن مصر واستطابتهم الحياة المدنية ، ولم يكن البيت لدى ولد فيه محمد بن يوسف الكندي من العرب الذين رحلوا

(١) ابن الداية ص ٣٧ .

الى الريف بل كان من العرب الذين اختاروا الفسطاط داراً
ومقاماً ونعموا بما وفره الطولونيون للبلاد من هدوء واستقرار .
والقرن الثالث يحتل مكاناً فريداً من تاريخ الثقافة العربية
في مصر اذ يمثل بداية النهضة الفكرية التي شملت المدارس
الاسلامية كلها . فقد قطعت حركة الترجمة الى العربية أشواطاً
في طريق التقدم وبدأ العرب يردون موارد الفكر القديم ولاحت
معالم الامتزاج بين الثقافات العربية الأصيلة وبين هذه الثقافات
العريقة . وبدأت تظهر ثمار هذا الامتزاج بظهور معارف لم يكن
للرب بها عهد من قبل واقبالهم على منابع فكرية لم يسبق لهم
أن وردوها ، ولاحت في كتب ذلك العصر ثمرة النهضة الجديدة ،
وفشت هذه النهضة مع انتشار الاسلام على نطاق واسع لم
يشهده العالم الاسلامي من قبل . وغلبت الصبغة الاسلامية
على الأمصار المفتوحة وبدأ المسلمون يلائمون بين تراثهم القديم
الموروث وتراثهم الجديد المكتسب . وشهد هذا العصر ظهور
الامارات المستقلة فتنافست في ميدان العلم والمعرفة . ودبت
النهضة في الأمصار الاسلامية كلها وظهرت مدارس محلية تنافس
مدارس الحاضرة في نشاطها ونتاجها .

ولم يكن من المعقول أن تقف مصر بمعزل عن هذه النهضة
الفكرية فقد كان العصر الطولوني يمثل مرحلة تطور هامة يمكننا
أن نحدد معالمها .

فقد قام الطولونيون بنفس ما قام به الأمراء المستقلون من
تشجيع الحركة العلمية بقدر ما يستطيعون ومن بضيوزة بلاطهم

المزدهر وحياتهم الاجتماعية المترفة وغناهم الموفور قبله
الراجلين والوافدين من حاضرة الخلافة ومن أدلائهم يدلوهم في
ميدان هذه المنافسة الثقافية المحيية التي كانت من أهم عوامل
اذكاء هذا التيار الفكرى الدافق ، وفيما كتبه مؤرخو العصر
الطولونى اشارات كثيرة الى تشجيع الطولونيين للعلوم الدينية ،
فقد عنى أحمد بن طولون على وجه الخصوص بحفاظ القرآن
وجعل المسجد الطولونى بعد انشائه مكانا لرواية الحديث
ودراسته ، واذا كان ابن طولون قد مد يد المساعدة لفقهاء
الشافعية فقد كان يحضر مجالس فقهاء الحنفية بنفسه . ولم
يقتصر تشجيع الطولونيين على العلماء المقيمين بمصر بل امتد الى
العلماء الوافدين لتلقى العلم أو التدريس في مدارس مصر ،
كما أسهم الطولونيون في تشجيع الشعر والشعراء استدرارا
للمديح واستخداما لأقلام الشعراء ومساهمة في المنافسات
الأدبية التي شاعت في ذلك العصر ، فالمقرئى ينقل عن النابلسى
قوله : « انه رأى كتابا قدر ١٢ كراسة بها فهرست شعراء
الميدان »^١ . ويرجع الى الطولونيين الفضل أيضا في تشجيع
الكتابات الديوانية باثشاء أول ديوان للانشاء في مصر ، وحفل
العصر الطولونى بطائفة من أئمة الكتاب ومشاهيرهم ، روى
القلقشندى أن أهل بغداد^٢ : « كانوا يحسدون أهل مصر
طبطن المحرر وابن عبد كان ومعين كاتب الانشاء لابن طولون

(١) الخطط ج ١ ص ٢٦٠

(٢) صبيح الاعشى ج ١ ص ٩٥

ويقولون بمصر كاتب ومحرم ليس لأمر المؤمنين بمدينة السلام،
مثلهما» .

ومن ملامح هذه النهضة أيضا أن مدارس مصر الإسلامية
اشتد رسوخ قدمها في هذا العصر ولاحت نذر استقلالها عن
المدارس الإسلامية الأخرى وبرزت في ميدان الدراسات
الإسلامية وأصبحت مركزا من مراكز الحياة العقلية .

ونعتقد أن الدراسات الفقهية في مصر قطعت شوطا أبعد
مما قطعت في العهد السابق . شهد العصر السابق وفود الامام
محمد بن ادريس الشافعي واقامته في مصر كما شهد ميلاد
المذهب الشافعي . أما هذا العهد فقد شهد ثبوت هذه القدم
وصمود هذا المذهب للمناقشات الفقهية جميعها . يدل على هذا
ذلك الصراع العنيف الذي ثار بين فقهاء المالكية والشافعية
واشتداد النزاع بين المدرستين حتى اقتتلا في المسجد العتيق .
على كل حال هيأت الشافعية جوا جيدا لم تعهده مصر من قبل
اذ استطاعت أن تنافس المذاهب الأخرى وأن تناظرها ، وأخذ
المصريون يؤلفون كتباً في المذاهب والدفاع عنها وأخذوا عن
الشافعي طريقته في الكتابة العلمية . وكتب التراجم تعطينا
صورة طيبة لانتشار المذهب الشافعي في مصر في العصر
الطولوني وتحدث عن كثرة التلاميذ الذين تبناوا هذا المذهب
بل تسلل الشافعية الى منصب القضاء ، كما وفد مذهب
أبي حنيفة وارتفع شأن المالكية وبرز منهم محمد بن عبد الله
ابن عبد الحكم الذي اتهم اليه رياسة المالكية في ذلك العصر

وقصده الناس من كافة البلاد وحضر اليه الطلاب من المغرب والأندلس . وقد أضاف أحمد بن طولون حمايته وعطفه على هذه المدارس الفقهية على قدم المساواة .

ووضع ازدهار الدراسات اللغوية في العصر الطولوني على يد الوليد بن محمد التميمي النحوي المعروف بولاد . نشأ في مصر ورحل الى العراق ثم عاد الى مصر ووضع كتاب « المنطق في النحو » ، توفي سنة ٢٦٨ هـ ، وأنجبت المدرسة اللغوية أيضا أحمد بن جعفر الدينوري صاحب كتاب « المهذب في النحو » وأبا جعفر النحاس أحمد بن محمد بن اسماعيل صاحب كتاب «معاني القرآن ومنسوخه» ، ويضيف ابن خلكان الى هؤلاء محمد بن حسان النحوي الذي روى النحو عن أبي زرعة المؤذن ، وروى عن عبد الملك بن هشام مغازي بن اسحاق سنة ٢٩٢ هـ .

والقرن الثالث هو العصر الذي خطا فيه تدوين التراث العربي خطوات بعيدة المدى وظهرت الدراسات التاريخية على يد الطبري والبلاذري متممة بطابع أهل الحديث من الدقة واثبات السند والتخرج في الرواية ، وقد شاركت مصر في هذه النهضة التاريخية بظهور عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم وأحمد بن يوسف بن ابراهيم المعروف بابن الداية .

وقد شهد العصر الطولوني أيضا شيوع الثقافة في مصر كلها . فلم تعد هذه الدراسات العربية مركزة في المدارس التقليدية في القسطنطينية والقطنانج والاسكندرية ، انما أوغلت هذه الثقافة

في الدلتا والصعيد وظهرت مراكز اقليمية أخرى أسهمت في هذه النهضة الفكرية ، فالأدقوى^١ يشير الى من يسمى قحزم ابن عبد الله الذي سكن أسوان وكان فقيها شافعيًا بل كان من عمد الدراسات الاسلامية في أسوان ، ويشير كذلك الى محمد ابن أحمد بن ربيعة بن سليمان فقيه أسوان الذي مات بعد سقوط الطولونيين ببضع سنوات .

وامتدت هذه النهضة الى الأدب شعرا ونثرا ، اذ بدأ لشعر يتخذ طابعا اقليميا وبدأ يختص بالبيئة المصرية ويعبر عن مشاكلها ويصف معالمها ويترجم عن حياة أمرائها وظهر الأدب المصرى على العموم مصطبغا بالصبغة المصرية الخالصة . كما شهدت مصر في العصر الطولونى ألوانا من العلوم التى شاعت في ذلك العصر مثل علم الكلام والطب .

ولم تتوقف مدرسة الفسطاط نموا وتطورا وانطلاقا بعد زوال الطولونيين فقد انطلقت أيضا في عصر الاخشيديين وبرع المصريون في علوم القرآن والحديث وألّفوا كتبا كثيرة في القراءات ، فذكر منها على سبيل المثال كتاب « اختلاف القراءات السبعة » لأحمد بن أسامة التميمى المتوفى سنة ٣٤٢ هـ ، وكتاب التذكرة في القراءات لعبد الجبار أحمد المتوفى سنة ٤٢٠ هـ ، واستملت علوم القرآن في مصر على النحو الذى عرف عند جمهور المسلمين من تفسير ومعرفة أسباب النزول والناسخ

(١) الطالع السعيد ص ٢٥٩

والمنسوخ ، وما فى القرآن الكرىم من أحكام وما فى أسلوبه من اعجاز وكثرت المؤلفات فى ذلك كله . ونذكر على سبيل المثال كتاب تفسير القرآن » وكتاب الناسخ والمنسوخ لأبى جعفر النحاس المصرى وكتاب اعراب القرآن لأبى الحسن عامر بن ابراهيم الحوفى وغير ذلك من التصانيف التى وضعها المصريون . وفى الفقه برز محمد بن سليمان المعروف بأبى بكر النعال الذى كانت له رياسة المالكية فى عصره وكانت حلقتة فى المسجد الجامع — على نحو ما يذكر الرواة — تدور على سبعة عشر عموداً لكثرة الطلاب الذين قصدوا للأخذ عنه وتوفى سنة ٣٨٠هـ ، ومنهم أبو القاسم الجوهرى عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى المصرى صاحب مسند الموطأ والمتوفى سنة ٣٨٠ هـ ، وعلى بن الحسن بن محمد بن العباس الفهرى صاحب كتاب فضائل مالك . ونحن نعرف قصة الفقيه المالكى عبد الوهاب بن على أحد الأئمة المجتهدين فى فقه مالك والذى وصفه صاحب تاريخ بغداد بأنه لم ير فى المالكية أفقه منه ، وقد وفد على مصر لضيق ذات يده فأكرمه المصريون . وشمل هذا التطور العلوم الأخرى كعلوم النحو واللغة ويكفى أن علم التاريخ انطلق انطلاقته الكبيرة على يد مؤرخنا أبى عمر الكندى .

الخلاصة أن عوامل هامة قدر لها أن تؤثر فى حياة الكندى وفى نشأته منها الاستقلال السياسى والرشاء المادى الذى صحب قيام الدولتين الطولونية والأخشيدية ، وما كان من تشجيع هؤلاء الأمراء للحركة العلمية بكل سبيل ، ثم ذلك التطور

الذى خضعت له القبائل العربية في مصر منذ أيام المعتصم واختلاطها بالمصريين وشعورها بنفخ الانتساب الى الأرض التي استقروا بها ثم استقلال مدرسة الفسطاط وتميزها بطابع خاص في الفقه وعلوم القرآن والحديث وشدت اليها الرحال من مختلف أنحاء العالم الاسلامي التماسا لرواة الحديث بها . وقد جاء النسائي نفسه الى مصر مرتين مرة قبل عام ٢٤٨ هـ ثم مرة أخرى عام ٣٠٣ هـ أي قبل وفاته بسنة واحدة .

في هذه البيئة التي شهدت كل هذه التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولد محمد بن يوسف بن يعقوب عام ٢٨٣ هـ — على نحو ما ذكرنا — في بيت شريف من بطون عشيرة تجيب التي آثرت اذ ذلك ألا تنتقل الى الريف على نحو ما فعلت أغلب القبائل العربية ، انما أقامت بالفسطاط لتنفيذ مما شاع فيها من طمأنينة واستقرار في عهد الطولونيين . وكان بيته من البيوت العربية التي أسهمت بنصيب في الحركة العلمية وتفوق أفراده في علوم القرآن والحديث ، فقد كان عمه الحسين ابن يعقوب أحد مشاهير رواة الحديث في مصر وبرز ابنه عمر فألف كتابا أسماه فضائل مصر أمر بجمعه كافور الأخشيد (١) . ومن الغريب أن مثل هذا المؤرخ لا يكتب الرواة عن حياته الا النذر اليسير حتى اكتنفها الغموض ولا يستطيع المرء أن يعرف الكثير عن ظروف نشأته الأولى . وكانت طفولة الكندي

(١) وهو الكتاب الذي قلنت بنشره :

لا تختلف كثيراً عن طفولة أترابه من العرب الذين نشأوا في
الفسطاط في ذلك العصر ، فقد أقبل على حفظ القرآن ولكن
يبدو أن الكندي قد وجه بصفة خاصة الى علوم الحديث التي
تفوقت فيها أسرته منذ زمن بعيد . وكان الأولاد بعد أن يحفظوا
القرآن يرسلون الى رواة الحديث المشاهير يسعون منهم
وينقلون عنهم . حكى ابن زولاق عن ابن الحداد قال : « منعنى
أبى من سماع الحديث قبل أن أستظهر القرآن حفظاً فلما
حفظته قال لى : خذ المحفظة واذهب الى يعقوب بن ابراهيم
الدروقى فاكتب عنه فتوجهت فاذا الناس يقولون : مات يعقوب
الدروقى »^١ .

ومعنى هذا أن دراسة الحديث لم تكن تبدأ قبل حفظ
القرآن ولا قبل سن التاسعة .

وقد تلقى الكندي علوم الحديث على علمين بارزين من
أعلام عصره ، على راوية معروف هو عامر بن الحسن بن خلف
وأبو القاسم الأزدي الملقب بابن قديد ، وقد ولد ابن قديد
سنة ٢٢٦ هـ وتوفي سنة ٣١٢ هـ والكندى فى التاسعة والعشرين
من العمر . وفى الوقت الذى زار فيه الرحالة ابن دقماق مصر عام
٣١١ هـ كان ابن قديد قد احتل فى الفسطاط منزلة عظيمة .
ويبدو أن الكندي قد اتصل بابن قديد اتصالاً وثيقاً ، ويكفى
أن الكندي روى عنه أكثر الأحاديث التى وردت فى كتاب
الولاية والقضاة وهو الذى يحتل المقام الأول بين رواة الكندي .

(١) الكندي ص ٥٢٣

وروايات ابن قديد في الواقع تستمد من مصدرين : من ابن عفير وابنه عبد الله ، ثم يحيى بن عثمان بن صالح . ثم ذاعت شهرة الفسطاط وارتحل اليها الناس طلبا للحديث ، ويكفي أن نذكر أن البخارى نقل في تفسيره وتاريخه كثيراً عن الصحيفة المصرية في التفسير ، وأن الطبرى نقل الشطر الأكبر عنها في تفسيره والصحيفة المصرية شاد بها عدد من العلماء ، فقال الامام أحمد بن حنبل في مسنده : « بمصر صحيفة في التفسير لو رحل رجل فيها الى مصر قاصدا ما كان كثيراً » ، لهذا وفد النسائي الفارسى^١ مؤلف أحد الصحاح الستة في الحديث على مصر ليرد مورد الفسطاط ويقرأ صحيفتها ويلتقى بمحدثيها . وقد زار مصر للمرة الأولى عام ٢٤٨ هـ ثم جاء مرة أخرى وبقي فيها حتى عام ٣٠٢ هـ . وقد التقى الكندى بالنسائي عندما جاء الفسطاط للمرة الثانية وكان الكندى في السابعة عشرة من عمره ، ويبدو أن الكندى أرسل للسمع من النسائي لكنه لم يتصل به اتصالاً وثيقاً . ولم يكن من أتباعه المقربين . فقد كان الكندى حنفى المذهب ، والنسائي شافعيًا ، وكانت للنسائي ميول علوية ظهرت في كتابه الخصائص ، ويقال انه لقي حتفه ببلاد الشام لهذا السبب . ويبدو أن الكندى تأثر على نحو ما بنظرة النسائي الى الشيعة رغم تمسكه بمذهب أبي حنيفة . وكان صديقه القاضى محمد بن أحمد بن الحداد

(١) أحمد بن شعيب ، أبو عبد الرحمن .

الكندى صفحات ٥ ، ٥٢٤ ، ٥٥١ ، ٥٥٦ ، ٥٦٥

شافعى المذهب ولكنه علوى الهوى يحدث بكتاب خصائص النسائى « فحكى أنه كان فى مجلس أبى القاسم بن الأخشىد مع جماعته فلما نهضت (ابن زولاق) أمسكنى فقلت : أحاجة قال : نعم . أيهما أفضل أبو بكر وعمر أو على فقلت : اثنان حذاء واحد فقال وإنما أفضل أبو بكر وعمر أو على فقلت ان كان عندك فعلى وان كان بدا فأبو بكر . قال ابن زولاق وهذا أعجب ما بلغنى عنه » . وقد أشار الكندى إشارة خاطفة الى حياته الخاصة بقوله : « اعتل حمزة بن محمد الكنانى فركبت أنا وابن الحداد اليه فقال : يا أبا القاسم جئتك عائداً وزائراً وقصدت أن أقعد عندك الى الظهر ، وكان عند حمزة جماعة فجلسوا وأخذ أبو بكر وحمزة فى المذاكرة فى الحديث والرجال وما يتعلق بذلك من فن حمزة . وكان ابن الحداد يفتى بالعلوم لا يبقى علم الا شارك فيه مع حسن المذاكرة الى أن اتفق أن قال حمزة : ما يرد القيامة أحد بميزان أثقل من ميزان قحافة لأن أبا بكر فيه ، فقال أبو بكر الذى أقول ما يرد القيامة ميزان أثقل من فاطمة بنت الرسول لأن أباهما فيه ونهض فانصرف ا » .

ولا نعرف السن التى بلغ فيها أبو عمر الكندى درجة التضوج الفكرى واطتهت تلمذته لبدأ اقتاجه ، ولا أى فروع العلم استهوته قبل الأخرى والأستاذ « R. Guest » ٢ فى مقدمة

(١) الكندى : ص ٥٥٥

(١) مقدمة الكندى . p. 7

كتاب الولاية يشير الى أن المؤرخين للكندى يذكرون أنه في آخر أيامه جلس لرواية الحديث وأن السيوطى لم يشر اليه كراوية عن النسائى أو ابن قديد كما لم ترد اليه اشارة في كتاب التهذيب لابن حجر الأمر الذى يدل على أنه لم يكن من المبرزين في هذا الميدان .

ونعتقد أن الدراسة الدقيقة لحياة الكندى المؤلف انما تدل في وضوح على أنه بدأ بالحديث علما ورواية وانتهى بكتابة التاريخ . وهذا هو الذى يتفق فعلا مع منطق الأشياء ، وكان شأنه شأن ذلك الجيل من المؤرخين الذين ظهروا في الحياة الاسلامية في القرن الثالث وأول الرابع ، اشتغلوا بالحديث والتفسير وعلوم القرآن مثل ابن عبد الحكم والطبرى والبلاذرى وغيرهم . كما أن الكندى بوجه خاص قضى حياته كلها في مدينة الفسطاط دار علم الحديث وروايته ، ولم يرو أنه غادرها في حياته أبداً ، بل مات فيها ودفن في مقابرها . وكان كثيرون من أفراد أسرته وخصوصا عمه من المهرة في علوم الحديث ، لذلك نشأ في جو فرغ للحديث وعلومه ، كما اشتهر كثيرون من التجيبية بهذا اللون من ألوان الثقافة الاسلامية ونذكر منهم على سبيل المثال أسامة بن عبد الرحمن التجيبى (٢٥٠ - ٣٠٧ هـ) ويحيى بن أبى معاوية التجيبى وعمه الحسين بن يعقوب . ولا ننسى أن القرن الثالث في مصر بوجه خاص هو العصر الذى وضعت فيه أصول علم الحديث وتقده واستخلاص

السنن . ورحل الى مصر أصحاب مجاميع الحديث أمثال البخارى ومسلم والنسائى ونقلوا روايات المصريين أمثال خالد بن حميد الاسكندراني (١٦٩ هـ) وخلاد بن سليمان الحضري (المتوفى سنة ١٧٨ هـ) وعبد الله بن وهب صاحب كتاب الجامع فى الحديث والذي يقال أنه روى عن أربعماية من الشيوخ وأنه أكثر من رواية الحديث ، وهو أحد رواة الموطأ ، وروايته للموطأ لا تزال احدى نسخها محفوظة بأحد مكاتب الآستانة ، وابن زكريا الآدم وليث بن عاصم الخولانى .

وقد جرت العادة فى عصر الكندى على تدوين الأحاديث ويكفى لاثبات ذلك الاشارات العديدة التى وردت فى كتاب الولاة عن المجالس التى كانت تعقد لكتابة الأحاديث وقرائها ونسخها . وكانت كتابة الحديث وسيلة استخدمت فى البلاد منذ وقت طويل . اذ يستفاد مما كتبه الليث وابن لهيعة أن الكتابة فى تدوين الحديث شاعت فى مصر منذ منتصف القرن الثامن الميلادى . وفى كتاب الكندى الولاة والقضاة اشارات الى اهتمامه بدراسة الحديث والرجال . وقد أشرنا الى المجلس الذى عقده الكندى والقاضى ابن الحداد فى بيت حمزة بن محمد الكنانى .

ويكفى للدلالة على المكانة التى احتلها الكندى بين المحدثين فى مصر فى القرن الثالث وأول الرابع ، أن تتعرف على الرجال الثقاة الذين روى عنهم والذين أشار اليهم فى كل

صغيرة وكبيرة من كتاب الولاية والقضاة مثل روايته عن ابن
قديد والحسن بن محمد المدني وأحمد بن داود بن صالح ومحمد
ابن موسى الحضري وأحمد بن الحارث بن مسكين (٢٣٩ -
٣١١ هـ) وأبو بشر الدولابي (٣١٠ هـ) وعبد الرحمن بن
اسحق (٢٥١ - ٣٢٠ هـ) ومحمد بن الربيع الجيزي (٢٣٨ -
٣٢٤ هـ) وكان أبوه من أصحاب الامام الشافعي ومحمد بن
زبان بن حبيب الحضري (٢٢٥ - ٣١٧ هـ) ولولا مكانة
أبي عمر في علم الحديث لما اعتمد عليه كراوية المؤرخ ابن
زولاق . وقد وردت الاشارة اليه في كتاب الولاية والقضاة
ما يزيد عن خمس وثلاثين مرة ، الأمر الذي يدل على أنه لم
يكن راوية خامل الذكر . لذلك نعتقد أن الكندي بدأ حياته
العلمية يروي الحديث ويعلمه ..

وفي معرض حديثنا عن مكانة الكندي في هذه الناحية
الهامة من نواحي الثقافة الاسلامية في مصر لا بد من الاشارة
الى لون آخر انفرد به الكندي دون غيره من المؤرخين
السابقين والذي تدل على تمكنه من أسرار العربية وبراعته في
فنونها وأقصد كلفه بالشعر وروايته وتضمن كتابه مختارات
كثيرة من أشعار ذلك العصر . ولم يكن هذا الشعر لمجرد
الاستشهاد إنما يدل على أنه كان رجلا ذواقة يستسيغ الشعر
ويتخير النصوص التي تؤيد وجهة نظره . وهذا الشعر الذي
أورده الكندي ذو قيمة تاريخية خاصة ، فهو يلقي ضوءا على

الإتجاهات القبلية والدينية وهي تعبير عن الآراء الشائعة في عصره وتساعدنا على تصور الحياة التي سادت مصر في ذلك الوقت ، بل تلقى أضواء على طريقة قرض الشعر والأثر القوي الذي تركه الشعر في الحياة المصرية ، وهي فوق هذا مصادر هامة لدراسة الجذور الأولى للأدب العربي في مصر .

والكندي ١ يعطينا أمثلة لشعر قاله قوم لم يفرغوا للشعر وان كانوا قد أظهروا بعض المهارة فيه كالحلفاء والولاة والقضاة. كما أنه يتخير أبيات قالها شعراء لم يكن لهم اتصال وثيق بمصر مثل ابن عيادة وابراهيم بن المهدي ودعبل وأبو شمر والصبيحي . ثم نراه يستشهد بأبيات من نحو خمسين قصيدة . ويتميز العصر الأموي بعدد الشعراء المشاهير الذين زاروا مصر بين سنتي ٦٥ ، ٨٦ هـ مثل عبد الرحمن بن الحكم الذي جاء مع حملة ابن الزبير وآخرون جذبهم بلاط عبد العزيز بن مروان ومن هؤلاء كثير ونصيب وابن قيس الرقيات ٢ وأيمن بن حزيم وعبد الله بن الحجاج والثعلبي وجميل والشاعرة عزة . والكندي يقتبس بيتين أو خمسة أبيات من خمسة من شعراء العصر الأموي الذين كانوا من أهل مصر ومن أكثرهم التصاقا

(١) الولاة ، صفحات : ١٨ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٧٠ ، ١٧٠ ، ٢٠١ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩
(٢) الكندي ص ٥٠

بهذه البلاد مثل ابن أبي زمزمة اذ يرد ذكره مرتباً بحوادث سنة ٦٥ هـ وكذلك حوادث سنة ٨٨ وقد اضطر الى الفرار بعد هجائه أحد الولاة . وفي العصر العباسي ورد ذكر اسحق بن معاذ بن مجاهد ويحيى الخولاني وقد هجوا بعض قضاة عصرهم ، ومن أهم شعراء ذلك العصر :

سعيد بن عفير :

وقد نقل الكندي له اثنتي عشرة قصيدة تتناول الأحداث من سنة ١٦٨ الى سنة ٢٠٩ هـ وتظهر فيها القبلية واضحة وكان يؤيد قحطان وقضاة كما هاجم الولاة في مناسبتين أو ثلاث ولم يتصل بذوى السلطان الأمر الذي يدل على أنه كان مستقل الشخصية .

المعلی الطائي :

وكان معاصراً لابن عفير ولكنه كان من طراز آخر فكان يمتدح الولاة ولم يجد بأساً من أن يمتدح أعداءهم اذا آلت اليهم السلطة . ويشير أبو الفرج الى مدحه ابن طاهر بعد قضائه على السرى بن الحكم الذي كان المعلی قد اتصل به ومدحه . ويقال أنه اتصل بأبي نواس الذي أقام بمصر وقتنا ، وما نقله الكندي من شعر المعلی يقع بين سنتي ١٩٤ ، ٢١٤ هـ .

ابو تمام صاحب الحماسة :

كان شامى المولد أكثر من النقلة في حياته القصيرة ومن الغريب أن يعده المصريون شاعرهم العظيم وذلك لأنه قضى شبابه في مصر . وقد وردت في الحماسة قصيدة منسوبة الى حطان بن المعلى وتدل على العلاقات الطيبة بين بني المعلى وأبى تمام لا تنمئهما الى قبيلة واحدة .

وينقل الكندى عن أبى تمام خمس قصائد ثلاث منها سنة ٢١٤ هـ وقد تضمنها ديوان أبى تمام في مدح عمير بن الوليد ويقال انها من أقدم قصائد أبى تمام ، والقصيدتان الباقيتان في مدح ابن طاهر بعد قضائه على السرى ولم يتضمنها ديوان أبى تمام ، وهذا يدل على أن أبى تمام قال الشعر مبكراً .

الحسين بن عبد السلام :

كانت له شهرة واسعة فقد ورد ذكره في القاموس وفي الفهرست وأشار اليه ابن خلكان ، ويذكر الكندى نحواً من خمسين بيتاً من قصائده في مدح أحد القضاة أو في هجاء بعض الناس وكلها تتعلق باحداث سنة ٢٢٧ هـ ١ .

ويبدو أن هذا الشاعر قد ولد قبل مستهل القرن التاسع الميلادى اذ يذكر أنه تلقى من الشافعى وأنه مات سنة ٢٥٨ هـ .

(١) الكندى : ص ٤٥٢

وأثر الطولونيين في تشجيع الأدب والفن غير محدود والمقریزی يذكر أن شعراء العصر الطولوني بلغ من كثرتهم أن أسماءهم ملأت نحواً من اثنتي عشرة كراسة . ولم ينقل الكندي إلا القليل من الشعر الذي ظهر في هذه الفترة .

وممن أشار إليهم اسماعيل بن أبي هاشم وأحمد بن أبي يعقوب وسعيد القاص ومحمد بن طاشوية الذي رثا بنى طولون والقاسم بن يحيى المريني المتوفى سنة ٣١٦ هـ . وقد مدح البحري خمارويه أثناء وجوده ببلاد الشام . ومن شعراء بنى طولون الذين أشار إليهم الكندي محمد بن داود الذي هجا أحمد بن طولون في نحو خمس قصائد ، ويبدو أنه كان من أتباع الموفق وأحمد بن محمد الحبيشي الذي وفد الى مصر سنة ٢٩٢ هـ مع محمد بن سليمان الكاتب ولم يذكر من الشعراء بعد الطولونيين غير ابن مهران .

أعلى أن الجانب الذي نهتم به من حياة الكندي ليس اشتغاله بالحديث أو روايته للشعر ، وتقده اياه إنما اشتغاله بالتاريخ والمكانة العظيمة التي احتلها بين مؤرخي مصر الاسلامية . ذكر ابن ميسر عن الكندي أنه كان عارفاً بأحوال الناس وسير الملوك ، وذكر أبو محمد عبد الله بن أحمد الفرغاني « أنه كان من أعلم الناس بالبلد وأهله وأعماله وثورته وله مصنفات فيه وفي غيره من صنوف الأخبار والأنساب وكان من جملة أهل العلم بالحديث والنسب عالماً بكتب الحديث صحيح الكتابة ، نسابة عالماً بعلوم العرب » .

ولعل هذا يدفعنا الى التعرض للآثار التي تركها الكندي في المكتبة التاريخية . ويبدو أن الكندي أنتج تراثا تاريخيا ضخما الأمر الذي يضعه في المحل الأول بين المشتغلين بالتاريخ الاسلامى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، ولهذا المؤلف كتب أشار اليها اللاحقون عليه اقتبسوا منها أو نقلوا عنها ثم ضاعت فلم يصلنا منها شىء يذكر ثم مؤلفات أخرى وردت عنها اشارات مماثلة عند بعض المؤرخين اللاحقين ولكن لا نعرف عناوينها على وجه التحديد ثم مؤلفات أخرى لا زالت باقية بين أيدينا حتى اليوم ناطقة بذلك الجهد المضمن الذى بذله الكندي فى اعدادها وهى التى سنعرف بها فى هذا الكتاب وأقصد كتاب الولاية وكتاب القضاة .

ومن المؤلفات التى نعرف أسماءها ولكنها ضاعت فلم يصلنا منها شىء :

١ - كتاب الأجناد العربية : وقد أشار اليه ابن دقماق فى الاتنصار عند حديثه عن جامع عمرو بن العاص سنة ٨٩ هـ كما أشار اليه المقرئى فى الخطط .

٢ - كتاب الخندق والتراويح : وقد أشار اليه المقرئى والسيوطى ويبدو أنه يعرض لواقعة الخندق سنة ٦٥ أيام ابن الزبير وولاية ابن جحدم وهو الخندق الذى حفره ابن جحدم للدفاع عن الفسطاط وكانت تلك الأيام تسمى أيام الخندق والتراويح لأن أهل مصر كانوا يقاتلون نوبا

يخرج هؤلاء ثم يرجعون ثم يخرج غيرهم . قال عبد الرحمن
ابن عبد الحكم :

ألا هل أتاها على نأيها بناء التراويح والخذق

٣ — الخطي : ولم يثبت أن أحدا قد اقتبس منه ولكن يبدو أن
مادة كبيرة من هذا الكتاب قد نقلها ابن دقماق في الاتصار
عند حديثه عن مساكن الفسطاط وخططها كما أشار إليه
المقريزي في خطته فذكر أن الكندي كان أول من كتب
في الخطط والآثار ، ويبدو أن ما ذكره المقريزي عن معبد
سمنود قد نقله عن الكندي .

٤ — أخبار مسجد أهل الراية الأعظم : أشار إليه ابن دقماق
والمقريزي ، وهو يعرض للجامع العتيق — جامع عمرو
ابن العاص .

٥ — سيرة السرى بن الحكم : وردت الإشارة إليه في تراجم
المقفي .

٦ — سيرة مروان بن الجعيد : وقد أشار إليه ابن ميسر .

٧ — كتاب الموالبي : أشار إليه ابن دقماق والمقريزي ، ويبدو
أنه كان تاريخا للموالبي المسلمين من أهل البلاد الذين
امتازوا في الحياة العربية ، وقد قدم لمحمد بن بدر الصيرفي
المولى الذي ولى قضاء مصر بين سنتي ٣٢٤ ، ٣٣٠ هـ .

ويذكر المؤرخون للكندي أنه ألف كتبا أخرى لا نستطيع
أن نتحقق من عناوينها على وجه الدقة ، فقد أشار ياقوت في

ارشاد الأريب الى كتاب للكندى فى التاريخ يبدأ بسنة ٢٨٠ هـ ولم ترد اليه اشارة فى مؤلفات الكندى السابقة .

ويشير ابن دقماق الى تاريخ للكندى ويذكر أنه رآه ... وفى هذا الكتاب نحو من ست فقرات للكندى يتعرض فيها لأحداث وقعت بعد سنة ٢٤٦ وأحيانا سنة ٣٢٩ أو ٣٣٠ ولا يبعد أن تكون هذه الفقرات مستقاة من مراسلات للكندى مع غيره من علماء العصر أو مستمدة من كتاب للكندى عن قضاة عصره ولكنه ضاع .

ويذكر السيوطى أن الكندى ألف كتابا اسمه فضائل مصر ويبدو أن السيوطى خلط بين الكندى وبين ولده عمر ، والسيوطى يذكر أنه ألف فى عهد كافور على حين مات الكندى سنة ٣٥٠ هـ .

أما الكتاب الذى بين أيدينا اليوم فهو كتاب الولاية الذى اعتمد عليه المقرئى فى خطه اعتمادا كبيرا ونقل عنه أخبار الطولونيين دون أن يشير اليه ، كما نقل عنه ابن دقماق أيضا والكندى يتحدث فيه عن تاريخ مصر منذ فتحها حتى سنة ٣٣٥ هـ . وقد رتب المؤلف حسب الولاية الذين تولوا حكم مصر ويذكر الحوادث التى وقعت فى عهد كل واحد منهم ومتى ولى ومتى عزل ، وقد رتب المادة ترتيبا تاريخيا ، ولكل وال عنوان خاص ذكر فيه سنة توليته وسنة عزله وأصحاب الشرط الذين تولوا فى عهده والأحداث التى وقعت والشعر الذى قيل فى بعض المناسبات . ولم يخرج هذا الكتاب عن غرضه أبدا من

عنايته بالحروب والثورات والأحداث وهو أحيانا يكتفى بتعداد أسماء الولاية وفي بعض الأحيان الأخرى يورد بعض التفاصيل الطريفة ووقف فيه عند نهاية محمد الأخشيد سنة ٣٣٥ وحالت المنية دون اتمامه .

والجزء الثاني من هذا الكتاب عن القضاة وقد نقل أغلبه ابن حجر في كتاب رفع الاصر ولم يشر اليه المقرئ في الخطوط وقد أفردده للقضاة في مصر ويعرض لهم عرضا تاريخيا ويعني بتاريخ توليهم ويضيف الى ذلك بعض الأخبار والتفاصيل وقد يشير الى بعض أحكامهم وفي بعض الأحيان يشير الى القضايا بالتفصيل كما يشير الى القضايا التي رفعت للخليفة ليفصل فيها وهو يلقي أضواء لا بأس بها على تطور الحياة العربية في مصر . وينتهي الكتاب بولاية بكار القاضي سنة ٢٤٦ ، ويشير ابن خلكان الى أن تاريخ القضاة ينتهي في هذه السنة تقريبا ، وقد بدأت محاولتان للتذليل عليه : المحاولة الأولى من سنة ٢٤٦ الى سنة ٣٦٦ وتنسب الى أحمد بن عبد الرحمن بن برد ، والمحاولة الثانية من سنة ٣٤٧ الى سنة ٤٢٤ وصاحبها غير معروف .

والحديث عن كتاب الولاية والقضاة يجرنا الى الحديث عن حقيقة المصادر التي نقل عنها الكندي مثل هذه المادة الغزيرة ، فقد اعتمد الكندي (كما يتبين من الدراسة الدقيقة لكتاب الولاية والقضاة) على مدونات مكتوبة مثل كتب ابن عبد الحكم ويحيى بن عثمان وابن عفير وغيرهم . فقد جرت العادة في عصر

الكندى على تدوين الأحاديث ويكفى لاثبات ذلك الاشارات
العديدة التي وردت في الكتاب عن المجالس التي كانت تعقد
لكتابة الأحاديث وعن قراءة الأحاديث ونسخها . وكانت كتابة
الأحاديث وسيلة استحدثت في البلاد منذ وقت بعيد ، إذ
يستفاد مما كتبه الليث وابن لهيعة أن الكتابة في تدوين
الأحاديث شاعت في مصر منذ منتصف القرن الثامن الميلادي
والقصة التي سيقى عن حسين بن شفيح وكتبه المنسوبة الى
عبد الله بن عمرو تدل على أن الكتابة التاريخية لم تكن موجودة
في القرن الأول ، أو على الأقل كانت نادرة ولم يكن ذلك لجهل
بالكتابة إنما لأن جمع الحديث بالصورة التي أصبحت مألوفة
فيما بعد لم تكن قد وضحت بعد . لذلك نستطيع أن نؤكد أن
أغلب روايات الكندي كانت مكتوبة قبل أن ينقل عنها في
مؤلفاته ، ونؤكد أيضا أن قدرا كبيرا منها كتب منذ مستهل
القرن الثاني فصاعدا . ولم يكن كاتبوها يعنون كثيرا بزمن
الحوادث التي يروونها . وكان تسجيل هذه الأحاديث يتخذ
شكلا : شكل رقاع متفرقة ، وكان هذا دأب المحدثين عموما
أو في صورة كتب متكاملة . ويبدو أن الكندي استخدم وثائق
من النوع الأول في الاشارات التي نسبت الى يحيى بن عثمان
وابن وزير . وهو في كتاب القضاة يشير الى الديوان في
سنة ١٣١ هـ ويقتبس منه نقلا عن ابن بكير ولعل هذا يذكرنا
بأرشييف الدولة الذي كان في متناول الناس في ذلك الوقت .

وظلت هذه السجلات^١ بعد الفتح يرجع اليها نحو من قرنين من الزمان . كما كان الكندي يعتمد على أخبار تروى مشافهة ، وفي الحديث عن لقاء عثمان بن صالح وابن طاهر يتبين أنه منذ منتصف القرن الثامن الميلادي فان بعض الأخبار التي ترجع الى قرنين مضيا لا تزال تعيها الذاكرة ويتناقلها الرواة جيلا بعد جيل حتى عصر المؤلف .

ورغم أن الكتابين مصدرهما واحدة تقريبا الا أن هناك فرقا واضحا في طريقة تأليف كل منهما وفي طريقة تناول الموضوعات . فكتاب القضاة بصرف النظر عن الشعر الذي تضمنه ، يتألف كله من الأحاديث التي بلغ عددها نحو من ٤٥٠ حديثا ، ويؤدى الكندي هنا دورا واضحا فهو مجرد راوية للحديث جامع له . وكانت مهمته الأولى تخير الأحاديث وترتيبها وتبويبها ووصل ما بينها أو التعليق على بعضها . ولا ننكر أن كتاب الولاة تضمن أحاديث لم تتجاوز المائة عددا ولكنه تضمن أيضا ما يقرب من ثلاثين فقرة مقتبسة ومنسوبة الى أصحابها بأسلوب يختلف عما اتبع في كتاب القضاة ، وبقية الكتاب أو ما يقرب من ثلثيه عبارة عن مجرد سرد تاريخي لا يشار الى مصادره ، هذا السرد لا يظهر في تاريخ الفترة التي تبدأ من الفتح حتى عام ٣٧ هـ ، إذ أن أخبار هذه الفترة

(١) رواية الكندي يطلعون على وثائق من ديوان بني أمية منها براءة زمن مروان بن محمد فيها تحديد عطاء القاص عبد الرحمن بن سالم . انظر الكندي ص ٣٥٤

يسوقها على هيئة أحاديث أو روايات وأغلبها في هيئة فقرات
قصار وكلما أوغل المؤلف في الكتابة كلما استقام السرد وطالت
الفقرات وتضاءل مقدار الرواية أو الحديث .

والمهم ان نتعرف على أسلوب الكندي في كتابة التاريخ
اعتمادا على كتابه الولاية والقضاة وعلى المكانة التي يحتلها بين
مؤرخي مصر الاسلامية خاصة ومؤرخي الاسلام عامة . ويكفي
أن نذكر أن الكندي قمة لتطور هام في فن كتابة التاريخ عند
المسلمين . تطور بدأ في منتصف القرن الأول الهجري وظل يمضي
التي تغايتها حتى وصل الى ما وصل اليه عند الكندي ومعاصريه .
لأن الكندي في الحقيقة قمة هرم قاعدته عريضة موهلة في القدم .
ويكفي أن نتفحص الرواة الذين اعتمد عليهم لنستطيع بدراستهم
أن ترسم الخطا العريضة التي قطعها فن كتابة التاريخ حتى
منتصف القرن الرابع الهجري . ويتبين من فحص سلسلة الرواية
عند الكندي أنها تصور الاتجاهات الهامة التي وضحت في
الدراسات التاريخية عند المسلمين منذ التصف الأول من القرن
الأول الهجري . فقد وضحت اتجاهات ثلاثة : الاتجاه الأول
مضى نحو كتابة مغازي النبي وسيرته ، وقد وضح هذا الاتجاه
في مدرسة المدينة المنورة . وأدت كتابة مغازي الرسول الى
كتابة مغازي الراشدين ونشأت كتب فتوح الأمصار ١ . كما
أن الكتابة في السيرة أدت الى الكتابة في سير الصحابة

(١) عبد العزيز الدوري : علم التاريخ عند العرب ص ٦١ - ١٠٢

والتابعين الأمر الذي سجلته كتب الطبقات ابتداء من ابن سعد حتى البخارى . وكان أغلب المشتغلين بهذا الاتجاه قوم مديون وكلهم رواة حديث لا ينسب اليهم الكذب أو الوضع ، لأنهم كانوا يتحرون الدقة فيما ينقلون ، ويلاحظ في كتابة المغازى في هذا الوقت المبكر العناية بالاسناد الى أبعد الحدود والعناية بالحقيقة الى أبعد الحدود وأدى هذا الى جفاف الرواية وسليبتها وخلوها من القصص المحبب الى النفس .

ثم كان الاتجاه الثانى وهو أسلوب القصص التاريخى الذى بدأه سعد بن شرية الذى كان معاصرا لمعاوية بن أبى سفيان واستدعاه معاوية الى دمشق ليحضر مجالسه الأدبية ، وقد حدث معاوية كثيرا عن أخبار اليمانيين ووقائعهم وأيامهم ، وكانت طريقة عبيد بن شرية فى رواية القصص تقليدا لمنهج رواة أيام العرب فى تلوينهم القصصى بلون بطولى والمبالغة والجمع بين النثر والشعر فى صعيد واحد حتى ليرى النقاد أن كتاب عبيد ملحمة عربية جنوبية . واكمل هذا القصص القديم المتأثر بقصص العبرانيين والنصارى على يد وهب بن منبه . وقد أثار ذلك كله اهتمام العرب بالتاريخ القديم وبسير البشرية كلها وأصبحت العناية بالتاريخ العالمى عنصرا هاما لم يتخل عنه المؤرخون أبدا وذلك لآحساسهم بظاهرة الاستمرار فى الحياة البشرية وأن تطور الحضارة عمسك أولها بآخرها . أما الاتجاه الثالث فهو يختلف عن الاتجاهين السابقين فقد نشأ فى العراق

وفي مدينتي البصرة والكوفة^١ بوجه خاص كما أن ميدانه اختلف
عن الميادين السابقة ، فهو لا يعنى بالقصص القديم ولا يعنى
بالمغازى والسير انما يعنى بأخبار القبائل العربية عامة
وقبائل العراق خاصة أو العناية بالأنساب العربية عامة وأنساب
البصريين والكوفيين خاصة . واشتغل بهذا الاتجاه النسابون
الذين تخصصوا في تاريخ القبائل العربية وأنسابها . ولعل هذا
يتمشى مع التطور الجديد في الحياة الاسلامية بعد نهاية عصر
الفتوح . فقد نشأت أوطان عربية جديدة وأصبحت ليست أقل
شأنا من نجد والحجاز واليمن .

ورغم هذا الانصراف الى ناحية معينة من الحياة العربية فان
النباتيين لم يهملوا المنهج التاريخي الذي تبنته مدرسة المدينة
والذي انتشر في العالم الاسلامي كله ونعنى به الاسناد وسلسلة
الرواة والحرص على اثباتها حتى يكتسب الخبر طابع الجدية
ويحمل الناس على تصديق ما يقولون . وكان هؤلاء مقدمة
لظهور التواريخ المحلية للأمصار التي يتجلى فيها الاعتزاز
بالاقليم ومدارسه ورجاله وقبائله وأنسابه .

وقد شهدت المدرسة المصرية في كتابة التاريخ والتي تتمثل
في رواية الكندي ومؤرخيه هذه الاتجاهات جميعها بصورة
أو أخرى ، فقد شهدت فن القصص ولكن على أسس مختلفة
كثيرا عما عرفه عبيد بن شريفة ووهب بن منبه ، فالقصص الذي
ظهر بمصر يتعلق بتفسير القرآن وسيرة الرسول ، وكان القصص

(١) عبد العزيز الدوري : علم التاريخ عند العرب ص ١١٨ - ١٢٠

في الحقيقة على ثلاثة ألوان ، قصص قصد به الحديث عما جاء في القرآن من ذكر الأمم القديمة ، وقصص قصد به ترغيب المؤمنين وترهيب المترددين وآخر قصد به ذكر الفتن والملاحم ، وأول من قص بمصر سليم بن عتر التجيبي الذي تولى قضاء مصر عام ٤٠ هـ زمن معاوية ، وكان يقص على الناس وهو قائم ، حتى لقد قال له صلة بن الحارث الغفاري الصحابي : « والله ما تركنا عهد نبينا، ولا قطعنا أرحامنا حتى قمت أنت وأصحابك بين أظهرنا »^١ .

وقد وجد هذا الفن قبولا من المصريين لأنه يوافق طبيعتهم ، وظهر هذا الفن واضحا في مستهل القرن الأول الهجري .

واتجه بعض المصريين اتجاها أهل المدينة من الكتابة في سيرة الرسول وسير الصحابة والتابعين وفي المغازي والوقائع والأيام . وقد وفد ابن اسحاق صاحب السيرة الى مصر فقرأ سير أهلها وروى السيرة التي كتبها حتى ان ابن هشام جاء مصر ليروى سيرة ابن اسحاق عن رواها من المصريين ، ومن السير التي كتبها المصريون سيرة عمر بن عبد العزيز لعبد الله ابن عبد الحكم رئيس المدرسة المالكية في مصر في القرن الثالث الهجري .

وكما اتجه أهل العراق الى دراسة خطط البصرة والكوفة وأخبار القبائل والأنساب فقد اتجه المصريون اتجاها مماثلا

(١) الكندي ص ٣٠٤

بالكتابة في الخطط وقام عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بدراسة خطط الفسطاط ومن نزل بها من العرب وأنسابهم ورجالهم وأيامهم . كل هذه الاتجاهات تتبين بوضوح وجلاء فيمن تقل الكندي عنهم منذ عام ٥٠ هـ حتى عصره ومنهم الزهري والليث وابن لهيعة وأبو مخنف والهيثم بن عدي وابن عفير وربيعة الميسري وابن وهب وأبو زرعة وسعيد بن أبي مريم وابن وزير ويحيى بن عثمان وابن صالح وابن عبد الحكم والطحاوي وابن قديد ومحمد بن الربيع الجيزي وأبو بشر الدولابي . وكل هؤلاء الرواة اما اشتغلوا بالقصص أو كتبوا في السير أو عنوا بالأيام والوقائع والقبائل والأنساب والخطط .

ثم اكتملت المدرسة التاريخية في أواخر القرن الثالث وفي النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، وكانت الأجيال العربية المتعاقبة تتبادل التجارب والخبرات ، يهيم الجيل السابق لرسم معالم جيل جديد يسدد خطاهم وينمي خبراتهم ويستفيد من أخطائهم ، وكان جيل القرن الثالث وأول الرابع من كتاب المدرسة التاريخية قد استفادوا من تجارب مدرسة المدينة والبصرة والكوفة والفسطاط ، والتقت الاتجاهات كلها معا في هذا العصر وأصبح الكتاب لا يهتمون بتقاليد المدينة ولا تقاليد العراق . وأصبحت لهذه المدرسة الجديدة اتجاهات أو سمات واضحة نجملها فيما يلي :

اتجهوا الى استخدام أسلوب المحدثين في النقد والرواية والعناية بالاسناد أكثر من العناية بالخبر ذاته ، وأصبح رائدهم

أن تطرح الاقليمية الضيقة وأنه لا بد من الرحلة في طلب العلم من الأمصار الأخرى شعورا بأهمية الخبرة المتجمعة لدى الأمة العربية وبأهمية الاجماع في تناول الأخبار ، كما نلمح في هذا العصر الاستفادة من الميراث السابق الى أبعد الحدود والاستفادة من مواد كتب السيرة والأخباريين وكتب الأنساب والمصادر الأخرى ، وكان عملهم في هذه الفترة قد المادّة التي جسعها السلف استبعاد الخبيث وابقاء الطيب .

وكان أسلوب الكندي في التأليف صورة صادقة لاتجاهات المدرسة الجديدة ، فقد كان راوية محدثا بالمحل الأول يعنى بالسند والرواية عناية ربما تفوق عنايته بالمتن نفسه . وهو سواء نقل الخبر من متن مكتوب أو من مصدر شفوي يقول : حدثني ويسوق سلسلة الرواة في أغلب الأحيان حتى الطبقة الخامسة الى أن ينتهي الى مستهل القرن الأول الهجري فيقول مثلا : « حدثني ابن قديد قال : حدثني علي بن عمرو بن خالد قال : حدثني أسد بن ربيعة عن أبيه ... » فحرصه على السند والرواية لا يقل عن حرص الطبري أو المسعودي أو البلاذري . وهو في كثير من الأحيان يقول حدثني فلان وأحيانا يقول : أخبرني فلان وأعتقد أن كل الأخبار التي يسبقها بكلمة حدثني سمعها في مجالس الحديث التي كانت تعقد في مدينة الفسطاط ويحضرها الرواة والخباريون . أما الأخبار التي سمعها بطريقة أخرى ، فكان يكتفي بقوله : « أخبرني فلان » ، ويظل الكندي يحرص على الرواية ويسوقها منسوبة الى سندها حتى عام ١٩٩ هـ

اذ يخته بقوله : « حدثنى ابن قديد عن يحيى بن عثمان عن هارون بن سعيد قال : كان الناس قد تحدثوا أن اسحق بن يحيى عزم أن يشور بمصر فدخلت عليه فقال : أبلغك أنه من أراد بمصر سوءا أكبه الله لمنخريه » ، ويقول « روقن جست » : والسبب في هذا غير معروف ويعتقد أن الكندي قد ظن أن أخبار الفترة التي رواها قد ذكرت من قبل في كتاب ألفه هو أو ألفه آخرون . أو وجد من الأهم أن ينقل عن المصادر الأصلية بقدر ما وسعه ذلك . وان كنت أعتقد أنه أهمل السند فيما بعد سنة ١٩٩ هـ في الفترة القريبة من عصره وكلها أخبار جمعها هو بنفسه ولم يروها عن أحد بل أصبح هو رواية لها تنسبها اليه في الأجيال التي أتت من بعده ، وقد فعل هذا بكتاب الولاية فقط . أما في كتاب القضاة حيث التشريع والحديث وعلوم القرآن ، فقد حافظ على السند حتى سنة ٣١٢ تقريبا وهي السنة التي كان فيها قد بلغ الثلاثين من عمره واعتمد في سوق أخبار القضاة المعاصرين له على تجاربه وحدها .

والكندي فوق هذا وذلك صورة لظواهر أخرى شهدتها المدرسة التاريخية في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري والنصف الأول من القرن الرابع وهي نشأة مؤرخى الأمصار المعنيين بتراتها وسرد أخبارها المتحدثين عن قبائلها وأنساب أهلها والترجمة لمحدثيها وقرائها وفقهاها وعلمائها . فما هي التواريخ المحلية ؟ وما الظروف التي ساعدت على ظهورها وكيف

نشأت وما مكانة الكندي بين المؤرخين المحليين ، ويجب أن
تعرف على النزعة المصرية في موسوعة الكندي الكبيرة .

بعد أن كان المؤرخون يعرضون لأخبار العالم الاسلامي
جسلة . نشأت طائفة جديدة منهم تؤرخ للأمصار الاسلامية
المختلفة ، فتتحدث عن تاريخها القديم وتعرض لظروف فتحها
أو تؤرخ لمدارسها ومحدثيها وقضاتها وتصف أمهات همدنها ،
وتتحدث عن أوجه نشاطها المختلفة . وهناك ظروف عدة دعت
إلى هذا النوع من التخصص في كتابة التاريخ منها :

١ - ان الفقهاء والقضاة ورجال الدولة كانوا في حاجة الى
معرفة أخبار الأمصار الاسلامية ، أيها فتح صلحا وأيها فتح عنوة .
لأن نوع هذا الفتح كان يترتب عليه تحديد مقدار الخراج
ومقدار الجزية .

٢ - تدوين الحديث والعناية بجمعه منذ القرن الثالث
الهجري جعل المشتغلين بهذا العلم يعملون على أن يضعوا حداً
للظاهرة التي شاعت منذ القرن الثالث وهي افتعال الأحاديث
ووضعها وتزييف سندها واختراع أسماء وهميين ونسبتهم الى
أقاليم وهمية . فعمد بعض علماء الحديث الى كتابة متون في
المحدثين الذين ينسبون الى كل مصر من الأمصار حتى يستطيع
علاء الحديث الذين يأتون من بعدهم أن يميزوا بين الأسماء
الصحيحة والموضوعة .

٣ - ازدهرت الثقافة الاسلامية منذ القرن الثالث فصاعداً
ولم تعد المدارس قاصرة على دمشق أو بغداد ، إنما انتشرت في

جميع الأمصار الاسلامية . رحل اليها الطلاب والعلماء ، فوجد نوع من التنافس بين هذه المدارس وخصوصا في رواية الحديث . وهذا التنافس أدى الى أن تبادر كل مدرسة الى تدوين أخبارها وكتابة أسماء علمائها وأحاديثهم وسيرهم وفضائلهم .

٤ - أخذت الدولة الاسلامية منذ القرن الثالث الهجرى يدهمها التفكك والانحلال ، ونمت شخصيات الأقاليم ، وظهرت القوميات الاسلامية المختلفة واستقل بعض الأمراء بهذه البلاد ، وأصبح كل أمير حريص على أن تدون أخبار بلاده . كما عكف المؤرخون ارضاء لهذه التطورات الجديدة على الاقبال على هذه التواريخ المحلية تحقيقا لهذه الرغبات .

هذه التواريخ المحلية يمكن تقسيمها قسمين كبيرين : قسم غير ديني وقسم آخر ديني صرف .

القسم الأول تأثر المسلمون في كتابته بنماذج قديمة نشأت في سورية في العهد البيزنطى^١ حين كتب المؤرخون القدماء تاريخا لانطاكية وتاريخا للقسطنطينية . كما وجد مثل هذا النوع أيضا في الأدب السريانى القديم . كما تأثر المسلمون أيضا بالأدب الفارسى الذى عرف هذا النوع من التواريخ المحلية .

(١) روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين صفحات ٩٥ - ١٣٩

وقد كتب في تاريخ العراق منذ القرن الثالث الهجرى كتابان : تاريخ بغداد لأحمد بن أبى طاهر طيفور ، وتاريخ الموصل لأبى زكريا الأزدي . ويبدو أن أحمد بن أبى طاهر كان يريد لكتابه أن يكون تاريخا للعباسيين الذين اتخذوا بغداد حاضرة لهم . غير أن عرضه التاريخى كان مصحوبا بدراسة طبوغرافية لحاضرة الدولة العباسية .

ويشبه هذا النوع من التواريخ المحلية ما كتبه أبو زكريا عن الموصل من سنة ١٠١ هـ الى سنة ١٢٤ هـ ، اذ عنى بولاية المدينة وأعمالهم كما عرض لعلمائها ووفياتهم ، كما أشار لبعض النواحي الاقتصادية حينما تحدث عن المجاعة التى حدثت بالموصل .

واذا كان تاريخ العراق الإسلامى قد كشف أمجاده الغابرة الا أنه فى مصر حدث العكس . فقد ظلت ذكرى الأجداد الغابرة عالقة بالأذهان وأخذت هذه الذكرى تعبر عن نفسها فى كتب اقليمية مثل ما كتبه أين زولاك عن فضائل مصر وخواصها . استهل كتابه هذا بذكر ما ورد فى القرآن والحديث عن مصر ثم تحدث عن الحضارة والفلسفة الاغريقية . ثم عرض لأخبار مصر قبل الاسلام حتى الفتح ، ثم تحدث عن أسلم من المصريين وعن الأسرات الهاشمية ثم تحدث عن الخطط والزراعة والصناعة والتقويم القبطى .

وقد نسج على منواله مؤرخون آخرون مثل المسبحى وابن ميسر ومحمد بن القاسم النويرى .

وظهرت في بلاد الشام أيضا تواريخ محلية منذ القرن الرابع الهجري فقد كتب ابن القلانسي عن دمشق وابن العديم عن حلب .

وقد اتجه التاريخ المحلي وجهة جديدة نحو التعبير عن حاجة الاقليم وآماله مثل ما حدث في بلاد اليمن حيث سادت ذكريات التاريخ القديم .

وخلفت بين أهل اليمن شعوراً فريداً بالقومية ، فنشأ نوع من التاريخ مزيج من الخطط والثقافة والتاريخ والأنساب ، يتمثل فيما كتبه الهمداني المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ، وخصوصاً كتابه الشهير المعروف بالأكليل في تاريخ الدولة الحميرية ، اذ عنى بالآثار والجغرافيا والتاريخ ، وقد سار في نفس الطريق جياش بن نجاح في كتابه تاريخ زيد .

ولم تحرم بلاد الأندلس والمغرب من هذا النوع من التواريخ المحلية ممثلاً فيما كتبه أحمد بن محمد الرازي عن تاريخ قرطبة وأبو العرب تميم عن القيروان .

وقد ازدهر هذا النوع من التاريخ على الخصوص في ايران حيث وصلت النعرة القومية الى الذروة وأخذ الكتاب الفرس يتغنون بفضائل بلخ وخراسان ، فكتب حمزة الأصفهاني تاريخ أصفهان وظهر كتاب تاريخ مدينة قم لحسن بن محمد القمري .

ويدخل في نطاق هذا النوع من التواريخ المحلية كتب تعرض للولاية والقضاة في قطر من الأقطار وتتخصص في أخبارهم وحدها ، ولا تكتفي بإشارات عابرة كما فعل الفاكهي

في تاريخ مكة أو ابن عبد الحكم في فتوح مصر . ومن هذه الكتب المتخصصة في الولاية والقضاة كتاب ولاية الكوفة وقضاتها وما كتبه الهيثم بن عدى عن المحتسبين في العراق . وكتاب الكندي عن الولاية والقضاة والسلامى تاريخ الولاية في خراسان .

يدخل في هذا القسم غير الدينى ما كتب عن الفتوح الإسلامية . هذه الموضوعات التي استرعت أنظار المؤرخين الأوائل بسبب حاجة القضاة والخلفاء الى معرفة أخبار البلاد التي فتحت صلحا أو عنوة ، فوجدت طائفة تختص بأقليم معين تتحدث عن فتوحه وتقدم لذلك بمقدمة عن أخبار الاقليم في الزمن الماضى .

ظهرت هذه الخطوة منذ القرن الثالث الهجرى على يد ابن عبد الحكم وكتابه فتوح مصر وما كتبه الواقدى والبلاذرى وما كتبه ابن القوطية والرازى .

القسم الثانى وهو النوع الدينى من التواريخ المحلية فإنه بدوره ينقسم الى قسمين متميزين لكل طريقته في الكتابة القسم الأول يتمثل في التأريخ للحرمين مكة أو المدينة ، مثل ما كتبه الأزرقى والفاكهى . ولم يكن يعنيهما التأريخ للأشخاص أو الترجمة لهم ، انما كل منهما أن يتيحا للمسلمين معرفة وافية بالتاريخ الدينى للمشاعر المقدسة . وقد ظل هذا الطابع غالبا على ما كتب عن المدينتين حتى القرن الرابع عشر الميلادى . أما

النوع الثانى من كتب التاريخ المحلى الدينية فله طابع آخر يميزه ، ذلك أن مؤلفى ذلك النوع كانوا يقدمون بمقدمة طبوغرافية ثم يتحدثون بعدها عن الأشخاص الذين ولدوا أو استقروا فى مدينة بعينها ثم يعرضون للمحدثين والفقهاء . ثم اتسعت الدائرة فشملت العلماء والحكماء والشعراء وذوى النباهة . وأقدم ما ألف فى هذا الباب تاريخ واسط الذى تتمثل فيه طبيعة هذا النوع من التأليف أصدق تمثيل ، فهو يعرض لتاريخ واسط القديم ثم يتحدث عن مدارسها وعلمائها ، وهو يرتبهم طبقات قربا أو بعدا من الرسول ، وهو لا يترجم للأشخاص الا قليلا ، انما يكفيه أن يعدد الأسماء ويذكر ما روى من الحديث والغرض الذى قيل فيه الحديث .

لكن هذا النوع من التأليف اتسع نطاقه بعض الشيء فيما بعد ، فلم يعد المؤلف يعنى برواية حديث لكل مترجم له انما أخذ يعنى بالترجمة للأسماء ترجمة وافية وعدل عن ترتيب العلماء طبقات وبدأوا يرتبونهم أبجديا أحيانا أو طبقات أحيانا أخرى .

فكتاب الكندى اذن نموذج جيد لهذا النوع غير الدينى الذى أشرنا اليه من كتب التاريخ المحلى .

والنزعة المصرية فى هذا الكتاب واضحة غاية الوضوح ، فالمؤرخ نفسه يضر على أن ينسب نفسه فيقول الكندى المصرى ، كما أنه أقام فى الفسطاط دهره كله فلم يغادرها الى

غيرها من البلاد وان كان هذا لم يمنع من أن يلتقى بالوافدين على الفسطاط من علماء الشرق المشاهير ، ثم هو يعرض للولادة في مصر وأخبارهم المحلية . ولا يروى من الأحاديث الا ما تواتر على ألسنة الرواة المصريين ولا ينتقى من الشعر الا ما قيل في مصر أو عن مصر . ولا يتحدث الا عن العرب في مصر أنسابهم وعلاقاتهم ونشاطهم القبلى ودورهم السياسى . وكذلك شأنه بقى كتابه تاريخ القضاة فهو ترجمة أمينة دقيقة لمدرسة الفسطاط منذ نشأتها الأولى حتى السنة التى مات فيها أو التى توقف عن الكتابة فيها . وهو تتبع دقيق لكل نواحى الحياة الفكرية للمحدثين والفقهاء والقراء والنحويين واللغويين . ثم نكاد نحس من هذا الشيخ المصرى تعصبا لهذا الاقليم الذى استقر فيه أجداده من قبل واستوطنوه وأصبح لهم ولذراريهم داراً ومقاماً . وقد وردت فى ثنايا ما كتبه الكندى بعض الروايات التى تدل على تفضيله لمصر وعصبيته لها من ذلك ما ورد على لسان الكندى قوله « حدثنى ابن قديد عن يحيى بن عثمان عن هارون بن سعيد قال : كان الناس قد تحدثوا أن اسحق بن يحيى عزم أن يثور بمصر فدخلت عليه فقال : أبلغك أن من أراد مصر بسوء أكبه الله لمنخريه » ١ .

وبعد فكتاب الولاة والقضاة ثروة عظيمة الأثر فى دراسة

(١) الكندى ص ١٩٩

الحياة العربية في مصر منذ الفتح العربي حتى منتصف القرن الرابع الهجرى . وقد أظهر الكندى فيه ثقافة موسوعية عظيمة تعلى من مكاتته بين أعلام المفكرين المعاصرين^١ فقد تضمن من الأحاديث نحواً من خمسمائة وخمسين حديثاً تضمن كتاب القضاة منها أربعمائة وخمسين حديثاً ، وتضمن كتاب الولاية نحو مائة منها . وهى أحاديث موصولة السند حتى طليعة الرواد المسلمين من رجال القرن الأول الهجرى . وكلها منقولة عن رواة مصريين كانت لهم مكاتتهم في علوم الحديث ، كما اقتبس الكندى من نحو ثلاثمائة وخمسين قصيدة في كتاب الولاية ونحواً من ٢٠٠ قصيدة في كتاب القضاة . وبلغ مجموع الأبيات التى اختارها واستشهد بها نحو ٦١٩ بيتاً تضيف الى تراثنا الأدبى الشىء الكثير .

ولعل خير ما يظهر هذه الثقافة الواسعة وهذه القيمة الكبرى التى يحتلها كتاب الولاية والقضاة أن نتحدث بالتفصيل رواة الكندى ومؤرخيه وأن نبين أهميتهم وأن نعرف فالكتاب فى الحقيقة مكتبة كبيرة لتاريخ هذه البلاد .

ويبلغ عدد الرواة الذين وردوا فى اسناد الولاية أو القضاة نحواً من ثلاثمائة وعشرين وعدد الأشخاص فى كل سلسلة اسناد بين خمسة وثلاثة .

والكندى ينقل مباشرة عنه نحو سبعين من الرواة ثم يأخذ عن عدد أكبر ممن روى عنهم . ثم يتسع نطاق الرواية بعد ذلك . وأغلبية الرواة يذكرون مرة أو مرتين ، وبعضهم الآخر

يرددون في كل مناسبة . وسنحاول أن نذكر أهم هؤلاء الرواة مرتين طبقات بعداً أو قرباً من الكندي ووفقاً لمكانتهم من الاسناد وفي داخل كل طبقة سنعرف بأكبر الرواة شأنًا وبأقلهم أهمية .

الطبقة الأولى من رواية الكندي :

١ - الطحاوى ١ : أحمد بن محمد بن سلامة ، أبو جعفر الأزدي . كان من أقرباء المزنى أشهر تلاميذ الشافعى ولكنه ترك الشافعى وتزعم المدرسة الحنفية ، وعمل كاتباً للقاضى محمد ابن عبده الذى ولى القضاة من سنة ٢٧٧ الى سنة ٢٨٣ هـ .

وقد ألف عدة كتب ضاع أغلبها وكتب عن الولاة الى ثورة جدة فى صعيد مصر المدعو سلامة بن عبد الملك الأزدي الطحاوى وقتل سنة ٢٠٤ هـ . وقد أشير الى الطحاوى مرتين عن طريق ولده على .

٢ - ابن قديد : على بن الحسن بن خلف ، أبو القاسم الأزدي الذى ولد سنة ٢٢٩ ، وتوفى سنة ٣١٢ . وكان من أشهر رواة الحديث وسمع من محمد بن ربح . ويشير ابن دقماق الى المكانة العظيمة التى يتولاها ابن قديد عام ٣١١ هـ أى قبل وفاته بسنة . وقد قيل أن ابن قديد كان عنده مصحف عقبه بن عامر الذى يختلف عن مصحف عثمان .

وكان أستاذ الكندي في علم الحديث وروى عنه نحواً من نصف أحاديث كتاب الولاية ، وثلاث أحاديث كتاب القضاة . ولم يحتل راو غيره مثل هذه المكانة ، وابن قديد يروى الحديث عن مصدرين : ابن عفير عن طريق ولده عبيد الله ويحيى بن عثمان صالح .

٣ — الحسن بن محمد المدني : يبدو أنه ولد في مكان ما سنة ٢٢٠ هـ لأنه يروى عن ابن بكير المتوفى سنة ٢٣١ هـ . ولو كان عاش حتى الثمانين لروى الكندي عنه مباشرة . ويروى قلة من الأحاديث عن ابن بكير وعن الليث .

٤ — أبو سلمة أسامة بن عبد الرحمن التجيبي : ولد قبل سنة ٢٥٠ هـ وتوفي عام ٣٠٧ هـ ، وكان من أكثر رواة الحديث ومن شيوخه السرح المتوفى سنة ٢٥٠ هـ وابن وزير المتوفى سنة ٢٦٥ هـ ويونس بن عبد الأعلى المتوفى سنة ٢٦٤ هـ والحارث ابن مسكين المتوفى سنة ٢٥٠ هـ . وروايات أبي سلمة تنقسم قسمين : أحاديث مروية عن يحيى بن عثمان بن صالح وأخرى مروية عن ابن عبد الحكم ، وكل أحاديث ابن عبد الحكم منقولة عنه .

٥ — يحيى بن أبي معاوية التجيبي : روى الكثير من الأحاديث عن ربيعة بن الوليد بن سليمان .

٦ — الحسين بن يعقوب التجيبي : وهو عم الكندي وكان يروى عن ابن وزير .

٧ - أحمد بن داود بن أبي صالح : يروى عن ابن وزير
عن طريق ابن أخضر .

٨ - محمد بن موسى الحضرمي : يروى بعض الأحاديث عن
ابن لهيعة .

ومن هذه الطبقة رواة آخرون منهم :

أحمد بن الحارث بن مسكين أبو بكر ، ولد سنة ٢٣٨
وتوفي سنة ٣١١ ، وهو ابن أحد مشاهير القضاة في مصر .

وأبو بشير الدولابي المتوفى سنة ٣١٠ ، وعبد الرحمن
ابن اسحق بن معمر ولد سنة ٢٥١ وتوفي سنة ٣٢٠ هـ .

ومحمد بن الربيع الجيزي ولد سنة ٢٣٦ وتوفي سنة ٣٢٤
وكان أبوه من أصحاب الشافعي وتوفي سنة ٢٥٦ ، ومحمد

ابن زيان بن حبيب الحضرمي ولد سنة ٢٢٥ وتوفي سنة ٣١٧ هـ ،
وابن أبي الحديد ويموت بن المزارع المتوفى سنة ٣٠٤ هـ ، وكان

أخباريا من أهل البصرة .

الطبقة الثانية من رواة الكندي :

١ - أبو الرقاق : أحمد بن محمد بن عبد العزيز ، ولعله
أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن جعد الوشاء المتوفى
سنة ٣٠١ هـ وقد نقل الكندي عنه مرة واحدة ، وهو يروى
عادة عن ابن بكير .

٢ - ابن أخضر : محمد بن أبي المغيرة ، وهو عادة يروى
عن ابن وزير وأحمد بن داود بن صالح .

- ٣ - أبو خيثمة : على بن عمرو بن خالد ، وقد كتب أبوه
للقاضيين البكري وابن الجراح ، وقد مات سنة ٢٢٩ هـ .
- ٤ - عبيد الله بن عفير : عبيد الله بن سعيد بن كثير بن عفير
الأنصاري وهو واسطة في الرواية بين أبيه وابن قديد وتنسب
إليه أحاديث كثيرة في الولاية والقضاة .
- ٥ - خلف بن ربيعة بن الوليد بن سليمان الحضرمي . وهو
يروى عن أبيه .
- ٦ - أحمد بن يحيى بن وزير التجيبي المتوفى سنة ٢٦٥ هـ .
تعلم الفقه على ابن وهب ، وروى النسائي أحاديث كثيرة عنه ،
وكان عالما بالفقه والشريعة والشعر والتاريخ ، وقد نسب
الكندى إليه روايات كثيرة نقل بعضها عن ابن بكير .
- ٧ - يحيى بن عثمان بن صالح السهمي ، أبو زكريا : وهو
يذكر أنه شهد موضوع سعيد بن زياد الملقب بابن القطاس بين
سنتي ٢٢٦ و ٢٣٠ وهو أيضا يروى عن أبيه الذي مات
سنة ٢١٩ هـ . لذلك فإن تاريخ مولده لا يمكن أن يكون قبل
سنة ٢١٠ هـ ، وقد توفي سنة ٢٨٢ هـ . ويقال انه روى أحاديث
انفرد بها دون سواه . وكان يجمع الأخبار من مصادر متعددة
وأربعة أخماس الأحاديث المنسوبة إليه انتقلت الى الكندى عن
طريق ابن قديد ، وفي أكثر من موضوع يشير ابن قديد أنه نقل
من رقاع يحيى بن عثمان « حدثني ابن قديد أنه اتسخ من
رقاع يحيى بن عثمان بن صالح بخطه » . وفي بعض الأحيان
الأخرى ينقل ابن قديد من كتاب ليحيى بن عثمان ويذكر أن

الكتاب بخط يده « أخبرني ابن قديد عن كتاب يحيى بن عثمان
بخطه » .

٨ - ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الله بن
عبد الحكم ، أبو القاسم ، المتوفى سنة ٢٥٧ وهو المؤرخ
المصرى المشهور ، وكتابه أقدم ما وصل إلينا حتى اليوم ، وكان
ابن عبد الحكم ينتسب إلى أسرة من أعرق الأسرات في تاريخ
مصر في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، وأبوه عبد الله
ولد سنة ١٥٠/١٥٥ هـ^١ وتوفى سنة ٢١١ هـ ، وخلف أشهب
في رئاسة المدرسة المالكية في مصر ، ويبدو أن أخاه يدعى محمدا
قد احتل هذا المنصب واشتهر علمه وفقهه ، وبرز في هذا الميدان
أخوان له هما عبد الحكم وسعد ، وقد ألف عبد الله كتابا في
الفقه وألف محمد كتبا كثيرة كلها في الفقه ، وقد تعرضت الأسرة
لمحنة كبيرة في سنة ٣٣٧ هـ . وكانوا قبل ذلك بعشر سنوات
قد أصيبوا في محنة خلق القرآن في عهد الواثق . ولعله في هذا
الوقت بالذات حمل محمد إلى بغداد ليمثل أمام قاضي القضاة
ورفض أن يستجيب وأعيد إلى مصر ، وبعد ذلك بنحو سنة
اتهمت الأسرة باغتصاب مال لعلی بن عبد العزيز الجروي ،
ويبدو أن الكندي كان يعرف كتاب ابن عبد الحكم فتوح مصر
وكان ابن قديد أستاذ الكندي أحد الرواة عن عبد الرحمن
ابن عبد الحكم .

(١) الفهرست ص ٢٨١

٩ - ابن السرح : أحمد بن عمرو بن السرح ، أبو الطاهر مولى بنى أمية ، يبدو أنه ولد حول سنة ١٧٠ هـ لأنه يصفه الفضل بن فضالة بقوله : « رأيت الفضل وأنا صبي ، رجل أبيض عليه وفرة جسيم كأنه من رجال المغرب يعتم بعمامة سوداء على قلنسية طويلة » ، وقد مات ابن السرح سنة ٢٥٠ هـ وقد روى عنه أغلب أصحاب كتب الصحاح عدا البخارى .

١٠ - ابن بكير : يحيى بن عبد الله بن بكير أبو زكريا المخزومي ولد سنة ١٥٤ هـ ومات سنة ٢٣١ هـ ، وكان من أخلص أصدقاء القاضى العمري (١٨٥ - ١٩٤) ، ودخل الحبس بسبب ذلك سنة ١٩٤ هـ ، وهو على كل حال من أفضل أهل مصر وكان له الرأى الأول عندما عقد ابن طاهر مجلسا لاختيار أحد القضاة .

ومن رواة هذه الطبقة أيضا : أحمد بن سعد بن أبى مریم (ت . ٢٥٣) ، والحارث بن مسكين قاضى مصر (ت . ٢٥٠) ، وحرملة بن يحيى التجيبى (ت . ٢٤٤) ، والربيع الجيزى (ت . ٢٥٦) ، وعيسى بن لهيعة بن عيسى ، تولى القضاء سنة ٢٣٧ . ومحمد بن داود بن أبى ناجية المهري (ت . ٢٥٠) ، ومحمد ابن رمح التجيبى (ت . ٢٤٢) . وهارون بن سعيد الأيلى . (ت . ٢٥٣) ، ويحيى بن أيوب العلاف الخزرجى (ت . ٢٨٩) .

الطبقة الثالثة من رواة الكندى :

١ - ابن عفير : سعيد بن كثير بن عفير ، أبو عثمان الأنصارى ولد سنة ١٤٦ هـ وتوفى سنة ٢٢٦ هـ ، كان يروى الحديث

عن مالك ، فقيها عالما بالأنساب والتاريخ والشعر ، وذكر السيوطى أنه تولى القضاء . قال ابن طاهر : أعاجيب مصر ثلاثة النيل والأهرام وابن عفير . وذكر المقرئى حديثا جرى بينه وبين المأمون عندما زار مصر سنة ٢١٧ هـ . والسيوطى يضعه فى قمة مؤرخى مصر الاسلامية وقد وردت فى الولاية والقصة أحاديث كثيرة منسوبة اليه ، وكان يروى عن ابن لهيعة وعن غيره .

٢ - عثمان بن صالح بن صفوان أبو يحيى السهمى المتوفى سنة ٢١٩ هـ . وكان محدثا مشهورا . أشار اليه صاحب الخطط بما يلقى الضوء على الطريقة التى كان يكتب بها التاريخ فى مصر ، فالمقرئى ينقل عن أبى خليفة حميد بن هشام البحرى تفاصيل عن البقط المفروض على أهل النوبة وذلك برواية عثمان بن صالح .

٣ - ربيعة بن الوليد بن سليمان الحضرمى : ابن عم غوث ابن سليمان ، ولى القضاء ثلاث مرات بين سنة ١٣٥ و ١٦٨ ، ويبدو من نصوص الكندى أنه كان ذا أهمية خاصة فى مصر فى سنة ١٨٨ ، وأنه عاش حتى سنة ٢٠٤ ، وكان ربيعة وأبو الوليد من رواة الأحاديث التى وردت فى كتاب القضاء .

٤ - عبد الله بن يوسف التنيسى : المتوفى سنة ٢١٨ هـ وهو يروى بعض الأحاديث عن ابن لهيعة .

٥ - الميسرى : عبد العزيز بن عبد الرحمن أبى ميسرة الحضرمى ، وأبو عبد الرحمن بن ميسرة مولى من حضرموت ،

ولد سنة ١١٢ هـ ومات سنة ١٨٨ وهو أول من علم طريقة نافع في القراءة في مصر .

٦ - ابن وهب : عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي ولد سنة ١٢٤ هـ ومات سنة ١٩٧ وكان فقيها ومحدثا ومن أبرز تلاميذ مالك رحل اليه سنة ١٤٨ وبقي في المدينة حتى مات. الامام ، وألف كتابين في الحديث ، وقد أجبر على تولى القضاء في مصر سنة ١٩٦ ولكنه رفض .

ومن رواة هذه الطبقة أيضا - ابراهيم بن أبي أيوب عاش من سنة ٢٣٧ الى سنة ٢٤٥ ، و ابراهيم بن عليّة وأحمد بن عبد الرحمن بن وهب (ت . ٢٦٤) واسحق بن الفرات (ت . ٢٠٤) وسعيد بن أبي مريم ولد سنة ١٤٤ وتوفي سنة ٢٢٤ و قد ألف ثلاثة كتب في التاريخ أشار اليها ابن النديم . وشه ابن الليث بن سعد (ت . ١٩٩) ، وأبو زرعة عبد الأحد الليث القتباني ، وعبد الله بن يزيد المقرئ (ت . ٢١٣) وعلى ابن معبد بن شداد (ت . ٢٧٣) ، وفضالة بن الفضل ، ونصر ابن مزاحم .

الطبقة الرابعة من رواة الكندي :

١ - عبد الرحمن أبو الميسري .

٢ - المفضل بن فضالة ، أبو معاوية الرعيني القتباني ولد سنة ١٠٧ وتوفي سنة ١٨١ ، ولي القضاء مرتين مرة سنة ١٦٨ وأخرى سنة ١٧٧ وكان مالكا تقيا ورعا .

٣ - الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث الفهمي ،
ولد سنة ٩٤ وتوفي سنة ١٧٥ وأسرته من أصفهان ولكن
الليث نفسه ولد في قلقشندة بمصر وكان أبرز رجال عصره في
العلم رحل الى مكة سنة ١١٣ وبقيت المقدس سنة ١٤٠ وبعثاد
سنة ١٦١ ثم الى بغداد مرة أخرى سنة ١٦٩ ولقى عددا كبيرا
من التابعين وروى الأحاديث عنهم ، ومن شيوخه : يزيد بن
حبيب وعبيد الله بن أبي جعفر ، وكان على صلة بالامام مالك
ويعتبره البعض أعرف من مالك في الفقه . ويقال انه أنشأ مذهبا
أهمل فيما بعد . واشتهر الليث في صدر شبابه فقد عهد اليه
الوليد بن رفاعه ببعض المناصب وهو في الرابعة والعشرين سن
عمره واختير سنة ١٢٨ هـ مؤدبا لأحد الأمراء ، ونعم برضا
الخليفة العباسي واعتزل القضاء ، ولم يكن الولاية يقطعون أمرا
دونه . وكان الخلفاء يعزلون القاضي اذا غضب عليه الليث .
وكان حريصا في جمع أحاديثه وروايتها يتجنب التدليس في
الاسناد ، وقد مدحه مالك والشافعي وابن حنبل ، وكان
يستخدم الكتب والمدونات . وقد بدأ الليث يدون الأحاديث
منذ صباه ، وكانت لديه كتب بالأحاديث التي جمعها وكان
يعتمد على الذاكرة ، وله كتاب المسائد وكتاب التاريخ الذي
أشار اليه صاحب الفهرست ، وهو من أهم مصادر كتاب الولاية .
ومن الرواة ولداه شعيب ويس ، ومن أحفاده عبد الملك بن
شعيب .

٤ - ابن لهيعة : عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن لهيعة بن

فرعان أبو عبد الرحمن الحضرمي الغافقي ولد سنة ٩٦ ومات سنة ١٧٤ وكان معاصرا لليث ، وأصله من حضرموت ، وكان لهيعة أبوه المتوفى سنة ١٠٠ هـ من أشهر التابعين في مصر ، ويبدو أن قبيلته جاءت مصر مع الفتح وقد صحب الليث في حجه الى مكة سنة ١١٣ هـ وقد لقي عددا كبيرا من التابعين وكان مغرما بجمع الأحاديث وكان يضع خريطة حول رقبته يجمع فيها الأحاديث لذلك سمي « أبا خريطة » ، وكان من شيوخه يزيد بن أبي حبيب وكان ثقة عند البخاري والنسائي وابن سعد شك فيه في بعض الأحيان في حين وثق به الأوزاعي والثوري وابن وهب ، وقد اتهم بالتدليس في الاسناد ونسبة الأحاديث الى نفسه ، وكان يآلف الكتابة وقد أشار الكندي الى الحريق الذي شب في منزله سنة ١٧٠ وأثنى على كنهه .

٥ - الوليد بن سليمان الحضرمي .

ومن رواة هذه الطبقة أيضا : ابراهيم بن نسيط الوعلاني (ت . ١٦٢) . وبكر بن مصر (ولد سنة ١٠١ وتوفي سنة ١٧٤) وحرملة بن عمران التجيبي ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٦٠ ، وحيوة بن شريح المتوفى سنة ١٥٨ ، وخالد بن حميد المهري (ت . ١٦٩) . وسعيد بن أبي أيوب الخزاعي (ت . ١٦١) ، وسفيان بن عيينة توفي سنة ١٩٨ ، وطلق بن السمح (ت . ٢١١) ، وعبد الله بن المسيب العدوي (ت . ١٧٠) ، وغوث بن سليمان الحضرمي (ت . ١٦٨) ، وعبد الله بن المبارك (ت . ١٨١) ، وأبو مخنف لوط بن يحيى وهو المؤرخ المشهور الذي أشار

اليه الطبرى ، وقد ألف فى التاريخ وتوفى سنة ١٣٠ هـ ، وابن
أبى مليكة عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله (ت . ١٢٧) وموسى
ابن على اللخمي (ت . ١٦٣) ، والهيثم بن عدى الطائى (ت .
٢١٠) ، ومحمد بن عمر الواقدى (ت . ٢٠٧) ، ويحيى بن
أيوب الغافقى (ت . ١٦٣) .

الطبقة الخامسة من رواة الكندى :

١ - عبد الكريم بن الحارث الحضرمى (ت . ١٣٦) فى
برقة ، ويذكر السيوطى أنه كان أستاذ الليث ، وقد روى الليث
عنه خمسة أحاديث .

٢ - الحارث بن يزيد الحضرمى : والد عبد الكريم (ت .
١٣٠) فى برقة .

٣ - عبيد الله بن أبى جعفر : مولى بنى أمية ولد سنة ٦٠ هـ
ومات سنة ١٣٢ هـ وكان معاصرا ليزيد بن أبى حبيب .

٤ - يزيد بن أبى حبيب : أبو رجاء مولى الأزدي ولد سنة
٥٣ هـ ومات سنة ١٢٨ هـ ، وكان نوبى الأصل ، وكان أبوه سويدا
قد أسر فى حملة دقلة سنة ٣١ هـ وكان يزيد عبدا لشريك بن
الطفيل العامرى ثم أعتقه ، وقد لقي عبد الله بن الحارث آخر
صحابى بقى بمصر ، كان فريدا عصره فى الفقه وأول من بين الحلال
والحرام بعد أن كان رواة الحديث قبله يعمدون الى الترغيب
والترهيب والملاحم والفتن . كان أحد من عهد اليهم الخليفة
عمر بن عبد العزيز بالفتيا فى مصر ، وقد اغتاز العرب لتفوق

هذا المولى . وكان أهم من تنسب اليهم الأحاديث التي وردت
في كتاب الولاية .

ومن رواية هذه الطبقة أيضا : جعفر بن ربيعة (ت . ١٣٦)
تولى الفتيا مع يزيد بن أبي حبيب في عهد عمر بن عبد العزيز
والحجاج بن شداد الصنعاني المتوفى سنة ١٢٦ والحسن بن
ثوبان الهوزني المتوفى سنة ١٤٥ وسعيد بن يزيد القتباني المتوفى
سنة ١٥٤ وابن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤ وعلى بن ربيعة
اللخمي المتوفى سنة ١١٤ هـ وعمرو بن دينار المكي المتوفى سنة
١٢٦ هـ ، وأبو فارس يزيد بن رباح المتوفى سنة ٩٠ هـ
وأبو قاييل المعافري المتوفى سنة ١٢٨ هـ ومجالد المتوفى سنة
١٤٤ هـ ، ونافع بن يزيد الكلاعي المتوفى سنة ١٦٨ هـ ، ويونس
ابن يزيد الايلي المتوفى سنة ١٥٩ .

الطبقة السادسة والسابعة من رواية الكندي :

وهم من الصحابة والتابعين :

١ - حسين بن شفى بن مطيع الأصبحي المتوفى سنة ١٢٩ هـ ،
وكان حيوة بن شريح يزوره مرة فوجده في غاية الألم بسبب
استيلاء بعضهم على كنب له ، وكان أبوه شفى قد قرأها على
عبد الله بن عمرو بن العاص ، ومن هذه الكتب كتاب تفسر
أقضية الرسول ، وآخر بعنوان قال الرسول .

٢ - حنش بن عبد الله السبأى المتوفى سنة ١٠٠ هـ .

٣ - تبيع بن عامر الحميري المتوفى سنة ١٠١ هـ .

- ٤ - الشعبي ولد سنة ١٩ هـ ومات سنة ١٠٤ هـ .
- ٥ - عبد الله بن عمرو بن العاص المتوفى سنة ٦٥ هـ كان صحابيا وحضر مع أبيه فتح مصر وكان من أعظم أهل العلم في عصره وكانت أسرته تحتفظ بنحو من مائة حديث .
- ٦ - عبد الله بن عبد الرحمن بن حجيرة قاضي مصر ٩٠ - ٩٣ هـ .
- ٧ - عبد الرحمن بن حجيرة المتوفى سنة ٨٣ هـ .
- ٨ - عقبة بن عامر الجهني المتوفى سنة ٥٨ هـ .
- ٩ - عطاء بن دينار الهذلي المتوفى سنة ١٢٦ هـ .
- ١٠ - عمار بن سعد التجيبي المتوفى سنة ١٠٥ هـ .
- ١١ - مجاهد بن جبر المكي المتوفى سنة ١٠١ هـ .



القسم الثاني
كتاب الولاية وكتاب الفضة

أفرد الكندي القسم الأول من الكتاب لأخبار الولاية الذين تولوا أمور البلاد منذ تمام الفتح حتى سنة ٣٣٥ هـ ١ ، وهي السنة التي كف فيها عن الكتابة لسبب غير معروف على وجه التحقيق . اذ ثبت أنه مات بعد ذلك بخمس عشرة سنة . وأغلب الظن أنه كف عن الكتابة لطارئ ألم به ، ولعله طارئ العلة والمرض ، بدليل أن الذين أتموا كتابه حتى سنة ٣٥٨ هـ ٢ كانوا يتحدثون باسمه ويروون عنه .

وأفرد القسم الثاني للرجال الذين تولوا القضاء في مصر وساق أخبارهم مؤرخة تأريخا متتابعا حتى انتهى بأخباره حتى سنة ٢٤٦ هـ ٣ وهي السنة التي ولى فيها القضاء بكار بن قتيبة من قبل المتوكل . ثم كف عن الكتابة أيضا وأتم عمله وذيل عليه أبو الحسن أحمد بن عبد الرحمن بن برد ، وساق أخبار القضاة في مصر حتى سنة ٤٢٣ هـ ٤ .

وأهمية هذا المؤلف بصفة خاصة حرصه على التسلسل في الرواية وتتبع الخبر الى منابعه الأولى في أمانة المحدث ونزاهة القاضي حتى لا تكاد نشعر باتجاهه الخاص الا في مناسبات

(١) كتاب الولاية ص ٣٩٣

(٢) كتاب الولاية ص ٢٥٨

(٣) الولاية ص ٤٧٦

(٤) القضاة ص ٥٠٠

قليلة ، وليس هذا في الأخبار السابقة على عصره بل في الأخبار التي عاصرها . والمرء ليشعر بالصدق ينبع من كل كلمة قالها حتى ليندر أنه قال (فيما أظن) أو فيما أعلم ذلك أنه اذا وجد سندا روى واذا لم يجد سندا سكت ، وهو يدل على المرحلة المتفوقة التي بلغتها مدرسة التاريخ في مصر في ذلك العهد والثقة التي حازتها في العالم الاسلامي كله .

وهو يحرص أشد الحرص على توقيت الحوادث توقيتنا دقيقا باليوم والشهر والسنة ، ومن النادر أن تجد خبرا رواه الا ويؤرخه تاريخ العارف المتمكن الأمر الذي يدل على أنه كان ينقل من مظان لا يرقى اليها شكه . فهو أشبه بالتقويم المصرى الاسلامي المتتابع الذي يدير التاريخ في دقة وأمانة منذ الفتح حتى السنة التي اتمى اليها .

ولم يتنكب هذا النهج في كتابه القضاة ، اذ نجد فيه نفس الحرص على السند والرواية ونفس الحرص على ضبط التواريخ مع العلم الغزير والبصيرة النفاذة والسرمد المسلسل الممتع .

لهذا آثرت أن أستخلص الأحداث السياسية التي وقعت في مصر منذ الفتح حتى السنة التي اتمى اليها الكتاب مرتبة كما رتبها المؤرخ مع الحرص على اثبات التواريخ التي حرص على اثباتها مع اسقاط السند وحذف الشعر الذي حفل به الكتاب لأضع بين يدي القارئ نفس المادة التي أراد المؤرخ أن يبسطها مع شيء من الترتيب والتعليق .

وآثرت أيضا أن أؤرخ للقضاء في مصر في هذه الفترة التي تناولها المؤرخ مع الحرص على إبراز التطور واظهار التقاليد التي نمت على مختلف العصور حتى وصل القضاء الى المرتبة التي انتهى اليها الشيخ الكندي .

وعسى أن يؤدي ذلك كله الى القاء مزيد من الضوء على هذه الفترة الهامة من تاريخ مصر العربية ، فترة تكوين الحضارة وارساء جذور المجتمع .

أولا - الأحداث السياسية مستخلصة من كتاب الولاة

(١)

الفتح العربي لمصر

يتحدث الكندي^١ عن اتصال العرب بمصر قبل الفتح واختلاف عمرو بن العاص الى الاسكندرية متاجراً واهتمامه بأمر البلاد وهو في بلاد الشام ومعرفته بما سادها من اضطراب في العصر البيزنطي الأخير وهو يقول على لسانه : « .. انى عالم بها وبطرقها وهى أقل شىء منعة وأكثر أموالا .. » ويؤكد الكندي أن اعداد العرب لفتح مصر لم يكن مفاجئاً ولا عفويًا. انما بعد تدبر واستعداد سابق . ويعرض لاتصالات عمرو بالخليفة بشأن فتح هذه البلاد والخطاب عمر بن الخطاب الى عمرو وهو عند العريش وللقصة الشائعة من حبس عمرو للكتاب لا يتلوه حتى نزل العريش فقال عمرو « الحمد لله أية أرضه هذه : قالوا مصر » فقرأ كتاب الخليفة .

ويشير الى فتح الفرما والتقدم الى بليس والى قتال الروم بها وسير العرب الى أم دنين والى حصار حصن بابليون والأمداد التى تلقاها المسلمون وأن عمرو حاصر الحصن سبعة أشهر ، وأنه تم الاستيلاء على الحصن فى يوم الجمعة مستهل المحرم

(١) كتاب الولاة ص ٧ - ٩

سنة ٢٠ هـ وأن عدة جيش المسلمين عند الحصار كانت خمسة عشر ألفاً وخمسمائة وأن من تقاسم الفيء منهم ١٢,٣٠٠ ومعنى هذا أن خسائر المسلمين في هذه المعركة الكبيرة بلغت نحواً من ٢٧٠٠ من الشهداء « كان الذين جرت سهامهم في الحصن من المسلمين ١٢ ألفاً وثلاثمائة بعد من أصيب منهم في الحصار بالقتل » .

ثم تحرك الجيش زاحفاً الى الاسكندرية في ربيع الأول سنة ٢٠ هـ، وأشار الى حصار الاسكندرية ثلاثة أشهر والى دخول الاسكندرية مستهل سنة ٢١ هـ . والى غزوات عمرو بن العاص نحو الغرب مستهلاً الاتجاه العربى نحو فتوح المغرب وأنه فتح برقة صلحا سنة ٢١ هـ ومضى منها الى طرابلس وفتحها عنوة سنة ٢٢ أو سنة ٢٣ حسب رواية الكندى .



(٢)

عصر الراشدين ١

دخلت مصر بعد تمام الفتح دائرة النفوذ العربى فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب وكانت لعصر الراشدين صبغته الخاصة التى أملت عليه أسلوبه الخاص فى حكم البلاد الاسلامية عامة ومصر خاصة . فقد كان هذا العصر استمراراً للعصر النبوى

(١) الكندى : الولاة ص ١٠ - ٢١

وكان عصر التطبيق العالمى للدعوة الى الاسلام والتطبيق العملى لمبادئ الاسلام فى بيئات غير عربية . وقد وضعت أصول السياسة الادارية فى عصر الخليفة عمر وكانت سياسته الادارية هدفها الرقابة الشديدة على الولاية ، فلم يكونوا حكاما مدنيين فحسب أو قواداً فحسب انما دعاة الى الاسلام . فكان الوالى يختار من أكثر الصحابة فضلا وأعظمهم إيمانا . وكانوا يعزلون مخافة أن يؤدي طول مقامهم الى نوع من الاعتداد بالنفس ، ويراقبون مراقبة دقيقة وتحصى أموالهم قبل الولاية وبعدها ، ويقاسمون الأموال اذا ظهرت عليهم أعراض الشراء . وقد نظمت أمور الحكم فى مصر فاستقرت قواعد الولاية ونظمت الشرطة وأحكام الجزية والخراج واستقرت قواعد القضاء ووضحت العلاقات بين مصر وبين الخلافة . وفى هذا العهد تقضى البيزنطيون هدنة الاسكندرية وعادوا الى الهجوم على انبلاد واتجه العرب الى غزو النوبة ووضعوا لعلاقات مصر بالنوبيا الأصول والقواعد وظهرت البحرية الاسلامية فى مصر ودخلت معركة ذى الصوارى سنة ٣٤ هـ . ثم لاحت نذر فتنة عثمان . والكندى يسوق أصح الروايات وأصدقها ويتحدث عن افعال المصريين بأحداث الفتنة ومشاركتهم فيها وموقف العرب منها ويشير الى الوقائع التى حدثت والدماء التى أريقت الى أن انتهى الأمر بمقتل عثمان وامتداد سلطان على الى مصر والنزاع بين على ومعاوية والى استيلاء معاوية على مصر وتولى عمرو أمورها للمرة الثانية .

وإليكم رواية الكندي :

ثم توفي أمير المؤمنين عمر في ذي الحجة سنة ٢٣ وتمت البيعة لعثمان وتوليته عبد الله . ويشير الكندي الى تقض الروم لشروط الهدنة وعودتهم لغزو الاسكندرية بقيادة عمانويل والى رد عمرو بن العاص لمصر لمعرفة بحربهم وطول ممارسته للحرب وقد حارب الروم بالاسكندرية ثم فتحها عنوة سنة ٢٥ هـ ، والى عودة العرب لغزو افريقية في عهد عبد الله بن سعد سنة ٢٧ ، والى قتل والى جرجير ، وقد بلغ سهم الفارس في هذه الغزوة ثلاثة آلاف دينار والراجل ألف دينار ، ثم كانت فتوح النوبة وغزو دقلة « وغزوة الأسود » في سنة ٣١ ، وعقدت الهدنة مع أهل النوبة ولم يكن العهد مكتوبا « ليس بين أهل مصر والأساود عهد انما كانت هدنة امان بعضنا من بعض : نعطيهم شيئا من قمح وعدس ويعطوننا رقيقا ولا بأس بما يشتري من رقيقهم منهم ومن غيرهم »^١ .

ثم أحرز المسلمون التفوق البحري في غزوة ذى الصواري سنة ٣٤ وكان أسطول العدو يقوده قسطنطين في ألف مركب ، ويقال في سبعمائة والمسلمون في مائتي مركب ، وهزم الروم وسميت الغزوة ذات الصواري لكثرة صواري المراكب .
ويشير الكندي الى بداية فتنة عثمان والى تكلم الناس

(١) الكندي : الولاة ص ١٢

بالطعن على عثمان ورحيل عبد الله بن سعد الى عثمان في وجوه الجند سنة ٣٥ . ثم يتناول الفتنة العثمانية والأثر الذي تركته في مصر في ذلك الوقت والى خروج محمد بن أبي حذيفة في شوال سنة ٣٥ ، وطرده عقبة بن عامر من الفسطاط ودعوته الى خلع عثمان والتحريض عليه والى أن ابن أبا حذيفة كان يكتب الكتب على السنة أزواج النبي ثم يأخذ الرواحل فيضمها (يجعلها ضامرة) ثم يأخذ الرجال الذين يريد أن يبعث لذلك معهم فيجعلهم على ظهور البيوت فيستقبلون الشمس بوجوههم لتلوحهم تلويح المسافر ثم يأمرهم بالخروج الى طريق المدينة عصر . ثم يرسلون رسلا يخبرون بهم الناس ليلقوهم . وقد أمرهم اذا لقيهم الناس أن يقولوا ليس عندنا غير الخبر في الكتب ، ثم يخرج محمد بن أبي حذيفة وكأنه يتلقى رسل أزواج النبي فاذا لقوهم قالوا : لا خبر عندنا عليكم بالمسجد فيقرأ عليهم كتب أزواج النبي فيجتمع الناس في المسجد ، ثم يقوم القارىء بالكتاب فيقول : انا لنشكو الى الله واليكم ما عمل في الاسلام وما صنع في الاسلام فيقوم أولئك الشيوخ من نواحي المسجد بالكاء .

ويشير الى جذور العثمانية في مصر بزعامة معاوية بن حديج وخارجة بن حذافة ويسر بن أبي أرطاة ومسلمة بن مخلد الأنصاري وعمرو بن قحزم الخولاني ومقسم بن بجيرة وسعد ابن مالك الأزدي وخالد بن ثابت الفهدي ولم يكن عددهم

كبيراً . ويشير الى محاولة اتصالهم بعثمان. وما كان من بعث
عثمان سعد بن أبي وقاص ليصلح بين الفريقين فأساء الثوار
معاملته « فقلبوا عليه فسطاطه وشجوه وسبوه فركب راحلته
وعاد راحلا من حيث جاء »^١ . وعاد عبد الله بن سعد حتى اذا
بلغ جسر القلزم وجد فيه خيلا لابن أبي حذيفة فمنعوه من
الدخول فانصرف الى عسقلان وكره أن يرجع الى عثمان فقتل
عثمان وهو بعسقلان ثم مات بها .

وعرض الكندي للجيش الذي بعثه ابن أبي حذيفة الى
عثمان واختار من أهل مصر ستمائة رجل على كل مائة منهم
رئيس وجبس أنصار عثمان في دورهم ثم قتل عثمان في
ذي الحجة سنة ٣٥ هـ وعاد الوفد الذي أراد أن يرسله الى
الحجاز ودخلوا الفسطاط فلما دخلوا المسجد صاحوا انا لسنا
قتلة عثمان ولكن الله قتله .

وأشار الكندي الى الفتنة التي حدثت في مصر بعد مقتل
عثمان اذ قام شيعته وعقدوا لمعاوية بن حديج عليهم وبايعوه
على المطالبة بدم عثمان .

وساروا الى الصعيد وبعث اليهم ابن أبي حذيفة خيلا فالتقوا
بدقناش من كورة البهنسى وهزم أصحاب ابن أبي حذيفة .
ومضى معاوية بن حديج حتى بلغ بركة ثم عاد الى الاسكندرية .
وأعد ابن أبي حذيفة جيشا آخر بقيادة قيس بن حرملة اللخمي
فنشب القتال في خربتنا أول يوم من شهر رمضان سنة ٣٦ هـ .

(١) الكندي : الولاة ص ٩٧ .

وذكر أن معاوية بن أبي سفيان سار الى مصر ونزل سلمنت
يكورة عين شمس في شوال سنة ٣٦ ، فخرج ابن أبي حذيفة
ليمنعه من الدخول فبعث اليه معاوية « انا لا نريد قتالا ، انما
جئنا نطلب تسليم قتلة عثمان : عبد الرحمن بن عديس وكنانة
ابن بشر ، فامتنع الثوار فقال معاوية لابن أبي حذيفة « اجعل
بيننا وبينكم رهنا فلا يكون بيننا وبينكم حرب » فرضى الثوار
بذلك واستخلف ابن أبي حذيفة على مصر الحكم بن الصلت
ابن مخزومة وخرج في الرهن هو وابن عديس وكنانة بن بشر
وغيرهم من قتلة عثمان فلما بلغوا اللد سجنهم معاوية بها وسار
الى دمشق فهربوا من الحبس وتبعهم صاحب فلسطين فقتلهم
وذلك في ذى الحجة سنة ٣٦ .

ثم تحدث عن حكومة على بن أبي طالب في مصر وكيف ولي
قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري في مستهل ربيع الأول سنة ٣٧
واستمال العلويون أنصار عثمان بخربتنا وبعث اليهم قيس
اعطيائهم واستقبل وفودهم -

واستطاع قيس هذا أن يرد كيد معاوية وعمرو عن مصر ولكن
معاوية تغلب عليه بالدهاء والمكايدة وذكر الكندي حديث معاوية
عن مكائده قيسا والقضاء عليه ، فقال ان معاوية قال لأهل الشام
لا تسبوا قيسا ولا تدعوا الى غزوه فان قيسا لنا شيعة تأتينا
كتبه ونصيحته ، ألا ترون ماذا يفعل باخوانكم بخربتنا يجرى
عليهم اعطيائهم وأرزاقهم . وقال معاوية وطفقت أكتب بذلك الى

شيعتى من أهل العراق . فسمع بذلك جواسيس على بالعراق فاتهم على قيسا وبعث اليه يأمره بقتال أهل خربتا وبها عشرة آلاف فارس من أنصار عثمان فأبى قيس قتالهم وكتب الى على ان كنت تتهمنى فأعزلى وابعث غيرى فعزله لخمس خلون من رجب سنة ٣٧ وولى الأشر مالك بن الحارث ولكنه مات مسموما في مدينة القلزم ، واستمرت سيادة على بن أبى طالب في مصر وولى عليها محمد بن أبى بكر الصديق في رمضان سنة ٣٧ . وقد كتب الى انصار عثمان يدعوهم الى بيعته فلم يجيبوه وهموا بحاربه لولا ان صالحهم على أن يسيرهم الى معاوية وأن ينصب لهم جسرا بنقيوس يجوزون عليه ولا يدخلون القسطنطين ففعلوا ولحقوا بمعاوية .

ويشير الكندى الى أمر التحكيم بين على ومعاوية ويبدى ملاحظة مزينة وهى أنه لما أجمع على ومعاوية على الحكيم أغفل على أن يشترط على معاوية أن لا يقاتل أهل مصر فلما انصرف على الى العراق بعث معاوية عمرو بن العاص سنة ٣٨ الى مصر ومعه أهل دمشق وأهل فلسطين والمصريين أنصار عثمان وعلى رأسهم معاوية بن حديج وأهل الأردن. فالتقوا بقوات محمد ابن أبى بكر بالمسناة ١ في صفر سنة ٣٨ وقتل محمد بن أبى بكر وبعث معاوية بن حديج بسليم مولاة الى المدينة يثيرا بقتل محمد بن أبى بكر .



(٣)

الحكم الأموي في مصر ١

ثم حدثت التطورات التي أشرنا إليها بعد مقتل الخليفة عثمان ابن عفان وما أدت إليه من وضع نهاية لعصر الراشدين بطبيعته ومثله وتقاليده وقضى العرب نحو خمس سنوات في فتن وحروب داخلية متصلة بين علي ومعاوية وانهى الأمر بانتصار معاوية وتولية الخلافة بعد مقتل علي وتنازل الحسن .

هذه التطورات جعلت للعصر الأموي طابعا خاصا ميزه عن العصر السابق . فالخلافة لم تنتقل الى الأمويين انتقالا طبيعيا اعتمادا على الأجهزة الإسلامية في الحكم انما قامت على القوة والاعتصاب ، ومعاوية لم يكن أصلح الصحابة أو أكثرهم تقوى انما استند في الحكم على وفرة الجند والمال وانتهى الأمر باهدام أهم ركن من أركان الخلافة حين أخذ البيعة لابنه يزيد .

لهذا كان لزاما أن تتغير الخطوط الرئيسية للسياسة العربية التي أشرنا إليها في عصر الراشدين لتستجيب للظروف الجديدة . فالسياسة الإدارية مثلا تغيرت تغييرا مطلقا ، فلم تعد مركزية كما رأينا ، فالخليفة في دمشق لم يعد يقدر على السيطرة على دولة امتدت أطرافها الى الأندلس غربا والى الهند شرقا ولا يستطيع بمفرده أن يواجه هذه الفتن والثورات ، لذلك أعطى الأمويون

(١) الكندي : الولاة ٢١ - ٩٧ .

الولاية سلطة مطلقة وكان لهؤلاء الولاة سلطان الخليفة نفسه
يضاعفون الضرائب ويقضون على الثورات ويجندون الجند ،
ومن أجل أن تتاح لهم الفرصة لتنفيذ هذه السياسة . لم تكن
الدولة تعزل الولاة بسرعة ، إنما كانت تطيل مدة حكمهم وبعضهم
بقى يحكم مصر نحو ثلاث عشرة سنة أو عشرين سنة لكي
تستقر أمورهم وينصرفون لتحقيق أهداف الأمويين . ولم يكن
هؤلاء الولاة يختارون من أصلح الناس إنما كان أكثرهم من
موالي الأمويين أي من شيعتهم أو أمرائهم ، وكانت الدولة مع
هذا تراقبهم مراقبة دقيقة عن طريق البريد الذي تحول في العصر
الأموي إلى أداة لمراقبة الولاة فإذا ثبت خروجهم عن سياسة
الدولة عزلوا وإذا ثبت الاخلاص أطلقت أيديهم .

هذه السياسة الادارية نجحت نجاحا عظيما وأتاحت للدولة
أن تبقى في الحكم نحو من ٩٢ سنة مع ضعف بعض الخلفاء
وكثرة الثورات والأزمات ويرى المؤرخون أن الولاة الأمويين في
مصر كانوا من أكثر الاداريين نجاحا .

ونلمح في كتابات الكندي خفايا الحياة الأموية واتجاهات
عصرهم ومشاكلهم . فهو يشير مثلا إلى بداية الاهتمام بفتوح
المغرب في ولاية عمرو الثانية وإلى تنظيم رباط الاسكندرية
ليواجه التوسع البحري للأمويين والغارات المتكررة للبحرية
البيزنطية ، وإلى نشاط الأمويين البحري وإشراك المصريين في
الحملة على رودس والقسطنطينية . ثم يشير إلى دعوة ابن الزبير
ودعوة الخوارج في مصر ومشاركة عرب مصر في هذه الأحداث

يوالي مجيء مروان بن الحكم الى مصر ودخوله القسطنطينية وتولية
عبد العزيز بن مروان ، والى حكومة عبد العزيز في مصر
وانشاء مدينة حلوان واصلاحات المسجد الجامع ، ثم الى بيعة
عبد الملك بن مروان والى بداية الحملات الكبرى على المغرب
في عهد حساني بن النعمان وموسى بن نصير والى تعريب الدواوين
في عهد عبد الله بن عبد الملك وانتزاع موازيت القبط عن الكور
واستعمال المسلمين عليها والى تجمع قبائل قضاة في ديوان
مستقل ، والى ثورات المصريين منذ عام ١٠٥ هـ كرد فعل لسياسة
الأمويين الاقتصادية ومضاعفتهم للخراج ، ثم الى قتل قبائل
قيس الى مصر وتوطينهم بالحواف الشرقية والى نشاط العلويين
في مصر منذ عام ١٢٢ هـ تمشيا مع نشاط الهاشميين في العالم
الاسلامي كله . ثم يشير الى انهيار الحكم الأموي بعد وفاة
هشام بن عبد الملك وما صحب ذلك من كثرة تغير الولاة
وثورات القبط وثورات العرب المستمرة واستعانة الدولة بعرب
الشام لاختتام هذه الثورات . كما يشير الى بداية انتشار
الاسلام في البريف وواقامة المناير في عواصم الكور ثم الى
انحلال الدولة في عهد مروان بن محمد ونجاح الثورة السياسية
وقدوم مروان الى مصر وهزيمة مصرعه بها وانتقال مصر الى
النفوذ العباسي .



واليكم رواية الكندي :

ثم كانت ولاية عمرو بن العاص الثانية بداية للحكم الأموي في مصر وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٣٨ هـ . وأشار الكندي الى مؤامرة بنى ملجم عبد الرحمن وقيس ويزيد على قتل علي ومعاوية وعمرو وتواعدوا لليلة من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ وكان يزيد هو صاحب عمرو وعرضت لعمرو تلك الليلة علة منعته من حضور المسجد فصلى خارجة بالناس فقتله يزيد ^١ .

وعاود عمرو اهتمامه بفتوح المغرب فبعث شريك بن سمي الغطيفي على غزو لواته من البربر فغزاهم سنة ٤٠ هـ ثم صالحهم ولكنهم خرجوا بعد ذلك فبعث اليهم عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري سنة ٤١ هـ ، كما عقد لعقبة بن نافع على غزو هوارة ، ولشريك بن سمي على غزو لبدة فغزوهما سنة ٤٣ هـ .

وقد توفي عمرو بن العاص ليلة الفطر سنة ٤٣ هـ وخلفه عتبة ابن أبي سفيان في ذي القعدة سنة ٤٣ هـ ، وظهرت المرابطة بالاسكندرية حين عقد عتبة لعقمة بن يزيد الغطيفي على الاسكندرية في اثني عشر ألف من أهل الديوان يكونون بها رابطة ، وخرج عتبة الى الاسكندرية مرابطا في ذي الحجة سنة ٤٤ هـ ، وبني بها دار الامارة في الحصن القديم ، وتوفي بها ودفن بمنية الزجاج ^٢ ، وخلفه عقبة بن عامر بن عبس الجهني

(١) الكندي : الولاة ص ٣٢

(٢) الكندي : الولاة : ص ٣٦

صاحب بغلة رسول الله الشهباء التي يقودها في الأسفار ، وكان عقبة قارئاً فقيهاً شاعراً ، له الهجرة والصحة والسابقة ، وقد تولى عقبة امرأة البحر ، وأمره معاوية أن يسير إلى رودس وولى مسلمة بن مخلد الأنصاري في شهر ربيع الأول سنة ٤٧ هـ .

ويشير الكندي إلى بداية اهتمام معاوية بأمر المغرب وأنه عقد لمسلمة بن مخلد على مصر والمغرب ، واشتهرت غزواته في البر والبحر ، وفي أمرته نزلت الروم البرلس سنة ٥٣ واستشهد في الحرب وردان مولى عمرو بن العاص وجمع كثير من الناس .

وولى معاوية عابس بن سعيد البحر فغزا أسطادنة وفي ولايته توفي معاوية في رجب سنة ٦٠ ، وخلفه يزيد فأقر مسلمة بن مخلد على مصر ، ولما توفي مسلمة بن مخلد في رجب سنة ٦٢ بعد ولاية استمرت خمس عشرة سنة وأربعة أشهر تولى سعيد بن يزيد مستهل شهر رمضان سنة ٦٢ ، ولم يرتح أهل مصر إلى سعيد بن يزيد ، ولم يزل الأمر كذلك حتى توفي يزيد بن معاوية سنة ٦٤ ودعا ابن الزبير إلى نفسه .

ويتحدث الكندي عن حركة ابن الزبير في مصر ومشاركة المصريين فيها فيشير إلى تأييد الخوارج لدعوة ابن الزبير^١ وكانوا يحسبونه على مذهبهم ، ورحل إليه وفد منهم وسألوه أن يبعث إليهم أميراً يقومون معه ويؤازرونه ، وأيد دعوة ابن الزبير فأس من أهل مصر وأرسل ابن الزبير عبد الرحمن ابن جحدم الفهري واقتزع الولاية من سعيد بن يزيد ، فكان

(١) الكندي : الولاية ص ٤٠

عبد الرحمن بن جحدم أول وال من قبل عبد الله بن الزبير ،
 ودخل مصر في شعبان سنة ٦٤ . ثم أشار الكندي الى بيعة
 مروان بن الحكم ببلاد الشام في ذي القعدة سنة ٦٤ هـ ، وسار
 مروان الى مصر ومعه خالد بن يزيد بن معاوية ، وبعث ابنه
 عبد العزيز في جيش الى أيلة ليدخل مصر من هذه الناحية ،
 وأجمع ابن جحدم على حربه وحفر خندقا حول الفسطاط وأظهر
 المهمة للدفاع عن مصر فأرسل المراكب في البحر الى الشام ،
 وأرسل جيشا عليه السائب بن هشام بن كنانة العامري وآخر
 عليه زهير بن قيس البلوي ليمنع عبد العزيز بن مروان .
 وانهمت جيوش ابن جحدم وضرب الحصار على الفسطاط ،
 ودارت وقائع تسمى أيام الخندق والتراويح لأن أهل مصر كانوا
 يقاتلون نوبا يخرج هؤلاء ثم يرجعون ثم يخرج غيرهم ٢ .
 وقتل كثير من أهل القبائل من أهل مصر وقتل من أهل الشام
 الى أن مشى قوم في الصلح بين أهل مصر وبين مروان على أن
 لا يكشف ابن جحدم على أمر جرى على يديه ويدفع اليه مالا
 وكسوة . فأجاب مروان الى ذلك وكتب لهم بيده كتابا يؤمنهم
 على جميع ما أحدثوه ، ودخل مروان الفسطاط لغرة جمادى
 الآخرة سنة ٦٥ ، وبايعه الناس الا نفر من المعافر تمسكوا بدعوة
 ابن الزبير وقتل منهم ثمانين رجلا . وأقام مروان بمصر شهرين
 ثم جعل ولايتها الى ابنه عبد العزيز وخرج مروان من مصر
 لهلل رجب سنة ٦٥ ، وخرجت مصر عن دعوة ابن الزبير

واستقام أميرها ووليها عبد العزيز بن مروان في رجب سنة ٦٥ هـ
ثم توفي مروان لهلال رمضان سنة ٦٥ هـ وبويع عبد الملك بن
مروان وأقر عبد العزيز على مصر . وبنى عبد العزيز الدار
المذهبة سنة ٦٧ هـ غرب المسجد الجامع ، ووقع الوباء بمصر
في سنة ٧٠ ، فخرج عبد العزيز فنزل حلوان فأعجبتته فاتخذها
مسكنا وجعل بها الحرس والأعوان والشرط وبنى الدور
والمساجد وعمرها أحسن عمارة وأحكمها وغرس كرمها ونخلها ؛
ولما غرس عبد العزيز نخل حلوان وأطعم دخله والجنود معه
جعل يطوف فيه ووقف على غروسه ومساقيه ، وقد اشترك
عبد العزيز في مصر في تصفية الفتنة الزيرية ، وفي سنة ٧٢ هـ
أرسل حملة بحرية الى مكة لقتال ابن الزبير وأميرها مالك بن
شراحيل الحولاني وهم ثلاثة آلاف رجل ، وقتل ابن الزبير في
جمادى الآخرة سنة ٧٣ هـ .

وأمر عبد العزيز بالزيادة في المسجد الجامع بمصر فهدم كله
وزاد فيه من جوانبه كلها وذلك في سنة ٧٧ هـ^١ .
وأشار الكندي الى حملات عبد الملك بن مروان على المغرب
والى صيرورة مصر قاعدة لهذا الزحف الكبير فذكر أن حسان
ابن النعمان الغساني قدم مصر بعهدده الى المغرب سنة ٧٨ هـ
فسأله عبد العزيز أن لا يعرض لطرابلس فأبى حسان ذلك
فعزله عبد العزيز وولى موسى بن نصير مولى لخم أمر المغرب
كله فسار موسى ففتح الله عليه الفتوح .

(١) الكندي ص ٥٤

وأشار الى مشكلة ولاية العهد في عهد الخليفة عبد الملك
الذى كتب الى أخيه يسأله أن يرفع له عن ولاية العهد ليعهد
الى الوليد وسليمان فأبى عبد العزيز ثم توفى عبد العزيز ليلة
الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ٨٦ هـ
ودفن بالفسطاط .

وكانت ولاية عبد العزيز عشرين سنة وعشرة أشهر
وثلاثة عشر يوماً .

وآلت الولاية الى عبد الله بن عبد الملك يوم الاثنين
لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ٨٦ هـ ، ولما
توفى الخليفة عبد الملك يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من
شوال سنة ٨٦ هـ بويج للوليد ، ثم أخذت له بيعة أهل مصر
وأقر أخاه على ولاية العهد ، وفى عهد عبد الله صدر الأمر
بالدواوين فمسخت بالعربية وكانت قبل ذلك تكتب بالقبطية ،
وصرف عبد الله أشناس عن الديوان وجعل عليه ابن يربوع
الفزارى من أهل حمص^١ .

وتولى قرّة بن شريك العبسى من قبل الوليد لثلاث عشرة
ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ٩٠ هـ ، وفى عهده حدثت
ثورة الشراة بالاسكندرية وكانت عدتهم نحو مائة وقد أطفأ
ثورتهم ، وورد أمر الوليد بالزيادة فى المسجد الجامع سنة ٩٢
وبدأ فى بناية المسجد فى شعبان سنة ٩٢ هـ وجعل على بنائه
يحيى بن حنظلة من بنى عامر . وكانوا يجمعون الجمعة فى

(١) الكندى ص ٥٩

قيسارية العسل حتى فرغ من بنائه ، ونصب المنبر الجديد في
الجامع سنة ٩٤ هـ فيقال انه لا يعلم اليوم في جند من الأجناد أقدم
منه بعد منبر رسول الله ، ومات قرّة لست بقين من شهر
ربيع الأول سنة ٩٦ هـ .

وخلفه عبد الملك بن رفاعة في وقت توفي فيه الوليد يوم
السبت لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ٩٦ هـ
وخلفه سليمان بن عبد الملك فأقر عبد الملك بن رفاعة على
صلاتها وخراجها .

ويشير الكندي الى وفاة سليمان بن عبد الملك في صفر
سنة ٩٩ هـ . ويبيّنة عمر بن عبد العزيز وعزل عبد الملك بن رفاعة ،
وبانت شارات حكم الخليفة عمر بن عبد العزيز فقال : دلوني
على رجل من أهل مصر له شرف وصلاح أوليه صلاتها ، فقيل
له : معاوية بن عبد الرحمن بن حديج وأيوب بن شرحبيل ،
قال : أى الرجلين أقصد ؟ قالوا : أيوب .

وكانت ولاية أيوب بن شرحبيل على الصلاة فقط في ربيع
الأول سنة ٩٩ هـ . وتحدث الكندي عن ملامح السياسة
العمرية في مصر حين ورد كتاب أمير المؤمنين بالزيادة في أعطيات
الناس عامة ، وقال لأيوب : « الصق ذلك بأهل البيوتات الصالحة
فان الناس معادن واقسم للغارمين بخمسة وعشرين ألف
دينار » ١ . واشترك المصريون في الحملة على القسطنطينية وكان
على أهل مصر أبو عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري ، وامتدت

(١) الكندي ص ٦٦

يد التعريب حتى الى القرى الصغرى ونزعت موازيت القبط
(عمد البلاد) عن الكور واستعمل المسلمون عليها .

وقبض عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لحمس بقين من رجب
سنة ١٠١ هـ وخلفه يزيد بن عبد الملك فأقره أيوب الى أن توفى
لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ١٠١ هـ ، وخلفه
بشر بن صفوان الكلبى لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان
سنة ١٠١ هـ ، وفي عهده نزلت الروم بتنيس .

ولما رأى بشر بن صفوان افتراق قضاة في القبائل كتب
الى يزيد بن عبد الملك يسأله الاذن له في استخراج من كان في
القبائل منهم فيجعلهم دعوة منفردة فأذن له يزيد فأخرج مهرة
من كندة وأخرج تنوخا من الأزد وأخرج آل كعب من قريش
وأخرج جهينة من أهل الراية وأخرج خسينا من لحم فجعلهم
مع سائر قضاة دعوة منفردة .

وتدوين بشر بن صفوان هذا هو التدوين الرابع ، لأن الأول
تدوين عمرو بن العاص ، والثانى تدوين عبد العزيز بن مروان ،
والثالث تدوين قرّة بن شريك ، والرابع هو هذا . ولم يكن
يعد هذا في الديوان شيئاً له ذكر الا ما كان من الحاق قيس فيه
زمن هشام وأشياء أحدثها المسودة (العباسيون) من أرباعهم
التي أحدثوها ١ .

وأشار الكندى الى امتداد سلطان مصر الى افريقية فقد
ورد كتاب يزيد بن عبد الملك على بشر بن صفوان بتأميره على

(١) الكندى ص ٧١

افريقية فخرج اليها في شوال سنة ١٠٢ هـ واستخلف أخاه
حنظلة على مصر .

ثم وليها حنظلة بن صفوان من قبل أخيه بشر وأقره يزيد
ابن عبد الملك ، وتوفي يزيد بن عبد الملك في شعبان سنة ١٠٥ هـ
وبويع هشام بن عبد الملك فاستقبل بخلافته شهر رمضان .

ثم تولى محمد بن عبد الملك بن مروان من قبل هشام على
صلاتها فقط يوم الأربعاء ١١ شوال سنة ١٠٥ هـ ، ثم وليها
الحر بن يوسف من قبل هشام على صلاتها فقط في ٣ ذى الحجة
سنة ١٠٥ هـ .

ويشير الكندي الى ثورات المصريين بسبب زيادة الخراج
في عصر هشام بن عبد الملك ، ذلك أن عبد الله بن الحبحاب
صاحب خراجها كتب الى هشام بأن أرض مصر تحتل الزيادة
فزاد على كل دينار قيراطا فانتقضت كورة تنو وتمى وقريظ
وطراية وعامة الخوف الشرقى .

وبعث اليهم الحر بأهل الديوان فحاربوهم فقتل منهم بشر
كثير وذلك أول انتفاض القبط بمصر ، وكان انتفاضهم في
سنة ١٠٧ هـ .

ثم تولى حفص بن الوليد من قبل هشام على صلاتها فقط
فلم يمكث طويلا ، ووليها عبد الملك بن رفاعه من قبل هشام على
صلاتها يوم الجمعة ١٢ ليلة بقيت من المحرم سنة ١٠٩ هـ ، ووليها
الوليد بن رفاعه على صلاتها سنة ١٠٩ هـ ، وفي عهد الوليد تقلت

فيس الى مصر سنة ١٠٩ هـ ١ ، ولم يكن منهم أحد قبل ذلك الا من كان من فهم وعدوان ، فوفد ابن الجبحاب على هشام فسأله أن ينقل اليها منهم أبياتا فأذن له هشام في الحاق ثلاثة آلاف منهم وتحويل ديوانهم الى مصر على ألا ينزلهم الفسطاط ، ففرض لهم ابن الجبحاب وقدم بهم ، فأنزلهم الحوف الشرفى وفرقهم فيه .

قدوم قيس الى مصر في عهد هشام بن عبد الملك :

ان عبيد الله بن الجبحاب لما ولاه هشام مصر قال : ما أرى لقيس فيها حظا الا لناس من جديلة وهم فهم وعدوان ، فكتب الى هشام : ان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قد شرف هذا الحى من قيس ونعشهم ورفع من ذكرهم ، وانى قدمت مصر فلم أر لهم فيها حظا الا أبياتا من فهم وفيها كور ليس فيها أحد وليس يضر بأهلها نزولهم معهم ولا يكسر ذلك خراجها وهى بلبيس ، فان رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحى من قيس فليفعل . فكتب اليه هشام أنت وذلك . فبعث الى البادية فقدم عليه مائة أهل بيت من بنى مضر ومائة أهل بيت من بنى عامر ، ومائة أهل بيت من أفناء هوازن ، ومائة أهل بيت من بنى سليم فأنزلهم بلبيس وأمرهم بالزرع . ونظر الى الصدقة من العشور فصرفها اليهم فاشتروا ابلا فكانوا يحملون الطعام الى القلزم ، وكان الرجل يصيب فى الشهر العشرة دنانير وأكثر وأقل . ثم أمرهم

باشتراء الخيول فجعل الرجل يشتري المهر فلا يمكث الا شهرا حتى يركب وليس عليهم مؤنة في أعلاف ابلهم ولا خيلهم لجودة مرعاهم . فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحمل اليهم خمسمائة أهل بيت من البادية فكانوا على مثل ذلك فأقاموا سنة فأتاهم نحو: من خمسمائة أهل بيت ، ومات هشام وبيبيس ١٥٠٠ أهل بيت من قيس حتى اذا كان زمن مروان بن محمد وولى الحوثة ابن سهيل الباهلى مصرمالت اليه قيس ، ومات مروان وبها ٣٠٠٠ أهل بيت ، ثم توالدوا وقيام عليهم من البادية من قدم . وأحصيناهم في ولاية محمد بن سعيد على مصر صغيرهم وكبيرهم وكل من جمعت الدار منهم خمسة آلاف الا مائتين .

وفي عهد الوليد بن رفاعه خرج وهب اليحصبي شاريا بالفسطاط سنة ١٠٧ هـ بسبب ما كان من اذن الوليد للنصارى في بناء كنيسة بالحمرء فقتله الوليد ، وكانت امرأته تطوف بالليل على منازل القراء تحرضهم على الطلب بدم وهب ، فثار القراء وعليهم شريح بن صفوان التجيبي وقتلوا الوليد بن رفاعه بجزيرة الفسطاط .

ثم تولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر من قبل هشام ، وقد أشار الكندي الى النشاط البحرى الذى تم في هذه الفترة وكان نافع بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع أميرا للبحرية في مصر سنة ١١٨ هـ فنزلوا على تروجة فحاصروها ثم انصرفوا وهاجمت السفن البيزنطية فأسروا نعيم بن العجلان وغيره ١ .

(١) الكندى ص ٧٩

ثم وليها حنظلة بن صفوان ولايته الثانية على صلاتها فقد قدم يوم الخميس لحمس ليال خلون من المحرم سنة ١١٩ هـ . ويبدو أن ثورات القبط قد تجددت مرة أخرى فقد ثاروا بالصعيد وحاربوا عمالهم سنة ١٢١ هـ وبعث أهل الديوان فقتلوا أناسا كثيرين .

ويبدو أن نشاط العلويين قد ظهر بمصر في ذلك الوقت فقد قدم مصر سنة ١٢٢ هـ أبو الحكم بن أبي الأبيض العبسي خطيبا برأس زيد بن علي يوم الأحد ١١ جمادى الآخرة واجتمع الناس إليه في المسجد الجامع ، وظلت لمصر السيادة على افريقية في ذلك الوقت أيضا ، ذلك أن هشام بن عبد الملك ولي حنظلة ابن صفوان على افريقية يوم الاثنين لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ١٢٤ هـ ، وتولى حفص بن الوليد الحضرمي للمرة الثانية ليلة الجمعة ١٣ من شعبان سنة ١٢٤ هـ .

ثم لاحت نذر انهيار الحكم الأموي بعد وفاة هشام ابن عبد الملك وكانت وفاة هشام بن عبد الملك لعشر خلون من ربيع الآخر سنة ١٢٥ هـ ، وتولى الخلافة الوليد بن يزيد ابن عبد الملك فأقر حفصا على الصلاة والخراج ، وتوفي الوليد ابن يزيد لسليخ جمادى الآخرة سنة ١٢٦ هـ ، ثم بويع يزيد ابن الوليد ، ثم توفي يزيد بن الوليد لهلال ذي الحجة سنة ١٢٦ هـ ، وبويع ابراهيم بن الوليد فولى في ذي الحجة سنة ١٢٧ هـ ، وخلفه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم فبويع واستقبل بخلافته صفر سنة ١٢٧ هـ .

وولى حسان بن عتاهية من قبل مروان بن محمد وقدم يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ١٢٧ هـ ، ولما أسقط حسان فروض حفص ثار عليه القواد وطالبوا بعودة حفص وخطبوا في مسجد مصر ودعوا الناس الى خلع مروان فلم يخالفهم أحد ، وقدم عليهم أيضا رسول زامل بن عمرو من حمص وقد خلع مروان بها ، وحاصر الثوار دار حسان بن عتاهية ثم خلع من الولاية . ثم وليها جعفر بن الوليد للمرة الثانية تحت ضغط قواد الجند فأقام فيها شهرين ، وعاد حنظلة بن صفوان من افريقية ، وأراد مروان أن يعيده الى مصر فامتنع المصريون وأظهروا الخلع وهاجموا حنظلة وأخرجوه الى الحوف الشرقي ومنعوه من المقام فى القسطنطينية ، وسكت مروان عن أهل مصر بقية سنة ١٢٧ هـ ثم عزل حفص مستهل سنة ١٢٨ هـ .

ثم كانت ولاية الحوثر بن سهيل الباهلى ومعه قوات من عرب الشام برغبة القضاء على الثورات فى مصر فسار معه عمرو ابن الوضاح فى الوضاحية وهم سبعة آلاف ، وعلى أهل حمص نمير بن يزيد الكندى وعلى أهل الجزيرة موسى بن عبد الله الثعلبى ، وعلى أهل قنسرين أبو جبل بن عمرو الكندى . وبعث أبا الجراح الجرشى ليمهد له الأمر فعزل حفص . وخشى أهل مصر من حوثر فبعثوا اليه يزيد بن مسروق الحضرمى فتلقيه بالعريش وسأله أن يؤمنهم على ما أحدثوا فأجابته الحوثر الى ما سأل وكتب لهم كتابا بعهد وأمان فأتاهم به يزيد فاطمأنوا الى ذلك ، ثم بعث اليهم حوثر يستأذنهم فى المسير اليهم والدخول

الى مصر فأذن له ودخل الحوثره في ١٢ المحرم سنة ١٢٨ هـ .
وجمع الحوثره رؤساء الفتنه يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت
من المحرم سنة ١٢٨ وقاتلهم . وفي عهد الحوثره ظهرت دعوة
الشيعة مرة أخرى فقدم الى مصر داعية عبد الله بن يحيى طالب
الحق فدعاهم فبايع له ناس ورفض غيرهم فبلغ ذلك حسنان
ابن عتاهية فاستخرجهم وقتلهم حوثره .

وقد استلعى الحوثره في جمادى الأولى سنة ١٣١ هـ وبعث
به مروان مددا الى يزيد بن عمرو بن هبيرة بالعراق فحضر
الحصار بواسط ثم قتل مع يزيد بن هبيرة . ثم كانت ولاية
المغيرة بن عبد الله الفزارى يوم الأربعاء لست بقيت من رجب
سنة ١٣١ هـ وتوفى يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة خلت من
جمادى الأولى سنة ١٣٢ ، ثم كانت ولاية عبد الملك بن مروان
ابن موسى بن نصير في جمادى الآخرة سنة ١٣٢ هـ .

ويشير الكندى الى بداية انتشار الاسلام داخل البلاد
فيذكر أن عبد الملك بن مروان الوالى أمر باتخاذ الناس المنابر
في الكور ولم تكن قبله وانما كانت ولاية الكور يخطبون على
العصى الى جانب القبلة^١ . وظلت ثورات القبط مشتتة فقد
خرج رجل من القبط يقال له يحنس بسمنود فبعث اليه
عبد الملك عبد الرحمن بن عتبة المعافى فقتل يحنس في كثير
من أصحابه .

وقامت ثورة أخرى على مروان فقد خالف عمرو بن سهيل

(١) الكندى ص ٩٤

ابن عبد العزيز بن مروان وتابعه على ذلك الدماحس بن عبد العزيز في جمع من قيس فنزلوا الحوف الشرقي وأظهروا الفساد ، فندب عبد الملك أهل الديوان اليهم فساروا في سبعة آلاف الى بلييس فلما التقوا دعوا الى الصلح .

ثم كان انحلال الدولة الأموية وسقوطها فقد حضر مروان الى مصر مهزوما ، وكان جند مصر قد اعتزموا أن يمنعوه من الدخول وكان دخوله مصر لثمان بقين من شوال سنة ١٣٢ هـ ، وانتشرت الدعوة العباسية في أهل الحوف الشرقي وكذلك في الاسكندرية واعتنقها عبد الأعلى بن سعيد بن عبد الله بن مسروق الحبشاني بصعيد مصر ، وكذلك يحيى بن مسلم بن الأئبج مولى بنى زهرة بأسوان . وعزم مروان على تعدية النيل وأمر بدار آل مروان المذهبة فأحرقت ، ثم دخل مروان الجيزة وحرق الجسرين .

وبعث مروان الى الاسكندرية للقضاء على الخارجين عليه ، وقامت ثورة للقبط برشيد ، وبعث زبان بن عبد العزيز الى الصعيد .

وقد صالح بن علي العباسي وأبو عون عبد الملك بن يزيد الى مصر يوم الثلاثاء للنصف من ذي الحجة ، وسار مروان الى بوصير من كورة الأشمونيين وسار صالح بن علي بجيوشه وقتل مروان ببوصير يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة سنة ١٣٢ هـ ، وقتل أنصار بنى أمية ١ .

ودخل صالح بن على الفسطاط يوم الأحد لثمان خلون من
المحرم سنة ١٣٣ هـ .

(٤)

الدولة العباسية بمصر ١

كان ظهور العباسيين ثورة اسلامية كبيرة لها مظاهرها
السياسية والاقتصادية والاجتماعية . كان ظهورهم ثورة
سياسية لأن انتشار الاسلام أدى الى ظهور طبقات جديدة من
المسلمين من غير العرب لم يحصلوا على حقوقهم المشروعة
فسخطوا على الأمويين وأيدوا الدعاة العباسيين ، وكانوا
من وراء نجاح الانقلاب السياسى ، وكانت ثورة العباسيين
كذلك ثورة اقتصادية لأن السياسة الاقتصادية الأموية أدت الى
كساد الحياة الاقتصادية فى العصر الأموى الأخير ، والذي
يدرس أخبار هذا العصر يحس بالكارثة الاقتصادية فى مصر
أواخر العصر الأموى وخاصة فى اقليم الفيوم من فساد المحاصيل
وتكدسها فى الأسواق وانقطاع سبل المواصلات واصابه
المحصول الزراعى بالضعف نتيجة للهجرة من الريف الى المدينة .
وكانت الأزمات الاقتصادية من وراء ثورات الناس ومحاولة تغيير
الوضع القائم بمناصرة العباسيين .
كانت الثورة العباسية أيضا ثورة البرجوازية الاسلامية أى

(١) الكندى ص ٩٧ - ٢١٢

ثورة الطبقة الوسطى من غير العرب ذلك أنه في أواخر العصر الأموي ظهر في المدن الكبرى أفراد من الطبقة الوسطى من غير العرب قاموا بمغامرات اقتصادية وجمعوا ثروات طائلة وكانوا يريدون أن يكون لهم في ميدان السياسة نفس النفوذ الذي حازوه في ميدان الاقتصاد . وكانت الثورة العباسية تلقى أعظم التأييد في المدن الإسلامية الكبرى حيث هذه الطبقة الوسطى ونفوذها الاقتصادي ، وقد فرضت هذه الطبقة سلطانها السياسي طوال العصر العباسي .

كان من الطبيعي أن يؤدي انتقال الحكم الى العباسيين الى ايجاد سياسة عربية جديدة تنبع من هذه الظروف وتساير هذه التطورات ، وقد واجه العصر العباسي فعلا ظروفًا كثيرة قدر لها أن تؤثر في توجيه السياسة الادارية : منها انتقال مركز القوة العباسية الى العراق وقد حدث هذا في وقت حرج من تاريخ الاسلام وهو احياء المقاومة البيزنطية ، فقد بدأ البيزنطيون بعد سلسلة من الهزائم الكبرى ينظمون المقاومة لاسترداد بعض ما فقدوه ، أو على الأقل وقف التوسع العربي ، وقد بدأ البيزنطيون ينظمون مقاومة ناجحة في آسيا الصغرى والبحر الأبيض المتوسط وجزيرة صقلية ، يضاف الى ذلك ما كان من أمر المقاومة الأموية التي كانت تتركز في مصر والشام والمغرب . ولم يكف الأمويون عن الثورات مطالبين بالخلافة ، كانوا يتخذون من مصر وبلاد الشام مركزا لدعوة سرية ناجحة ، هذا ولا تنسى تطور الاقليمية في العصر العباسي وما كان من وجود

وعى اقليمي بين طبقات المسلمين ، هذا الوعي الذي سينمو في القرن الثالث الهجرى ليشكل الحركات الاستقلالية التي ستظهر في جميع البلاد الاسلامية في وقت واحد .

وقد وضع العباسيون سياسة ادارية ناجحة عاجلت هذه الظروف وحقت أهدافهم كاملة ، فقد عملوا على ايجاد وحدة ادارية كبيرة تشمل الشام ومصر وبلاد المغرب ، وتقرر أن يكون لها كيان ادارى خاص ، وكانوا يولون على هذه البلاد نائبا للخليفة يختار من الأمراء العباسيين . وكان نائب الخليفة هذا يقسم وقته بين مصر والشام ، اذا كان ببلاد الشام أقام بدمشق واذا كان بمصر أقام بالعسكر ، وعندما يكون في أيهما يستخلف على الأخرى ، ونائب الخليفة هذا كان نفوذه يمتد الى بلاد المغرب . واستخدم العباسيون بعض الأساليب التي استخدمها الراشدون من كثرة عزل الأمراء ونواب الخليفة حتى لا يؤدي طول بقائهم الى استقلال بالقسم المغربى من الدولة .

ولكن حدث منذ عهد المأمون أن تطور هذا النظام الى اقطاعية لها سلطانها ونفوذها الكبير وبدأ نواب الخليفة يقيمون في بغداد بصفة مستمرة ومنحوا سلطات كبيرة ، فخطب لهم على المنابر وكتبت أسماؤهم على النقود وذكرت أسماؤهم في الوثائق الرسمية .

وبدأت الدولة تختار الولاية من الفرس المسلمين أو من الأتراك وفي الأخبار التي ذكرها الكندى عن الحكومة العباسية في مصر صورة صادقة للسياسة التي اتبعتها العباسيون وللمشاكل التي

تعرضت لها دولتهم حتى النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى فقد أشار الى توزيعهم الاقطاعات على الذين ناصرهم بعد أن قضوا على المقاومة الأموية في مصر ، وظهر حرص العباسيين على توطيد سلطانهم بأفريقية حتى قيام الأغالبة ، كما ظهر أمر آخر انفرد به العباسيون منذ أن آلت اليهم الخلافة ، وهو توليتهم رجالات الحزب وقادته مناصب هامة في الحكومة المركزية وفي الأقاليم ، فقد ولى المنصور موسى بن كعب حكم مصر في ١٦ ربيع الثاني سنة ١٤١ هـ ، ويروى الكندى عن موسى هذا ما يلى : « كان أسد بن عبد الله البجلي واليا على خراسان فاتهم موسى بن كعب بالميل للعباسيين فألجم بلجام ثم كسرت أسنانه ، فلما صار الأمر الى بنى هاشم أمالوا على موسى الدنيا ، وكان موسى يقول : كانت لنا أسنان وليس عندنا خبز فلما جاء الخبز ذهبت الأسنان » ١ .

ثم وضع الانشقاق بين العباسيين والعلويين بعد بيعة أبى العباس وعمد العلويون الى الثورة خصوصا في عهد أبى جعفر المنصور فقامت ثورة محمد النفس الزكية وأخوه ابراهيم وقد امتدت هذه الثورة الى مصر وأيدها كثيرون من العرب المقيمين في البلاد ، وقد استمرت ثورات القبط وبدأت الدولة تولى الولاية من الفرس ربما للمرة الأولى في عهد أبى جعفر المنصور فقد ولى مولاه واضحا البلاد سنة ١٦٢ هـ . ولم يكف الأمويون عن المطالبة بالحق المعتصب ، وقامت بمصر

(١) الكندى ص ١٠٦ - ١٠٨

ثورة دحية بن مصعب فقد فشلت دعوته بين الناس وهزم أكثر من جيش سيره العباسيون لحربه وناضل العباسيين في البر والبحر وناصره المسالمة (المسلمون من أهل البلاد) والبربر ، ووضحت متاعب العباسيين في مصر منذ سنة ١٦٧ ، وكان أخصها ثورات العرب التي ظلت تقوم وتهدأ منتهزة أية بادرة ضعف لتشعل البلاد نارا . وقد قامت ثورات العرب عام ١٦٧ ، ١٧٧ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ١٩٨ هـ ، وفي سنة ٢١٦ هـ تحالف العرب مع القبط وثاروا عام ٢١٦ هـ ، وظلت هذه الثورات ظاهرة تميز الحكم العباسي في مصر حتى أسقطهم المعتصم من الديوان .

وكانت الدولة العباسية كثيرا ما تستخدم عرب الشام في قمع العرب المصريين وجرت عادتهم على اخراج العرب الثوار من مصر بعد قهرهم ، وعملوا على توطيئهم في أقاليم أخرى كما فعل الرشيد مع عرب الحوف . وابتداء من سنة ١٧٩ هـ جرت عادة الولاة الذين توليهم الدولة على أن يقيموا في بغداد وأن يرسلوا عنهم نوابا الى مصر يصرفون أمورها بأنفسهم .

وانفعلت مصر انفعالا كبيرا بالصراع بين الأمين والمأمون وقد استخدم الأمين جيش الأبناء في مصر فاستقدمهم وسجلهم في الديوان وفرض لهم العطاء ، كما حاول الاستنجد بريعة وقيس ، أما المأمون فقد اعتمد على الخراسانية وبعض بطون من العرب المقيمين في البلاد ، واحتدم النزاع بين أنصار الأمين والمأمون حتى قتل الأمين في المحرم سنة ١٨٩ هـ .

وتلوح من روايات الكندي مظاهر تفكك الحكومة

العباسية في مصر ابتداء من عهد المأمون واستمرار هذا التفكك حتى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري . فقد بدأ الولاة يولون باجماع الجند ومعنى هذا تدخل الجند في عزل الولاة وتوليتهم . وقد ظهر تدخل الجند بصورة سافرة في عهد ولاية المطب الثانية سنة ١٩٩ هـ ولعب الجروي دورا كبيرا في أحداث مصر أواخر القرن الثالث الهجري . واستولى المهاجرة الأندلسيون على الاسكندرية وسيطروا عليها ولعبوا دورا كبيرا في أحداث هذه الفترة ، وظهر السرى بن الحكم وبايعه الجند بالولاية واحتدم الصراع بينه وبين الجروي ، فلم يجد المأمون بدا من أن يعترف بالأمر الواقع واعترف بكل من السرى والجروي ولاة على ما بيدهم من البلاد ، وقدم المأمون الى مصر في محاولة لاسترداد هبة الحكومة واصلاح الأحوال ، وظهر نفوذ الأتراك في عهد المعتصم وظهروا في مصر جندا للدولة وأصبح منهم أشناس نائبا للخليفة في المغرب وتولى منهم على مصر كثيرون . وأخرج العلويون من مصر سنة ٢٣٦ هـ في عهد الخليفة المتوكل العباسي ثم تفكك النظام السياسي واستبد الأتراك بالنفوذ وظهرت مأساة الخلافة العباسية منذ عام ٢٤٨ هـ فصاعدا .

واليكم رواية الكندي عن أحداث العصر العباسي في مصر
وعمد صالح بن علي العباسي في المحرم سنة ١٣٣ هـ الى أخذ البيعة لأبي العباس ، ويشير الكندي الى تصفية المقاومة الأموية بالقتل والسجن ، واستسلم بعض الأمويين فلم يغفهم

الاستسلام من القتل ، كما يشير الى استقرار الأوضاع الاقتصادية اذ أمر الوالى للناس بأعطياتهم للمقاتلة والعيال وقسمت الصدقات على اليتامى والمساكين ، واستمال صالح الكثيرين من وجوه أهل مصر وحملهم معه صحابة للخليفة أبى العباس منهم الأسود بن نافع بن أبى عبيدة من ولد عفة ابن نافع وعبد الرحمن بن عتبة المعافى ومحمد بن عبد الرحمن ابن معاوية الحديجى ، ووزعت الاقطاعات على الذين دخلوا فى الدعوة العباسية واقطعوا منازل فى منية بولاق والاسكندرية وأرضا فى الميمون وقرى أهناس^١ .

وكانت ولاية أبى عون عبد الملك بن يزيد فى مستهل شعبان سنة ١٣٣ واستمر خروج القبط فخرج أبو مينا القبطى بسمنود فقتل عليه ، وللمرة الأولى يجمع صالح بن على بين مصر وفلسطين وافريقية وعاد صالح بن على للمرة الثانية فى ٥ ربيع الثانى سنة ١٣٦ هـ .

وبدأت مصر تحتل مكانها من سياسة العباسيين فى المغرب فقد ولى أبو عون عبد الملك بن يزيد على جيوش المغرب وخرج وفد من أشراف مصر دعاء لأهل افريقية وخرجوا مع أبى عون فى جمادى الآخرة سنة ١٣٦ ، واستخدمت الحملات البحرية ، اذ بعث المثنى بن زياد الخثعمى فى شوال سنة ١٣٦ هـ الى الاسكندرية ليجهز المراكب الى طرابلس^٢ .

(١) الكندى ص ١٠١

(٢) الكندى ص ١٠٢

وتوفي أبو العباس في ذى الحجة سنة ١٣٦ هـ وخلفه أبو جعفر عبد الله بن محمد فأقر صالح بن علي على صلاتها وخراجها . وعادت حملة المغرب من حيث ذهبت وكوفىء المصريون على تعاونهم بزيادة أعطياتهم ، بل استعان صالح ابن علي بالعرب المصريين في القضاء على ثورة الحكم بن ضبعان بفلسطين ، ولما خرج صالح الى فلسطين خرج معه نفر من وجوه أهل مصر .

ثم كانت ولاية أبي عون عبد الملك بن يزيد للمرة الثانية باستخلاف صالح بن علي اياه في رمضان سنة ١٣٧ هـ وقد احتال المنصور حتى عزل صالحا بن علي عن مصر وفلسطين كما عزل عامله أبا عون .

وتولى موسى بن كعب من قبل أبي جعفر المنصور - وهذه بداية تولية رجال الحزب في عهد المنصور فقد كان موسى بن كعب من نقباء بنى العباس - لأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الثاني سنة ١٤١ هـ وعزل يوم الأربعاء لست بقين من ذى القعدة سنة ١٤١ هـ .

وخلفه محمد بن الأشعث الخزاعي ولاه المنصور على الصلاة والخراج يوم الاثنين لخمس خلون من ذى الحجة سنة ١٤١ هـ . واستمرت مصر أيضا قاعدة لعمليات المغرب فقد عقد هذا الوالي لأبي الأحوص عمرو بن الأحوص على جيش وبعث به الى المغرب لقتال أبي الخطاب عبد الأعلى بن الشيخ الأباضي

بغدامس ١ ، ثم كانت ولاية حميد بن قحطبة بن شبيب يوم الجمعة لخمس خلون من رمضان سنة ١٤٣ هـ ، كما ظهرت بوادر الدعوة العلوية في عهد حميد بن قحطبة فقد قدم مصر على ابن محمد بن عبد الله العلوي داعية لأبيه وعمه . ولما تولى يزيد ابن حاتم يوم الاثنين للنصف من ذي القعدة سنة ١٤٤ هـ ظهرت دعوة العلويين في مصر وباع الكثيرون عليا بن محمد ابن عبد الله بن الحسن العلوي وتولى أمر دعوته خالد بن سعيد ابن ربيعة ، وأشعل أنصاره الثورة في ١٠ شوال سنة ١٤٥ هـ فدخلوا المسجد الجامع في منتصف الليل ونهبوا بيت المال ، وأيد يزيد بن حاتم نفر من أهل مصر ، واستطاع يزيد أن يخمد الفتنة ثم قدمت الخطباء الى مصر برأس ابراهيم بن عبد الله في ذي الحجة سنة ١٤٥ هـ ، ووضعوه في المسجد الجامع ، واخترنى على بن محمد بن عبد الله الحسنى ٢ .

ويبدو أن ثمة حروب في بلاد النوبة قد اشتعلت في العصر العباسى في ذلك الوقت ، فالكندى يشير الى أن يزيد بن حاتم عقد لعبد الأعلى بن سعيد الجيشانى على خيل ووجههم الى بلاد الحبشة وكانت خارجة خرجت بها عليهم ، وضم يزيد بن حاتم برقة الى عمل مصر وهو أول من ضمها اليه وولى عليها عبد السلام بن عبد الله بن هبيرة الشيبانى سنة ١٤٨ هـ . وقامت ثورة للقبط أيضا بسخا ونابدوا ، وخرجت حملة أميرها

(١) الكندى ص ١٠٩

(٢) الكندى ص ١١٤

عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي سنة ١٥٠ هـ وساروا الى
شبرا سنباط وقاتلوا ابن عبد الرحمن وانضم اليهم أهل البشرد
والأوسية والتخوم وقد عقد لنصر بن حبيب المهلبى على أهل
الديوان ووجوه أهل مصر وانصرف الجيش الى الفسطاط
منهزما^١.

ثم وليها عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية الحديجى يوم
السبت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ١٥٢ هـ
وهو أول من خطب فى السواد . وتوفى يوم الأحد مستهل صر
سنة ١٥٥ هـ ، ثم خلفه أخوه محمد بن عبد الرحمن بن معاوية
الحديجى فمات وهو واليها ليلة السبت للنصف من شوال سنة
١٥٥ هـ ، ثم تولى موسى بن على بن رياح اللخمي وفى عهده
قامت ثورة القبط فى بلهيب سنة ١٥٦ هـ فخرج الجند فهزموهم
ثم وليها عيسى بن لقمان الجمحى من قبل المهدي يوم الاثنين
لثلاث عشرة بقيت من ذى الحجة سنة ١٦١ هـ ، وخلفه واضح
مولى أبى جعفر سنة ١٦٢ هـ وهو أول مولى تولى الامارة فى
مصر منذ الفتح ، وخلفه منصور بن يزيد بن منصور الرعينى
يوم الثلاثاء لحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ١٦٢
وخلفه يحيى بن داود الحرسى الشهير بابن مودود من قبل
المهدي فى ذى الحجة سنة ١٦٢ هـ وكان أبوه تركيا وكان من
أشد الناس سلطانا وأعظمهم هيبة . ولما ولى مصر منع عن اغلاق

(١). الكندى ص ١١٦

الأبواب بالليل ومن أهل الحوانيت من غلقها حتى حطوا عليها
شرائح القصب تمنع الكلاب عنها ، ومنع حرس الحمامات أن
يجلسوا فيها ، وهو الذي أخذ أهل مصر بلبس القلائس الطوال
في الدخول فيها على السلطان يوم الاثنين والخميس وأخذ
بذلك الفقهاء والأشراف وأهل البيوتات .

ثم وليها سالم بن سودة التميمي لاثنتي عشرة ليلة خلت من
المحرم سنة ١٦٤ هـ وصرف عنها سابع ذي الحجة سنة ١٦٤ هـ ،
وخلفه ابراهيم بن صالح بن علي العباسي وهو أول أمير يليها
من بني العباس من قبل المهدي يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة
خلت من المحرم سنة ١٦٥ هـ . وبني ابراهيم بن صالح داره
العظمى المعروفة بدار عبد العزيز ثم وهبها عند خروجه لآل
عبد الرحمن بن عبد الجبار ، وفي عهده وقعت ثورة دحية
ابن مصعب بن الأصبح بن عبد العزيز بن مروان بصعيد مصر
وثار ومنع الأموال ودعا لنفسه بالخلافة وعزل ابراهيم بن صالح
لتراخيه في قمع الثورة^١ ، وبدأت الدولة العباسية تواجه المتاعب
في مصر في ولاية موسى بن مصعب الخثعمي الذي ولى في
٧ ذي الحجة سنة ١٦٧ هـ ، وقد تشدد في الخراج وزاد على كل
فدان ضعف ما تقبل به وجعل خراجا على أهل الأسواق
والدواب ، وبدأت نذر الثورة بين أهل الحوف وتحالفت
القيسية واليمانية وولوا عليهم معاوية بن مالك واتفقوا مع أهل

(١) الكندي ص ١٢٤

الفسطاط فأعطوهم العهود والمواثيق أن يتراجعوا إذا كان اللقاء ، وخرج موسى في جند الفسطاط ونشبت الحرب مع القيسية واليمانية فتراجع أهل الفسطاط وهزم موسى وقتل في ٩ شوال سنة ١٦٨ هـ ، كما عقد لعبد الرحمن بن موسى في خمسة آلاف من أهل الديوان وبعثهم الى الصعيد لقتال دحية ابن مصعب ، وولى دحية على الشرقية يوسف بن نصير التجيبى ، واستمرت الحرب مع دحية بن مصعب في عهد الوالى عسامة ابن عمرو المعافى ، فقد التقى أنصار دحية مع قوات الدولة في مديرية الشرقية ولم ينتصر أحد الفريقين وذلك في ٢٧ ذى الحجة سنة ١٦٨ هـ .

ثم تولى الفضل بن صالح بن على العباسى في المحرم سنة ١٦٨ هـ وكان عليه أن يواجه الفتن التى اشتعلت في كل مكان ، لذلك دخل مصر في المحرم سنة ١٦٩ ومعه عسكر عظيم ، جاء بهم من الشام من أهل قنسرين وأهل حنص وأهل دمشق وأهل الأردن وأهل فلسطين .

وكانت دعوة دحية قد فشت في الناس وسارع الناس الى دحية وكاتبوه ودعوه الى دخول الفسطاط ، وجند الفضل الجيوش فولى سفيان القائد على الجند وعسكر بالجيزة وعقد لأبى زبان على القيسية وأرسل حملة بالنيل بقيادة الزهرى ، والتقى سفيان القائد بجيش دحية ببويط وقتل قائد جيش دحية وتقهقر أصحابه ، وسار دحية الى طريق الواحات وأرسل العباسيون حملة الى الواحات يقودها عبد الله بن على الحسنى .

وكان أنصار دحبة قد تقموا عليه واتفقوا عنه واتفقوا على قوات دحية .

ثم تولى على بن سليمان العباسى فى شوال سنة ١٦٩ هـ ، وأقره هرون الرشيد على الولاية ، وفى عهده قدم ادريس ابن عبد الله الى مصر ولقى الوالى سرا وأعلمه أنه خارج الى المغرب فتستر عليه الى أن هرب ، ثم خلفه موسى بن عيسى العباسى ، ثم مسلمة بن يحيى البجلي فى رمضان سنة ١٧٢ هـ ، ثم محمد بن زهير الأزدي فى ٢ شعبان سنة ١٧٣ هـ وشهد عهده قيام ثورة للجند يقال لهم القديدية مطالبين بأعطياتهم ، وصرف عن الولاية فى سابع ذى الحجة سنة ١٧٣ هـ ، وخلفه داود بن يزيد المهلبى فتقدم هو وابراهيم بن صالح العباسى لمحاربة القديدية واخراجهم من مصر وذلك فى ١٤ من المحرم سنة ١٧٤ هـ . وقد أخرج القديدية من القسطنطينية الى المغرب والمشرق وطرد منهم قوم بالبحر الى الشام فظفرت بهم الروم فأسرتهم ، وصرف داود فى ٦ المحرم سنة ١٧٥ هـ ، وخلفه موسى بن عيسى للمرة الثانية فى ٧ صفر سنة ١٧٥ هـ فزاد فى المسجد الجامع ، زاد فيه الرحبة التى تقابل الصيارفة وهى نصف الرحبة المنسوبة الى أبى أيوب ، وخلفه ابراهيم بن صالح العباسى للمرة الثانية ، ثم عبد الله بن المسيب بن زهير الضبى لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ١٧٦ هـ ، ثم اسحق بن سليمان مستهل رجب سنة ١٧٧ هـ ، وفى عهده تجددت الثورات مع العرب بسبب زيادة الخراج على الزراعين زيادة أجحفت بهم فخرج أهل

الحواف وعسكروا ، فبعث الجيوش فحاربهم فهزموه . وعمد الرشيد لهرثة بن أعين في جيش عظيم وبعث به الى مصر فنزل الحواف فلقية أهله بالطاعة وأذعنوا لأداء الخراج فقبل هرثة . ثم تولى هرثة بن أعين في ٢ شعبان سنة ١٧٨ هـ وسار الى افريقية ١ ، وخلفه عبد الملك بن صالح للمرة الثانية ، ثم عبد الله بن المهدي العباسي في ١٢ المحرم سنة ١٧٩ ، وموسى ابن عيسى للمرة الثالثة . وبدأت ظاهرة الاستخلاف منذ تلك الأيام وهي أن لا يقبل الوالي الى البلاد بنفسه إنما يبقى في العاصمة ويستخلف عليها . فقد ولي عبد الملك بن صالح من قبل الرشيد ولم يدخلها واستخلف عليها عبد الله بن المسيب ولما تولاهما عبد الله بن المهدي العباسي استخلف عليها . ولما تولى موسى بن عيسى استخلف عليها يحيى بن موسى بن عيسى . ولما عاد اليها عبد الله استخلف داود بن جياش وكذلك فعل اسماعيل ابن صالح الذي وليها من قبل الرشيد فاستخلف عوف بن وهب الخزاعي ، ثم وليها اسماعيل بن عيسى العباسي في جمادى الآخرة سنة ١٨٢ هـ ثم وليها الليث بن الفضل في ٥ شوان سنة ١٨٢ هـ ثم استخلف عبد الغنى بن عدى الحَجْرِي كما استخلف مرة أخرى هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية ابن حديج . وكانت مسألة الخراج من أهم أسباب ثورات العرب في مصر فقد ثار أهل الحواف على الليث بن الفضل لأنه بعث

(١) الكندي ص ١٣٦

بمساح يمسخون الأرض وانتقصوا من القصبة أصابع ، فعسكروا
وساروا الى القسطنطينية فخرج اليهم الليث في أربعة آلاف من
جند مصر سنة ١٨٦ هـ فهزموه ومنعوا الخراج . وكتب الى
الرشيد أنه لا يقدر على استخراج الخراج من أهل الحوف الا
بجيش يبعث به . ثم وليها أحمد بن اسماعيل العباسي يوم
الاثنين لحمس بقين من جمادى الآخرة سنة ١٨٧ هـ ثم عبد الله
ابن محمد العباسي ، فاستخلف لهيعة بن عيسى بن لهيعة . ثم
وليها الحسين بن جميل لعشر خلون من رمضان سنة ١٩٠ هـ ،
وقد عاد أهل الحوف الى الثورة وامتنعوا من أداء الخراج .
وخرج أبو الندى مولى بلى في نحو من ألف رجل يقطع الطريق
بأيلة . ثم أغار على بعض قرى الشام وانضم اليه قوم من جذام
فأرسل الرشيد يحيى بن معاذ لقتالهم فهزمهم ثم سار يحيى
ابن معاذ في جيشه فنزل بلبيس ودان له أهل الحوف بالخراج في
١١ شوال سنة ١٩١ هـ . وخلفه مالك بن دلهم الكلبي لسبع
بقين من شهر ربيع الآخر سنة ١٩٢ هـ . وفي عهده نقل الرشيد
الكثير من عرب الحوف من مصر ، وورد كتاب الرشيد على
يحيى بن معاذ يأمره بالخروج اليه فكتب الى أهل الأحواف :
« أن أقدموا حتى أوصيكم مالك بن دلهم وأدخل فيما بينكم في
أمر اخراجكم ، فدخل كل رئيس منهم من اليمانية والقيسية
وقد أعد لهم القيود فأمر الأبواب فأخذت ثم دعا الحديد
فقيدهم وتوجه بهم للنصف من رجب سنة ١٩٢ هـ » ١ . وخلفه

الحسن بن التختاخ واستخلف أبا رجب العلاء بن عاصم يوم
الاثنين لثلاث خلون من ربيع الأول سنة ١٩٣ وفي عهده توفي
الرشيد . ثم ولي مصر حاتم بن هرثمة من قبل محمد الأمين ، وظهر
جيش الأبناء في عهده فقدم ألف من الأبناء وفرض لهم العطاء .
واستمرت ثورات العرب فقد ثار أهل تنو و تمى وعقدوا عليهم
لعثمان بن مستنير الجذامى فبعث اليهم حاتم السرى بن الحكم
وعبد العزيز بن عبد الجبار الأزدي وعبد العزيز الوزير الجروى
فهمزوا ودخل حاتم الفسطاط ومعه مائة من وجوه اليمانية
رهائن .

ثم تولى جابر بن الأشعث الطائى من قبل الأمين لحسن
بقين من جمادى الآخرة سنة ١٩٥ هـ . وقد عاصر هذا الوالى
فتنة الأمين والمأمون . وخلع محمد الأمين أخاه عن ولاية العهد
وترك الدعاء له على المنابر ، وعهد محمد الى ابنه موسى
فتشاور الجند بينهم فى خلع الأمين غضبا للمأمون . وأول من
أظهر ذلك بمصر محمد بن صغير والسرى بن الحكم وتبعهم أهل
خراسان وبايعهم نفر يسير ثم انضم اليهم من أهل مصر زرعة
ابن معاوية بن قحزم الخولانى ، وابنه الحارث وهاشم بن عبد الله
ابن حديج وابنه هبيرة ، وكانت هذه الأحداث مما رفع من شأن
السرى بن الحكم . وكتب المأمون الى أشرف مصر يدعوهم الى
القيام بدعوته فأجابوا سرا ، ثم ان عباد بن محمد بن حيان مولى
كنده أحضر الجند الى المسجد الجامع ودعاهم الى خلع الأمين
فأجابه الناس وبايعوا للمأمون فى الاثنين من جمادى الآخرة

سنة ١٩٦ هـ ثم كانت البيعة العامة للمأمون في ٨ رجب سنة ١٩٦ هـ ، وكان عباد بن محمد بن حيان أول ولاية المأمون في مصر في ٨ رجب سنة ١٩٦ هـ .

ولم يستسلم الأمين لهذا التطور فكتب الى ربيعة بن قيس الحرشي رئيس قيس بالحواف يوليه على مصر ، وكتب الى قوم آخرين بمعاوته وأن يستعين بأهل الحواف كلهم^١ . وساروا الى الفسطاط لمحاربة أهلها فحفر عباد حول الفسطاط خندقا ، وعقد عباد لابراهيم بن حوى على بلدتي بنا وسنهور وسندفا فالتقى ببعض الثوار عند دمرو وسار ربيعة بن قيس الذي ولاه الأمين الى الفسطاط فنزل على الخندق في ربيع الآخر سنة ١٩٧ هـ . ودارت المناوشات ثم انصرفوا ، ثم جاءت وفود ربيعة الى الخندق فكانت المناوشات وهزمت ربيعة وعادت للقتال مرة أخرى فأرسل عباد والى المأمون جيشا لقتالهم في ديارهم في عمريط ، ولكن القائد الذي أرسله ويدعى عبد العزيز الجروى مضى فى قومه الى فاقوس ومعه لحم وجذام ثم مضى الى بلبيس وبعث عمالا يجبون الخراج وسار أهل الحواف الى الفسطاط وقامت الحرب لولا أن ورد الخبر بمقتل الأمين فى المحرم سنة ١٩٨ هـ فكف الفريقان عن القتال .

ثم تولى المطلب الخزاعى من قبل المأمون للنصف من ربيع الأول سنة ١٩٨ هـ ، وظلت فى عهده ذيول الفتن السابقة ، فقد

(١) الكندى ص ١٥٠

اجتمع ربيعة بن قيس ويزيد بن خطاب على الحرب بأسفل الأرض وقاتلهم بشطنوف . وتفرقت كلمة قيس وسكن أمرهم ، وقد ثار الجند بسبب منع الأعطيات والعسف ودعوا الى المطلب في المحرم سنة ١٩٩ هـ .

وتولى المطلب بن عبد الله للمرة الثانية باجماع الجند في ١٤ المحرم سنة ١٩٩ هـ ، وقد حدثت في عهده الفتن والثورات الكثيرة التي انتهت بولاية السرى بن الحكم فقد خرج عليه عبد العزيز الجروى وسار الى تنيس وقامت فتنة عمت البلاد كلها ، كان أبطالها عبد الله بن العباس بن موسى والمطلب ابن عبد الله وعبد العزيز الجروى والسرى بن الحكم . ذلك أن العباس بن موسى نزل بالحواف يطلب تأييد أهلها ونزل بلبيس قدس له المطلب السم فمات سنة ١٩٩ هـ ونكل المطلب بمن ناصروا العباس أو اتصلوا به ، وحالف المطلب أهل الحواف بعد موت العباس وولى بعضهم على أسفل الأرض ، وأراد أن يتقرب من الجروى وأن يوليه فأبى وسار في مراكبه حتى شطنوف وأراد المطلب أن يهادنه فبعث اليه السرى بن الحكم ولكنه لاطف السرى وقابله في النيل عند سندفا فتمكن من أسره . وهزم الجروى أنصار المطلب بسفط سليط في أول رجب سنة ١٩٩ هـ ، وامتد نفوذ الجروى الى الاسكندرية واستعان بالأندلسيين لطرده عامل المطلب عنها ، وأقبل عبد الله بن العباس

ابن موسى الى مصر مطالبا بدم أبيه . وحالف الجروى وسار بجيش فى البر والبحر حتى نزلوا الجيزة سنة ٢٠٠ هـ فهزم الجروى وراح المطلب ينكل بالذين ناصروه . ولما ضيق المطلب الخناق على الجروى أطلق السرى بن الحكم من السجن وعافده على محاربة المطلب ، وقامت حرب فى القسطنطينية انتهت بنفوز السرى ، وطلب المطلب الأمان من السرى على أن يسلم اليه الأمر ويخرج من مصر ويخرج المطلب وسار الى مكة .

وتولى السرى بن الحكم باجماع الجند عليه على صلاتها وخارجها مستهل شهر رمضان سنة ٢٠٠ هـ ١ . ووقعت فى عهد ولاية السرى الأولى ثورات فى الاسكندرية ، ذلك أن عمر بن هلال أخرج عامل المطلب منها واستعان بالأندلسيين وبطائفة الصوفية وعلى رأسهم أبو عبد الرحمن الصوفى واستعانوا بلخم . ثم خرج الأندلسيون والصوفية ولخم على عمر بن هلال ومعهم زهاء عشرة آلاف ، وحوصر فى قصره ، ثم قامت الحرب بين لخم والأندلسيين فاتتصروا على لخم وولوا أبا عبد الرحمن الصوفى واستبد الأندلسيون بالمدينة يولون عليها من يشاءون وحاربوا بى مدلج ونفوهم من البلاد . وأراد الجروى أن يؤدب الأندلسيين فجمع لهم ٥٠ ألفا وهم بحصار الاسكندرية والقضاء عليهم لولا أن هدده السرى من الخلف فرجع سنة ٢٠١ هـ . ودعا الأندلسيون الى السرى ثم خرج الجند

الخراسانيون على السرى وانضم اليه جند الفسطاط وعزل السرى في مستهل ربيع الأول سنة ٢٠١ هـ .

واستمر ولاية مصر يوليهم زعماء الجند فقد ولوا سليمان ابن غالب بن جبريل البجلي يوم الثلاثاء ٤ ربيع الأول سنة ٢٠١ هـ . ولم يكف السرى عن الفتنة فقد نهب الجند داره ففر الى أخميم بصعيد مصر ولحق به قوم من مدلج وسار بهم الى الفسطاط فالتقى بجيش سليمان بن غالب عند قمن فهزم السرى وأسر وردوه الى أخميم مرة أخرى في جمادى الأولى سنة ٢٠١ هـ . وتنكر الجند لسليمان وخلع ، وقام بالأمر على بن حمزة العباسي الى أن ولى المأمون السرى بن الحكم للمرة الثانية .

وكانت ولاية السرى من قبل المأمون معناها نهاية لسيطرة الجند واستبدادهم بالسلطان . واستخرج السرى من الحبس ودخل الفسطاط يوم الأربعاء ١٢ شعبان سنة ٢٠١ هـ . ويبدو أن السرى استطاع أن يقر الهدوء والسكينة في البلاد فتبع كل من كان قد حاربهم بالقتل والصلب حتى انتظم سلطانه وقوى الى أن اضطرت أمور مصر مرة أخرى بسبب بيعة المأمون لعلى بن موسى الرضا سنة ٢٠٢ هـ ، وما كان من خروج ابراهيم بن المهدي في بغداد واتصاله بالفتنة القائمة في مصر فاندلعت مرة أخرى .

وأيد المهدي قوم من الفسطاط وأيده عبد العزيز الجروي بأسفل الأرض وسلامة الطحاوي بالصعيد ودعوا للمهدي وولوا عليهم عبد العزيز بن عبد الرحمن الأزدي ، ولما هزم

الأزدى انضم الخارجون الى الجروى لمنعته وشدة سلطانه . وكان عبيد بن السرى قد هزم سلامة الطحاوى ولكنه فر الى الجروى وانضم اليه . وانطلق سلامة الطحاوى الى الصعيد وعزل عمال السرى . واستعد الجروى والسرى للحرب فى البر والبحر والتقوا عند شطنوف فقتل ميمون بن السرى سنة ٢٠٣ هـ . وأراد الجروى أن يدخل الفسطاط لولا أن رجاء أهلها بالكف عنها الى أن وردت الأخبار من بغداد بموت على الرضا . وكانت الاسكندرية قد خرجت على الجروى ودعت للسرى فسار الجروى فى طريقه الى الاسكندرية وهزم تحالفا بين بنى مدلج وبين القبط بمدينة سخا وحاصر الجروى الاسكندرية ، وفى ذلك الوقت كان داود أخو السرى قد سار الى الصعيد لقتال سلامة الطحاوى وهزم ثم غدر السرى بوجوه الجند فى الفسطاط وأغرقهم فى النيل ، كما مات السرى بالفسطاط فى نفس هذه السنة .

وعاد الجند الى مبايعة أبى النصر بن السرى مستهل جمادى الآخرة سنة ٢٠٥ هـ ، وقد استمرت سطوة الجروى فى عهد هذا الوالى أيضا حتى ان أبى النصر لم تكن له سلطة الا على الفسطاط والصعيد ، أما أسفل الأرض والحواف الشرقى فكانا لنجروى ، وقامت الحرب بينهما فى النيل عند شطنوف وهزم أحمد بن السرى ثم التقوا بدمهور ، حتى ليقال ان القتلى بلغوا نحو من سبعة آلاف وتبعته مراكب الجروى الى جسر

الفسطاط وهم بحرق هذا الجسر لولا أن رجاء أهل مصر فكف عنها ثم تم الصلح على أن يكف أحدهما عن الآخر .

وبايع الجند عبيد الله بن السرى يوم الثلاثاء لتسع خلوز من شعبان سنة ٢٠٦ هـ ، واستمرت الحرب عنيفة طاحنة بين عبيد بن السرى وبين الجروى .

وقد ظل الصلح معقودا بين الرجلين حتى سنة ٢٠٦ هـ حين عقد المأمون لخالد بن يزيد بن يزيد الشيباني وبعثه فى جيش من ربيعة وافناء الناس حتى دخل مصر ، وراسل عبيد الله بن السرى فامتنع عن الطاعة والتقى بخالد بن يزيد عند فاقوس من خوف مصر اشرقى . وانضم الجروى الى خالد بن يزيد والتقى بقوات عبيد الله سنة ٢٠٧ هـ ، ولكن خالدا تفهقر الى دمنهور . ومل الفريقان الحرب وتراجع خالد الى أرض الحوف وتخلي الجروى عن خالد . ولما انتهى الفيضان كان عبيد معسكرا فى الجزيرة وخالد بن يزيد معسكرا فى نهيا الى أن هزم خالد وأسر فمن عليه عبيد وأطلقه فعاد الى الحجاز .

وأذعن المأمون للأمر الواقع فولى عبيدا على ما بيده وضمنه خراجه وولى عليا الجروى على ما بيده وضمنه خراجه ، وعادت الحرب مرة أخرى بين عبيد وبين الجروى ، وظل الخصمان يتبادلان النصر والهزيمة حيناً فى تنيس وحيناً فى دمياط أى فى محلة شريقيون الى أن قدم عبد الله بن طاهر .

ثم كان قدوم عبد الله بن طاهر بن الحسين سنة ٢١٠ هـ .
وقد حالفه على بن الجروى لدى قدومه ، و قدم اليه الأموال
والمساعدات وطلب الى عبيد بن السرى الدخول فى الطاعة فأبى
وحفر الخنادق واستعد للحرب ، وسار ابن طاهر الى بلبس .
وقد أمن المأمون عبيدا فى المحرم سنة ٢١١ هـ ، فكتب عبد الله
ابن طاهر كتاب أمان وأشهد فيه الشهود من الجنود والفقهاء
والأشراف فى صفر سنة ٢١١ هـ ، وخلع عليه ابن طاهر وأجازه
بعشرة آلاف دينار وأمره بالخروج الى المأمون ، وصدر أمر
المأمون بأن يتولى البلاد عبد الله بن طاهر فى ربيع الأول سنة
٢١١ هـ ، ثم فرغ عبد الله بن طاهر لأمر الاسكندرية ومعه
قواد العجم وحاصرها فاستأمن أهلها وصالح الأندلسيين على
أن يخرجهم من الاسكندرية ، وعاد ابن طاهر الى القسطنطينية ،
وأمر بالزيادة فى المسجد الجامع ، وتوجه الى العراق .

ثم تولى عيسى بن يزيد الجلودى باستخلاف ابن طاهر له
وخلفه عمير بن الوليد باستخلاف المعتصم بن الرشيد سنة ٢١٩
ولم يكف العرب عن الفتنة فقد استعد عمير لحرب أهل الحوف
واصلاح أمر قيس وردوها الى الطاعة فاستعدوا لقتاله وانضم
اليهم اليمانية والجروى وفشلت رسل المأمون الى اليمانية
والقيسية ولكنهم رفضوا الصلح والتقى الجمعان بمعية مال الله
فهزم أهل الحوف ولكنه قتل باليهودية .

(١) الكندى ص ١٨٠

ووليها عيسى بن يزيد الجلودي للمرة الثانية من قبل
المعتصم واستمرت ثورات أهل الحوف أيضا وقد حاربهم بمنية
مطر ، ثم سار حتى نزل النويرة وحفر خندقا ولكن عرب الحوف
هاجموه فانهزم الى الفسطاط في رجب سنة ٢١٤ هـ . وقدم
المعتصم بنفسه في أربعة آلاف من أتراكه ، ولما رفض أهل
الحوف الطاعة قاتلهم في شعبان سنة ٢١٤ هـ ، ثم نزل بلبيس ثم
دخل الفسطاط في ٨ رمضان سنة ٢١٤ هـ ، ثم خرج الى الجيزة
ثم توجه الى الشام غرة المحرم سنة ٢١٥ هـ ومعه الأتراك
والأسرى ، واستخلف عبدويه بن جبلة مستهل المحرم سنة ٢١٥ هـ
وقد أخذ ثورة لأهل الحوف . وقدم الأخشين حيدر بن كاووس
الصغدى الى مصر ومعه على بن عبد العزيز الجروى ، وأمر
عليا بدفع الأموال التي عليه فلما رفض قتله ، ثم مضى الى برقة
واستخلف عيسى بن منصور مستهل سنة ٢١٦ هـ ، ومن الغريب
أن قامت ثورة في الدلتا وتحالف العرب مع القبط في جمادى
الأولى سنة ٢١٦ هـ وأخرجوا العمال ، وخرج الأفسخين لحربهم
فالتقى بهم بأشليم فهزمهم وأسر منهم ، ومضى الى الحوف فهزمهم
وسار منها الى شريقيون فهزمهم ومنها الى دميرة . وأقبل الأفسخين
في جنوده الى الاسكندرية فهزم بنى مدلج في خربتنا ومضى في
طريقه منتصرا حتى الاسكندرية فدخلها وهرب زعماء الفتنة
لعشر بقين من ذى الحجة سنة ٢١٦ هـ وامتنع أهل البشروود
حتى قدم المأمون .

وقدم المأمون لعشر خلون من المحرم سنة ٢١٧ هـ فصرفه عيسى بن منصور وأمر بحل لوائه وقال : « لم يكن هذا الحدث العظيم الا عن فعلك وفعل عمالك . حملتم الناس ما لا يطيقون وكنتمونى الخبر حتى تفاقم الأمر » ١ . ورأى المقياس وأمر بإقامة جسر آخر للنسطاط وأرسل جيشا الى الصعيد للقضاء على الفتنة ، ورحل الى سخا في المحرم سنة ٢١٧ هـ ، ثم سار الى البشروود . وكان الأفشين قد هزم الثوار وحكم عليهم بقتل الرجال وبيع النساء والأطفال فبيعوا وسبى أكثرهم . ثم رجع الى النسطاط يوم السبت لست عشرة من صفر سنة ٢١٧ هـ ، ومضى الى حلوان وأقام بها ثلاثة أيام وارتحل المأمون يوم الخميس ١٨ صفر فكان مقامه بالنسطاط وسخا وحلوان نحو خمسين يوما .

ووليها كيدر نصر بن عبد الله وأخذ الناس بمحنة خلق القرآن سنة ٢١٨ هـ وأخذ بها الفقهاء والمحدثين والمؤذنين وظل الناس على ذلك حتى قدم المتوكل سنة ٢٣٢ هـ . وتوفي المأمون بأرض الروم وبويع للمعتصم . وأمر باسقاط من بالديوان من العرب وقطع أعطيائهم ٢ . ولما قطع العطاء خرج يحيى بن الوزير الجروى فى جمع من لحم وجمادى واجتمع اليه نحو من خمسمائة رجل . وقاتل المظفر بن كيدر يحيى بن الوزير الجروى فى بحيرة تيس فأسره وهزم أصحابه فى جمادى الأولى سنة ٢١٩ هـ ،

(١) الكندى ص ١٩٠

(٢) الكندى ص ١٩٢

وأصبحت مصر اقطاعاً لأشناس فدعوا له بها ١ . وقد ولي أشناس عليها موسى بن أبي العباس سنة ٢١٩ هـ ثم عاد مالك بن كيدر في ربيع الأول سنة ٢٢٤ هـ . ثم وليها علي بن يحيى الأرمني من قبل أشناس سنة ٢٢٦ هـ ، وفي عهده توفي المعتصم وخلفه الواثق فولى عيسى بن منصور للمرة الثانية من قبل أشناس في ٧ المحرم سنة ٢٢٩ هـ . وتوفي أشناس وخلفه ايتاخ فأقره عليها . وأخذت البيعة للمتوكل يوم الجمعة ١٢ المحرم سنة ٢٣٣ هـ . ثم وليها هرثة بن النضر الجبلي من قبل ايتاخ يوم الأربعاء لست خلون من رجب سنة ٢٣٣ هـ وأمر المتوكل بترك الجدل في القرآن يوم الجمعة خمس خلون من جمادى الآخرة سنة ٢٣٤ هـ ، ووليها حاتم بن هرثة ثم علي بن يحيى الأرمني للمرة الثانية من قبل ايتاخ ، ثم وليها اسحق بن يحيى بن معاذ . وقد أمر المتوكل باخراج الطالبيين من مصر الى العراق وفرض فيهم الأموال ليتحملوا بها فأعطى كل واحد منهم ثلاثين ديناراً والمرأة خمسة عشر ديناراً وفرقت فيهم الثياب ، ثم خرجوا من الفسطاط في ١٠ رجب سنة ٢٣٦ هـ فقدموا العراق وأمروا بالخروج الى المدينة في شوال سنة ٢٣٦ هـ . ثم وليها خوط بن عبد الواحد ابن يحيى من قبل المنتصر يوم الأربعاء لسبع بقين من ذى القعدة سنة ٢٣٦ هـ . ثم وليها عنبة بن اسحق الضبي من قبل المنتصر وكان مشهوراً بمذاهب الخوارج وفي ولايته نزلت الروم

دمياط يوم عرفة سنة ٢٣٨ هـ فملكوها وقتلوا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والأطفال وأهل الذمة ، وانسحبوا الى تنيس فأمر المتوكل ببناء حصن دمياط ، ودعى للفتح بن خاقان في ربيع الأولى سنة ٢٤٢ هـ ، وكان عنبة آخر من وليها من العرب وآخر أمير صلى بالناس في المسجد الجامع . ووليها يزيد بن عبد الله التركي لعشر بقين من رجب سنة ٢٤٢ هـ ، وأمر بالمختارين فجعلوا في الكور ، وخرج الى دمياط مرابطا في المحرم سنة ٢٤٥ هـ ، ورجع الى الفسطاط فلما كان بينها ، بلغه أن الروم نزلوا الى الفرما فرجع الى الفرما بعد أن انسحبوا منها ، وورد كتاب الخليفة بإبتناء المقياس الهاشمي للنيل وبغزل النصارى عن قياسه ، فجعل يزيد عليها أبا الرداد المعلم وأجرى عليه سليمان بن وهب عامل الخراج سبعة دنانير ، وذلك في سنة ٢٤٤ هـ . وتوفي المتوكل وأخذت البيعة للمنتصر .

وتوفي الفتح بن خاقان وورد كتاب المنتصر بأن لا يقبل علوى ضيعة ولا يركب فرسا ولا يسافر من الفسطاط الى طرف من أطرافها وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد ، ومن كانت بينه وبين أحد من الطالبين خصومة من سائر الناس قبل قول خصومه فيه . وتوفي المنتصر في ربيع الأول سنة ٢٤٨ هـ ، وبويع المستعين .

وأخرج يزيد ستة من الطالبين الى العراق في رمضان سنة ٢٥٠ هـ ثم أخرج ثمانية في رجب سنة ٢٥٥ هـ . وخلع المستعين

في المحرم سنة ٢٥٢ هـ ، وبويع المعتز في سنة ٢٥٢ هـ ، وقامت ثورة بالاسكندرية تزعمها بنو مدالج الصليبية والموالي . ولكن زعيم الثوار جابر بن الوليد المدلجي انتصر وقوى أمره وأتاه الناس من كل ناحية ولحق به جريج النصراني وكان من شرار النصارى . وولى الولاية على سسنةور وسخا وشرقيون وبنا وانضم اليهم ثائر علوى اسمه عبد الله بن أحمد بن محمد ويقال له ابن الأرقط فولوه القيادة . واستفحل أمر الثوار وأمتد سلطانهم الى أن قدم مزاحم بن خاقان معينا ليزيد بن عبد الله فقدمها في جيش كبير يوم السبت ١٣ بقين من رجب سنة ٢٥٢ هـ . وأمر الثوار بالدخول في الطاعة ، ودارت الحرب بين الفريقين الى أن انتهت بهزيمة الثوار واستسلامهم . وقضى على بعض الثورات الأخرى في الحوف . ثم وليها مزاحم بن خاقان من قبل المعتز سنة ٢٥٣ هـ .

وبعث جيشا للقضاء على ثوار الاسكندرية وسار هو الى الحوف الشرقي للقضاء على الثوار هناك . ووليها أحمد بن مزاحم بن خاقان سنة ٢٥٤ هـ ، واستخلف عليها أزجور ووليها أزجور باستخلاف أحمد بن مزاحم ، وفي عهده ثار بغا الكبير .

٥ - الدولة الطولونية (١)

ومن روايات الكندي نتعرف على صورة من مأساة الخلافة العباسية في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري ، فقد ضعف سلطان الخلفاء وضيق عليهم في سلطانهم وامتدت يد العدوان الى أشخاصهم فكانوا يعزلون أو ينكل بهم وطما نفوذ الأتراك في بغداد باستيلائهم على السلطة وسيطرتهم على الجيش وأجهزة الدولة ووضع أيديهم على بيت المال وتوليهم الوظائف في العاصمة والأقاليم . وتتعرف أيضا على صورة من التطورات التي حدثت في الأمصار الاسلامية من انحلال السلطة المركزية وعدم فعالية الخلافة وتقلص نفوذها ، وانتشار الفتن والقتال والثورات واضطراب الأوضاع الاقتصادية وبداية ضعف نفوذ العرب المهاجرة بعد اسقاطهم من الديوان وانتشارهم في الريف وبداية اختلاطهم بأهل البلاد ، وانتشار الاسلام ، ووجود جماعات كبيرة العدد من المسلمين تواقفة الى مزيد من النفوذ والسلطان ، ومزيد من الهدوء والاستقرار .

وكان الجدل الجتني لا تقاذ العالم الاسلامي مما تردى فيه أن تظهر الحركات الاسلامية المستقلة لتملأ الفراغ الذي تركه انحلال سلطان الخلافة ، ولتعيد الاستقرار السياسي ولتصلح

(١) الكندي ص ٢١٢ - ٢٨٠

الأوضاع الاقتصادية وتجمع حولها أهل البلاد لتدافع عن مصالحهم ومصالحها مع المحافظة على الارتباط الاسمى بخليفة المسلمين .

فظهرت الدولة الطولونية في مصر كصورة من تلك التطورات التي سادت العالم الاسلامى فى النصف الأخير من القرن الثالث الهجرى . وقد قامت الدولة فى عهد أحمد بن طولون مؤسسها الأول وتوفرت لها أسباب البقاء ، ثم استقرت أوضاع الدولة وازدهرت فى عهد خمارويه ثم دهمها الاضمحلال بعد وفاة خمارويه ، ثم سقطت وخضعت مصر للنفوذ العباسى فى فترة صحوة الخلافة .

كان أحمد بن طولون اذن هو مؤسس الدولة ، ونلمح فى ما كتبه الكندى السلطان المحدود الذى صار اليه عقب حضوره الى مصر مباشرة ، فقد كانت له الصلاة فقط ، وكان الخراج فى يد ابن المدير . ولم يكن له سلطان حتى على مدينة الاسكندرية وقد نهض بالميراث الثقيل الذى آل اليه ففضى على الفتن الداخلية التى أخفق الولاة العباسيون فى القضاء عليها منذ اندلاعها فى عهد الخليفة المأمون . وأنشأ القوات المسلحة التى تدين له بالطاعة ، والتى كانت عدته فى تنفيذ سياسته الداخلية والخارجية . وكافت التفتن الداخلية فرصة لتدريب هذه القوات لتكتسب مزيداً من الخبرة . كما أصلح الأوضاع الاقتصادية المضطربة ، وبنى الميدان والمسجد الجامع ، وامتد نفوذه الى بلاد الشام ومنطقة الثغور .

ثم كان ظهور الموفق العباسي أخى الخليفة المعتمد واضطلاله
يحرب الزنج واكسابه نظام الخلافة شيئاً من القوة . وبدأ
الاحتكاك بينه وبين ابن طولون وتحول الى صراع عنيف وامتد
نفوذ ابن طولون الى بلاد الشام وتأكد هذا النفوذ بعد اخفاق
مشروعات الموفق . وفكر المعتمد في أن يلجأ الى ابن طولون
مغراً من استبداد أخيه ، وتدخل أحمد بن طولون في منطقة
الشام ثم بلغ صدامه مع الموفق الذروة فعقد مؤتمراً من الفقهاء
في دمشق خلع الموفق من ولاية العهد ، وكان ابن طولون من
الشخصيات الفريدة التي أظهرتها الحوادث في القرن الثالث
الهجري ، ويكفي أن تقارن بينه وبين من أسلفنا ذكره من ولاية
العصر العباسي .

ثم قدر للدولة أن تمضي الى مزيد من الاستقرار في عهد
خليفته خمارويه فقد ولاء الجند وبايعوه بالنفوذ والسلطان ،
واستطاع أن يوحد الأسرة والجيش وأن يملأ الفراغ الذي تركه
أبوه ، فعمل على تأكيد نفوذه في بلاد الشام والوقوف لأطماع
الموفق ، وامتد نفوذه حتى مدينة سامرا ، وسوى أموره مع
الموفق العباسي واعترفت الخلافة بشرعية حكمه وبأحقية أولاده
في أن يرثوا الملك من بعده ، وتطور البلاط الطولوني في عهده
وازدهرت الحياة الاجتماعية وتألفت .

ثم انهارت الدولة بعد وفاة خمارويه مباشرة وانقسم الأمراء
على أنفسهم يتنافسون وتفتتت وحدة الجيش وانقسم الى طوائف
متعارضة متنازعة وأمتلأت أخبار هذه الفترة بالصراع والفتن

في الوقت الذي كانت الخلافة قد صحت من غفوتها صحوة مؤقتة ، واستطاعت بقيادة محمد بن سليمان الكاتب أن تقتطع أملاك الطولونيين في الشام وأن تغزو مصر نفسها وأن تدخل القطائع وتفضي على بني طولون .

وعادت مصر الى الحكم العباسي المباشر مرة أخرى ، وتعاقب على ولايتها عيسى النوشري وأبو منصور تكين وذكا الأعور وهلال بن بدر وأحمد بن كيغنج ، واضطربت أمورها الداخلية مرة أخرى وتعرضت لحملات الفاطميين التي تتابعت من تونس تريد أن تنتزع مصر من النفوذ العباسي .

واليكم رواية الكندي عن أحداث العصر الطولوني :

أحمد بن طولون في مصر :

وليها أحمد بن طولون من قبل المعتز على صلاتها فقط يوم الخميس لسبع بقين من رمضان سنة ٢٥٤ هـ ، وولى على الشرطة بولغيا ، ثم بوران التركي ، ثم موسى بن طونيق سنة ٢٥٥ هـ . وخرج بغا الأصغر ومعه أحمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا بين الاسكندرية وبرقة بموضع الكنائس في جمادى الأولى سنة ٢٥٥ هـ ، وأيده جابر بن الوليد المدلجي ، وأتى برأسه الى القسطنطينية يوم الثلاثاء لحدى عشرة بقيت من شعبان سنة ٢٥٥ هـ . وخرج الصوفي العلوي بصعيد مصر وهو ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله سنة ٢٥٣ هـ ، ودخل اسنا في ذى القعدة سنة ٢٥٥ هـ .

وأرسل إليه ابن طولون ابن أزداد في ٥ ربيع الأول سنة ٢٥٦ هـ ، فهزمه هذا القائد ، فبعث بهم ابن الحسين في ١٩ ربيع الأول سنة ٢٥٦ هـ ، وهزم ابن الصوفي عند أخميم ثم مضى الصوفي إلى الأشمونيين سنة ٢٥٩ هـ . وعند أسوان حارب ابن الصوفي أبا عبد الله العمري فظفر به العمري ، فعاد ابن الصوفي إلى أسوان وتابعه ابن طولون حتى مضى إلى عيذاب فركب البحر إلى مكة . وبذلك تخلص ابن طولون من هذه الفتن الداخلية ، وتدريب جيشه الناشئ على فنون الحرب والقتال ١ .

وكان عيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني والياً على فلسطين والأردن ، ثم تغلب على دمشق وامتنع عن حمل المال إلى العراق . وكان ابن مدبر صاحب خراج مصر قد حمل إلى العراق سبعمائة ألف وخمسين ألف دينار فاستولى عليها عيسى ابن الشيخ ، فخرج إليه أحمد بن طولون في صفر سنة ٢٥٦ هـ ، وكاتبه قبل أن يسير إليه ، ثم خرج إليه يوم الخميس ٦ جمادى الآخرة سنة ٢٥٦ هـ ولكن ابن طولون عاد إلى القسطنطين مرة أخرى وأرسل ماجور إلى عيسى بن الشيخ فهزمه وآلت بلاد الشام إلى ماجور .

وتوفي المهتدي في شعبان سنة ٢٥٦ هـ ، وخلفه المعتمد فأقر أحمد بن طولون على الولاية وابتدأ أحمد في بنيان الميدان سنة ٢٥٦ هـ ، وأمر بحرث قبور اليهود والنصارى وبني مكانها .

وورد كتاب يارجوخ الى أحمد بن طولون بتسلم الأعمال
الخارجة عن يده من أرض مصر ، فتسلم الاسكندرية من
اسحق بن دينار ، وخرج اليها في ٨ رمضان سنة ٢٥٧ هـ ،
وأمر أحمد ببنيان المسجد على الجبل في صفر سنة ٢٥٩ هـ ،
وبنى المارستان للمرضى سنة ٢٥٩ . وورد كتاب المعتمد اني
أحمد بن طولون يستحثه في حمل الأموال ، فكتب اليه لست
أطبق ذلك والخراج بيد غيري فأنفذ المعتمد نفيسا الخادم الي
ابن طولون بتقليده الخراج بمصر وبولايته على الثغور الشامية
وبذلك اكتمل سلطان ابن طولون فأصبحت له أمور مصر كلها ..
وضج أهل الثغور من ولاتهم فبعث أحمد بن طولون الي أخيه
موسى وهو مقيم بطرسوس فامتنع فولى عليها طخشى بن يلبرد
في جمادى الأولى سنة ٢٦٤ هـ .

وكان أبو أحمد الموفق قد طلب الي موسى بن بغا أن يعزل
أحمد بن طولون عن مصر وتقليدها ماجور التركي ، وكتب
موسى بذلك الي ماجور والى دمشق فلم يستطع ، فخرج
موسى فنزل الرقة ، فبدأ ابن طولون فى الاستعداد وبنيان حصن
الجزيرة بين الجسرين لتكون معقلا لماله وحرمه سنة ٢٦٣ هـ ،
والقيام بانشاء المراكب الحربية ، وأقام موسى بالرقة عشرة أشهر
ثم اضطرب جنود موسى وطالبوه بالمسير أو الرجوع ، ثم توفى
موسى فى صفر سنة ٢٦٤ هـ . ثم توفى ماجور بدمشق واستخلف
ابنه على الذى دخل فى طاعة ابن طولون .

وشكا أهل مصر الى أحمد ضيق المسجد الجامع بجنده
وسودانه فأمر ببناء المسجد الجامع بجبل يشكر وبدأ فى بنائه
سنة ٢٦٤ هـ .

وفى ٨ شعبان سنة ٢٦٤ هـ استخلف العباس ابنه وضم اليه
أحمد بن محمد الواسطى مديراً ووزيراً ، ودخل الرملة فأقام
ماجور له الدعوة فأقره عليها ثم مضى الى دمشق فأقام على بن
ماجور الدعوة له ، وبعد أن استوثق له أمرها اتجه الى حمص
فلقية عيسى الكرخى خليفة ماجور ورفض سيما الطويل صاحب
أنطاكية الدعاء له فحاصره أحمد ورمى حصنه بالمنجنيق ودخلها
فى المحرم سنة ٢٦٥ هـ وقتل سيما واستبيحت أمواله ورجاله ،
ثم مضى الى طرسوس وقاومه أهلها فتفهمر عنها وولى عليها
طخشى بن يلبرد وكان يود الإقامة بالثغور لولا ثورة ابنه
العباس ، وهكذا امتد نفوذه على بلاد الشام أيضا .

وقد اختص العباس قواداً كانوا على خوف شديد من أحمد
ابن طولون فحسنوا للعباس التغلب على مصر والقبض على
الواسطى ، وكتب الواسطى الى ابن طولون يبلغه ذلك ، وأشار
أصحابه عليه بأن يبعد عن أبيه ويخرج عن مصر ، فقيد الواسطى
وخرج الى الجيزة فعسكر بها يوم الأحد لثمان خلون عن شعبان
سنة ٢٦٥ ، واستخلف أخاه ربيعة على القسطنطينية ثم توجه الى
الاسكندرية وضمها الى برقة . فلما قدم ابن طولون أرسل الى
العباس كتاباً الآن فيه جانبه وهم بالعودة لولا أن فزع

مستشاروه وحرصوه على القيام ، وعزم العباس على السير الى افريقية في جمادى الأولى سنة ٢٦٦ هـ ، فنزل لبدية وأمر بنهبها ، فتحالف الأياضية في جبل نقوسة مع الأغالبة ، وقتل يومئذ صناديد عسكره ووجوه أصحابه وعاد الى برقة هارباً . وأرسل ابن طولون جيشاً الى برقة في شهر رمضان سنة ٢٦٧ هـ .

وأجمع أحمد بن طولون على السير الى برقة وخرج في عسكر عظيم ، وخرج من القسطنطية يوم الخميس ١٢ ربيع الأول سنة ٢٦٨ هـ ، وأقام بالاسكندرية وبعث من هناك جيشاً قاتل العباس في أرض برقة يوم الاثنين لتسع بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٦٨ هـ ، ورجع ابن طولون الى القسطنطية يوم الثلاثاء ١٣ رجب سنة ٢٦٨ .

وأرسل ابن طولون غلامه لؤلؤ في جيش الى الشام ولكن الموفق استمال لؤلؤ الى جانبه فسارع أحمد الى الخروج واستخلف على مصر ابنه خمارويه فسار في صفر سنة ٢٦٩ هـ ، حتى نزل دمشق . وقد ساءت الأمور في منطقة طرسوس اذ كان يريد عزل يازمان الخادم فتمسك به أهل طرسوس وكان في طريقه الى طرسوس لولا أن أتاه كتاب المعتمد بأنه خارج اليه وخرج المعتمد من العراق بحجة التصيد ثم سار في طريقه الى الرقة وعلم الموفق نبأ سيره وهو يحارب الزنج في البصرة .

(١) الكندي ص ٢٢١

فكتب الى أبي اسحق بن كنداج الجزري وأمره أن يلحق به
فيرده ووعده أموالا واقطاعات . فلقى المعتمد عند الحديث
وأعادته الى سر من رأى يوم الأحد لخمس خلون من شعبان
سنة ٢٦٩ هـ ، فأراد أن يكافئ اسحق بن كنداج فولاه مصر ،
فعاد ابن طولون الى دمشق وأمر بإحضار القضاة والفقهاء
والأشراف ، وأرسل الى مصر بما جرى للمعتمد . وخرج القضاة
الى دمشق وحضر هناك أهل الشامات والشعور ، فلما اجتمعوا
أمر أحمد بن طولون بكتاب خلع الوقف من ولاية العهد لمخالفته
المعتمد وحصره اياه وكتب فيه : « ان أبا أحمد خلع الطاعة
وبرىء من الذمة فوجب جهاده على الأمة ، وشهد على ذلك
جميع من حضر الا بكار بن قتيبة » وقال : « لم يصح عندي
ما فعله أبو أحمد ولم أعلمه »^١ وامتنع عن الشهادة والخلع
وكان ذلك يوم الخميس ١٢ ذى القعدة سنة ٢٦٩ هـ ، فأمر
الموفق بلعنه على المنابر وكان مما لعن به : « اللهم العنه لعنا
يغل حده ويتعس جده واجعله مثلاً للغابرين انك لا تصلح عمل
المفسدين » .

ثم اتجه ابن طولون الى طرسوس ولما كان بالمصيصة بعث
وفداً الى يازمان الخادم يدعو الى طاعته والدعاء له على أن
يعطيه أماناً فرفض ، فزحف أحمد بن طولون الى أذنه ثم
طرسوس فتحصن بها يازمان ونصب المجانيق على سورها .

(١) الكندي ص ٢٢٦

فنزّل أحمد على سورها من شدة البرد وكثرة الأمطار والثلوج فقطع يازمان نهر بردان فغرق العسكر فرحل ابن طولون ليلا إلى أذنة ومنها ارتحل إلى المصيصة فأقام بها أياما حتى بلغ الفرما ودخل الفسطاط ليلا لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٧٠ هـ ، وتزايدت علته إلى أن توفي في ١٠ ذى القعدة سنة ٢٧٠ هـ وحزن عليه المعتمد ورثاه بشعرا^١ .

خمارويه بن أحمد :

كانت ولاية خمارويه بعد بيعة الجند له يوم الأحد ١٠ ذى القعدة سنة ٢٧٠ هـ ، وأحضر أخاه العباس لمبايعته فامتنع فأدخل منزلا من الميدان فكان آخر العهد به .

وبعث خمارويه الواسطي بجيش إلى الشام فخرج من الفسطاط يوم الخميس ٦ ذى الحجة سنة ٢٧٠ هـ وعقد لسعد الأيسر على جيش آخر في ذى الحجة وبمراكب كثيرة في البحر رابطت بسواحل الشام وكان الواسطي جزعا من ابن طولون فكتب إلى الموفق بكتاب يصغر فيه أمر خمارويه ويحضه على المسير . وقام الموفق من بغداد وانضم إليه اسحق بن كنداج ومحمد بن ذيوداد بن أبي الساج حتى بلغوا الرقة وسلمه أهل قنسرين والعواصم ودعوا له وسار إلى شيرز ثم دخل دمشق وبلغ الخبر خمارويه فخرج في جيش عظيم يوم الخميس ١٠ صفر سنة ٢٧١ هـ ، فالتقى بنهر أبي فطرس من أرض فلسطين

(١) الكندي ص ٢٣١

في موقعة الطواحين فهزم أصحاب خمارويه وكانوا سبعين ألفا . وكان أبو العباس في نحو أربعة آلاف واستولى على معسكر خمارويه . ومضى خمارويه لا يلوى على شيء وأقبل كمين خمارويه عليهم سعد الأيسر وفيهم أحمد بن اسماعيل العجمي وتشركين وحوطامش ، ولم يعلموا بالهزيمة وحاربوا حتى أزالوا عسكر أبي العباس في صفر سنة ٢٧١ هـ ، ورجع أبو العباس الى دمشق ، ومضى سعد الأيسر فدخل دمشق ودعا لخمارويه ثم خرج خمارويه في ٢٧ رمضان سنة ٢٧١ هـ ، حتى أتى فلسطين ثم عاد الى القسطنطينية فدخلها ١٢ بقين من شوال سنة ٢٧١ هـ ، ثم خرج الى الشام في ذي القعدة سنة ٢٧٢ هـ ، وقتل سعد الأيسر لخلاف بينهما ثم دخل دمشق يوم الثلاثاء ٧ المحرم سنة ٢٧٣ هـ ، وخرج من دمشق ولقى اسحق بن كنداج بأرض الرافقة ، وهزم اسحق وتبعه خمارويه حتى بلغت مقدمته سر من رأى . ثم سفر قوم بالصلح فاصطنعوا وتصاهرا .

ودعا اسحق لخمارويه وكاتب الموفق في طلب الصلح على مال يدفعه فرضي ، وكتب له بذلك كتابا قدم به فائق الخادم الى القسطنطينية في رجب سنة ٢٧٣ هـ ، يذكر فيه أن المعتمد والموفق وولده أبو العباس كتبوه بأيديهم بولاية خمارويه وولده ثلاثين سنة على مصر والشامات ، ثم قدم خمارويه الى القسطنطينية في رجب سنة ٢٧٣ هـ ، ودعا للموفق . وبلغ خمارويه مسير محمد ابن ديوداد المعروف بابن أبي الساج فخرج اليه خمارويه من

مصر في ذي القعدة سنة ٢٧٤ هـ ، فلقية بثينة العقاب من أرض
دمشق فهزم وعاد خمارويه الى الفسطاط فدخلها يوم الخميس
لست بقين عن جمادى الآخرة سنة ٢٧٦ هـ . ودعا يازمان
لخمارويه بطرسوس والثغور في جمادى الآخرة سنة ٢٧٧ هـ .
وخرج خمارويه الى الشام في ١٧ ذي القعدة سنة ٢٧٧ هـ ،
ومات الموفق سنة ٢٧٨ هـ . ثم توفي المعتمد لعشر بقين من رجب
سنة ٢٧٩ هـ . وبويع المعتضد فبعث الى خمارويه بالهدايا مع
الحسين بن عبد الله بن منصور الجوهري وقدم خمارويه من
الشام فدخل الفسطاط يوم السبت لست خلون من ربيع الأول
سنة ٢٨٠ هـ . وورد كتاب المعتمد على خمارويه لحس بقين
من ربيع الأول سنة ٢٨٠ هـ بولايته هو وولده ثلاثين سنة من
الفرات الى برقة وجعل له الصلاة والخراج والقضاء وجميع
الأعمال على أن يحمل في كل عام من المال مائتي ألف دينار
ما مضى وثلاثمائة ألف دينار عن كل عام للمستقبل ١ . ثم قدم
رسول المعتضد في شهر رمضان سنة ٢٨٠ هـ بالخلع وهي
اثنى عشرة خلة وسيف وتاج ووشاح مع خادم يدعى سنيف
وعقد المعتضد على قطر الندى بنت خمارويه سنة ٢٨١ هـ .
وخرج خمارويه الى الشام يوم الخميس لثمان خلون من شعبان
سنة ٢٨٢ هـ فأقام بمنية الاصبع ومنية مطر ثم رحل يوم الثلاثاء
لعشر بقين من شعبان سنة ٢٨٢ هـ حتى دخل دمشق فكان بها
مقتله ليلة الأحد لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ٢٨٢ هـ .

انحلال الدولة الطولونية وسقوطها :

ثم كانت ولاية أبي العساكر جيشن يوم الأحد لليلة بقيت من ذى القعدة سنة ٢٨٢ هـ بدمشق فسار الى مصر ، وسيطرت عليه طائفة من الجند وحملوه على أمور كرهتها الأغلبية فتنكروا له وتنكر لهم وخافوا على أنفسهم ، وهرب من عسكره محمد ابن اسحق بن كندج وغيره في ثلاثماية رجل من وجوه قواده فلحقوا بالمعتمد . وكان أحمد بن طغان بالشعر فخلع جيشا وكذلك فعل طغج بن جف بدمشق ، ثم وثب جيشن على عمه نصر بن أحمد بن طولون فقتله ، وثار عليه يرمشن وفايق في أكثر الجيش والموالي فخلعوا وباعوا هرون بن خمارويه ، وجمع لهم القضاة والفقهاء والقراء فتراهم اليهم من بيعته .

ثم وليها هرون بن خمارويه ، وثار طائفة من الجند الذين كرهوا ولاية هارون وكاتبوا ربيعة بن أحمد بن طولون وكان بالاسكندرية ودعوه الى الولاية ووعدوا بالقيام معه وجمع من أهل البحيرة من لبربر ، ونزل بكورة أوسيم ثم عبر النيل فخرج اليه نفر من القواد ونشبت الحرب ولكنه هزم وقتل . وتوفي أمير المؤمنين المعتضد في ربيع الآخر سنة ٢٨٩ هـ وخلفه المكتفى ، وظهر خطر القرامطة في بلاد الشام سنة ٢٩٠ هـ ، وهزم الجيوش التي أرسلت اليه من مصر والشام . وأخرج المكتفى محمد بن سليمان الكاتب الى حمص فأطاعه بدر الحمامي والى الشام من قبل هارون ، وكتب محمد بن سليمان الى دميانة

وهو بالشعر بأن يسير مراكبه الى سواحل مصر وفلسطين ، وانضم اليه رشيق الورداني ودخل محمد بن سليمان فلسطين فبايعه ولاية بنى طولون . وبلغت الأخبار مصر فأخرج هارون مضاربه يوم الاثنين مستهل ذي الحجة سنة ٢٩١ هـ ، وبعث وصيف القطر ميز في المراكب البحرية فصاروا في النيل الى تيس ليمنعوا دميانة ولكنه هزمهم ، ودخل تيس ثم مضى الى دمياط وكتب الى أصحاب هارون يدعوهم الى الدخول في بيعة المكتفى فأبوا فسار في خليج دمياط والتقوا غداة يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٩١ هـ فهزم أنصار هارون ، وسار هارون فنزل العباسة ، ثم نزل دميانة دميرة وتفرق كثيرون من أنصاره عنه في البر والبحر . وقتله عماه ليلة الأحد ١٩ صفر سنة ٢٩٢ - وتولى شيبان بن أحمد بن طولون وبويح لعشر بقين من صفر سنة ٢٩٢ هـ ودخل الفسطاط ، ولكن أنصار هارون استنكروا قتله . وكتبوا الى أنصار محمد بن سليمان الكاتب وسألوه أخذ الأمان وحرصوه على دخول الفسطاط . وأقبل محمد بن سليمان وبايعه طعج بن جف ثم دخل العباسة وسار الى الفسطاط وتقدم دميانة بمراكبه الى ساحل الفسطاط فنزل به سلخ صفر سنة ٢٩٢ هـ ، وعسكر شيبان بعين شمس ، فأرسل شيبان يطلب الأمان . ودخل محمد بن سليمان الفسطاط مستهل ربيع الأول سنة ٢٩٢ هـ وأمر باحراق القطائع فأحرقت ونهب أصحابه الفسطاط مستهل ربيع الأول سنة ٢٩٢ هـ ، وولى من قبله على

قنسرين وضم جند بنى طولون وأخرج أولاد ابن طولون من مصر .

فترة السيادة العباسية :

ولى مصر عيسى النوشرى يوم الأحد ١٤ جمادى الأولى سنة ٢٩٢ هـ وفى عهده قامت ثورة ابن الخليج ورجع الى الفسطاط لثمان بقين من المحرم سنة ٢٩٣ هـ . وأقام ابن الخليج بالفسطاط صفر وربيع ، وبلغه مسير أبى شجاع فاتك المعتضدى اليه ومسير دميانة فى المراكب فنزل فاتك بالنويرة . وعسكر ابن الخليج بباب المدينة وقد انهزم أصحاب ابن الخليج ثم دخل الفسطاط يوم الخميس لثلاث خلون من رجب سنة ٢٩٣ هـ . ودخل دميانة فى مراكب الى الفسطاط فدخلها هو وأنصار عيسى النوشرى فى ٥ رجب سنة ٢٩٣ هـ ، وحملوا ابن الخليج الى بغداد وهدم الميدان فى رمضان سنة ٢٩٣ هـ .

ثم ولى مصر أبو منصور تكين من قبل المقتدر بالله فى ١١ شوال سنة ٢٩٧ هـ وبدأ يستعد لمقاومة الخطر الفاطمى فاستولى على برقة ثم دخل سرت ، ولكن الفاطميين أرسلوا حباسة بن يوسف فوقف لقائد جيش تكين واستماله الى جانبه فعزله تكين وولى غيره ، وتقدم حباسة واسترد برقة . وكتب تكين الى صاحب افريقية على لسان أمير المؤمنين المقتدر يدعوه فيه الى الطاعة والتمسك بها .

وسار حباسة بن يوسف فى جيوشه من برقة قاصدا

الاسكندرية في مائة ألف أو أزيد فدخل الاسكندرية يوم السبت ٨ المحرم سنة ٣٠٢ هـ ، وقدم المدد من الشرق فقدم القاسم بن سيما الى مصر لينضم الى تكين في صفر ثم قدم أبو علي الحسين بن أحمد الماذرائي وجمع من القواد ، وخرج تكين في جيوشه الى الجيزة فعسكر بها ونودي بالنفير في القسطنطينية يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الآخرة فالتقوا وكثرت القتلى وهزم حباسة . ونستشف مما كتبه الكندي كرهه للفاطميين المتقدمين من الغرب اذ يقول : « وكثرت القتلى منهم وقتلت رجالة حباسة كلهم ، ثم من الله وله الحمد بهزيمتهم ومنح أهل مصر أكتافهم ومضوا على وجوههم هارين وزادوا من اجتماع الناس ونصر الله ما لم يسمع بمثله » . وأقبل مونس الخادم من العراق في جيوشه فدخلها يوم الاثنين للنصف من شهر رمضان ، ثم تولى ذكا الأعور من قبل المقتدر يوم السبت ١٢ صفر سنة ٣٠٣ هـ ، وتبع ذكا أنصار الفاطميين فسجن الكثيرين منهم . ثم وقع الاختلاف بين المظفر بن ذكا بالاسكندرية وبين بربر البحيرة ، وسارت جيوش صاحب افريقية الى لوبية فهرب أهل الاسكندرية منها ودخلتها جيوش صاحب افريقية يوم الجمعة ٨ صفر سنة ٣٠٧ هـ ، وهرب الناس من القسطنطينية الى الشام في البر والبحر ، وثار الجند على ذكا وطالبوه بالعطاء وأمر ذكا ببناء الحصن على الجسر الغربي للجيزة قرب مسجد همدان وحفر خندقا على عسكره وعلى الجيزة .

ثم تولى أبو منصور تكين للمرة الثانية من قبل المقتدر لله

واستعد تكين للحرب ، وقدمت سفن صاحب افريقية قاصدة الاسكندرية عليها سليمان الخادم فاستنجدوا بثمل صاحب مراكب طرسوس فأتى في مراكبه الى رشيد فلقى سليمان الخادم لعشر بقين من شوال سنة ٣٠٧ هـ ، وتكسرت سفن سليمان وحاقت بهم الهزيمة يوم الاثنين لأربع بقين من شوال سنة ٣٠٧ هـ . وحمل الأسرى الى القسطنطينية وأمر تكين بتميز الأسرى فأطلق أهل القبروان وطرابلس وبرقة وصقلية وأخرج كتامة وزويلة . ثم أمر بقتلهم .

ثم أقبل عبد الرحمن بن صاحب افريقية من الاسكندرية الى الفيوم فنزلها ، ومات ابراهيم بن كيغنج بالبهنسا ، ومملكة البربر جزيرة الأشمونين كلها مع الفيوم واتجه ثمل الخادم في مراكبه الى الاسكندرية ودخلها ونهى أهلها الى رشيد في المحرم سنة ٣٠٩ هـ وعاد الى القسطنطينية ثم اتجه الى اللاهون . وسارت قوات تكين يوم الخميس ١٨ صفر سنة ٣٠٩ هـ فدخلوا مدينة الفيوم وهزمت قوات صاحب افريقية .

ثم تولى أمور مصر هلال بن بدر من قبل المقتدر في ٦ ربيع الأول سنة ٣٠٩ هـ وخلفه أحمد بن كيغنج من قبل المقتدر في مستهل جمادى الأولى سنة ٣١١ هـ ، ثم تولى أبو منصور تكين للمرة الثالثة من قبل المقتدر يوم الخميس ٣ ذى القعدة سنة ٣١١ هـ ، ومات تكين وهو واليها يوم السبت ١٦ ربيع الأول سنة ٣٢١ هـ ، وخلفه محمد بن تكين .

(٦١)

الدولة الأخشيدية

هو ظهور محمد بن طنج الأخشيد يشبه الى حد كبير ظهور أحمد بن طولون ليخلص مصر من الفتن الداخلية العنيفة والتهديد الفاطمي الذي لا ينقطع والفوضى الاقتصادية التي خلقها عمال الجراج . ودخل محمد بن طنج مصر دخول الفاتحين فغزاها بالبر والبحر بعد حروب شاملة امتدت من الاسكندرية الى الصعيد . وقد تمكن من اخماد هذه الفتن الداخلية وأنشأ القوات المسلحة وعمل على استقرار الأوضاع الاقتصادية ، وقد تصدى له محمد بن رائق كما تصدى الموفق لأحمد بن طولون من قبل ، وخرج الخليفة العباسي المتقي للقاء الأخشيد كما خرج المعتمد للقاء أحمد بن طولون . وتوطد نفوذ الأخشيد في بلاد الشام ، ثم تعرضت الدولة بعد وفاة الأخشيد لما تعرضت له الدولة الطولونية بعد وفاة خمارويه وأصبحت نهبا للغزو الفاطمي .

واليكيم ما نقله الكندي عن أحداث عصر الأخشيديين :

ظهور الأخشيد :

ثم وليها أبو بكر محمد بن طنج من قبيل القاهر بالله يوم الأحد ٧ رمضان سنة ٣٢١ هـ ، وهو إذ ذلك مقيم بدمشق . ثم

(١) للكندي ص ٢٨١ - ٢٩٨

وليها أحمد بن كيغلع ولايته الثانية من قبل الظاهر يوم الخميس
٧ شوال سنة ٣٢١ هـ ، وثار الجند لتأخر الأعطيات في وجه محمد
ابن علي الماذرائي وانقسم الجند الى أهل الشرق والى المغاربة
واجتمعت كل فرقة على قتال الأخرى يوم الثلاثاء ٥ ذى الحجة
سنة ٣٢١ هـ ، ثم جرى بينهم الصلح في الجيزة في ٨ ربيع الأول
سنة ٣٢٢ هـ ، ثم قدم محمد بن تكين وأتت طائفة المغاربة فلقبت
عسكر محمد بن تكين ليلة السبت لست خلون من ربيع الآخر
سنة ٣٢٢ هـ ، ثم التقوا مرة أخرى فانهزمت المغاربة ، وأتت
المغاربة الى الجيزة فنزلوا بولاق وعقد محمد بن تكين لحبكويه
على ألف من الجند لحرب المغاربة ، والتقوا يوم السبت لتسع بقين
من جمادى الآخرة سنة ٣٢٢ هـ ، وانتصر المغاربة ثم عدوا النيل
وصاروا الى بليس ، وانضم عسكر محمد بن تكين الى أحمد
ابن كيغلع الذي دخل القسطنطينية يوم الأحد لست خلون من
رجب سنة ٣٢٢ هـ .

ووردت الأخبار بمسير محمد بن طنج الى مصر وأن الراضي
بالله عقد له على ولايتها ، فبعث أحمد بن كيغلع بحبشى بن أحمد
من المغاربة الى الفرما ليمنع محمد بن طنج من المسير ، وأقبلت
مراكب محمد بن طنج فدخلت تنيس وسارت مقدمته في البر
ودخل صاعدا الى دمياط ، وأراد ابن كيغلع أن يستسلم فمنعه
محمد بن علي الماذرائي وبعث عليا بن بدر في المراكب فلقى قوات
ابن طنج بمدينة بوش على بحيرة ترسا ، فهزم علي بن بدر في ١٧
شعبان سنة ٣٢٣ هـ ، ودخل في مراكبه الى القسطنطينية ثم مضى

منحدرا في النيل الى الدلتا ، وكف أحمد بن كيغنج عن القتال
وسلم الى محمد بن طنج .

المتاعب الداخلية التي واجهت محمد بن طنج :

ولكن أنصار محمد بن على الماذرائي . وأحمد بن كيغنج لم
يطب لهم الأمر ، فقد اعتصم قائد الثوار بالفيوم وأرسل اليه
محمد بن طنج من يتصدى له في ٣ شوال سنة ٣٢٣ هـ ، فدخل
الي الفيوم فهزم قائد جيش محمد بن طنج وقتل ، فمضى الثوار
الي الاسكندرية . وفي نفس الوقت اتجهت قواتهم البحرية الي
الفسطاط أول ذى القعدة سنة ٣٢٣ هـ ، وأرسوا بجزيرة
الصناعة ثم الي جزيرة راشد فتصدى لهم محمد بن طنج ، ثم
ساروا الي الاسكندرية وأزمعوا الرحيل الي برقة ، وكاتبوا
صاحب افريقية يستأذونه في الدخول في طاعته ويطلبون أن
يبعث اليهم بجيش لفتح مصر فهم أعلم الناس بمسالكها . وبعث
اليهم صاحب افريقية بجيش وأمرهم بالمسير الي مصر فأمر
محمد بن طنج باخراج العساكر الي الاسكندرية والصعيد في
ربيع الثاني سنة ٣٢٤ هـ ، فالتقوا بالمغاربة في ٥ جمادى الأولى
فهزم المغاربة ودخل الحسن بن طنج الاسكندرية ١ .
وورد الكتاب بالزيادة في اسم الأمير محمد بن طنج فلقب
بالأخشيدي ودعوا له بذلك على المنبر في شهر رمضان
سنة ٣٢٧ هـ .

علاقة الأخشيد بالخلافة :-

ووردت الأخبار بمسير محمد بن رائق الى بلاد الشام. ففرض محمد بن طعج الفروض وبعث يراكبه الى الشام وبعث عمران بن فارس الى الشام في جيش كبير ودخل دمشق وسار عبيد الله بن طعج الى الرملة فسلمت اليه في ذي القعدة وسار محمد بن طعج الى الشام في المحرم سنة ٣٢٨ هـ ونزل الفرما وتم الصلح بينه وبين ابن رائق على أن يسلم ابن رائق الرملة ويخرج منها ، وعاد الأخشيد الى القسطنطينية يوم الخميس مستهل جمادى الأولى سنة ٣٢٨ هـ .

وأقبل محمد بن رائق الى دمشق في شعبان سنة ٣٢٨ هـ ، فبعث الأخشيد الجيوش الى الرملة وخرج متوجها الى الشام. فالتقى مع محمد بن رائق يوم الأربعاء للنصف من شهر رمضان بالعريش فهزم ابن رائق وتبعه الأخشيد فدخل الرملة ولكن ابن رائق حارب الحسن بن طعج يوم الثلاثاء ١١ ذي القعدة سنة ٣٢٨ هـ ، ثم اتفق ابن رائق والأخشيد على الصلح وعاد الأخشيد الى القسطنطينية وورد الخبر بمقتل محمد بن رائق بالموصل قتله بنو حمدان سنة ٣٣٠ هـ ، فانتهاز الأخشيد الفرصة وبعث جيوشه الى الشام مستهل رمضان سنة ٣٣٠ هـ ، ووردت الأخبار بمسير المتقي لله الى بلاد الشام ومعه بنو حمدان ، فخرج الأخشيد الى الشام في ٦ رمضان سنة ٣٣٢ هـ ، ومضى الى الرقة فلقى المقتدر بالله وأقام في عسكره ثم عاد الى مصر . ثم خلع المتقي وبويح المستنفي ، فبعث الأخشيد فاتكا وكافور

غلاميه في الجيوش الى الشام ثم خرج بنفسه يوم السبت لحسن
خلون من شعبان سنة ٢٨٣ هـ ، ولقى على بن حمدان بأرض
حمص فاقتتلوا ثم سار الى حلب فدخلها وخلع المستكفي ودعى
للمطيع يوم الجمعة لثلاث خلون من شوال سنة ٣٣٤ هـ . وتوفي
الأمير محمد بن طعج بدمشق لثمان بقين من ذى الحجة
سنة ٣٣٤ هـ .

خلفاء الأخشيد :

تولى أبو القاسم أنوجور وقدم كافور من الشام في
الجيوش وساءت الأمور بين الأمير أنوجور وبين كافور ثم تم
الصلح بينهما ثم عادت الأمور الى السوء بينهما مرة أخرى .
ثم خلفه أبو الحسن على بن الأخشيد يوم الجمعة ١٣ ذى القعدة
سنة ٣٤٩ هـ ، والناظر في البلاد والمستولى على الدولة كافور
والأمر لعلى الى سنة ٣٥٥ هـ ، وتوفي في ١١ المحرم سنة ٣٥٥ .
واستبد كافور بالأمر بعد موت على بن الأخشيد ودعى باسمه
على المنابر في المحرم سنة ٣٥٥ هـ ، ووردت رسل المطيع وخلعه
بهدايا وتوفي كافور في جمادى الأولى سنة ٣٥٧ هـ . وأجمع
الرأى بعد وفاته على ولاية أبي الفوارس أحمد بن على
الأخشيد . وقد خرج الحسن بن عبد الله بالرملة وأخذ البيعة
لنفسه ، وجاء القائد جوهر الى القسطنطينية فخرج الناس للقائه
فدخل بعد العصر يوم الثلاثاء ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ ، وخطب
تلمعز يوم الجمعة على المنابر بمصر وجاء المعز من المغرب الى
الديار المصرية فدخلها يوم الثلاثاء ٦ رمضان سنة ٣٦٢ هـ ١ .

ثانيا - سياسة الخلافة في حكم مصر

مما تقدم من صفحات مستخلصة مما كتبه الكندي في كتابه الولاية يمكننا أن نرسم صورة لسياسة الخلافة الاسلامية في حكم مصر منذ تمام فتحها حتى منتصف القرن الرابع الهجرى .

فقد ظلت الخلافة منذ نجاح الفتح حريصة على تأكيد سلطانها على مصر مستمدة ذلك الحرص من محافظتها على سلطانها وتحقيق النمط المركزى فى الحكم المستند الى القدرة والفعالية الممثلة فى الادارة ذات الكفاية والحزم والرقابة الفعالة وفى الجيش القوى المتماسك الذى يأتمر بأمر الخليفة صاحب السلطان الفعلى ، ومن الحرص الشديد على أن تكتسب هذه البلاد للاسلام ويكفى أن جاءها خليفتان : مروان بن الحكم والمأمون - لتهدئة أحوالها وترتيب أمورها وجاءها ولى عهد قبل أن يصبح خليفة وهو المعتصم .

وظلت هذه السلطة الفعلية والإهتمام المتزايد حتى منتصف القرن الثالث الهجرى ، وكان ممثلا فى سياسة عصر الراشدين والأمويين والعباسيين حتى بيعة المتوكل على الله .

(١) الكندى - ص ٢٩٨

وكانت سياسة الخلافة ووسائل تطبيقها تتأثر بما شهدته الدولة من أحداث طوال الفترة سالفه الذكر كانتقال الأمة من عصر الراشدين الى عصر بني أمية ثم الى عصر بني العباس . وهذا الانتقال لم يكن - كما رأينا - مجرد تغير في الأسرات الحاكمة انما كان تطوراً جذرياً في الحياة الاسلامية ، تطوراً في تطبيق مبادئ الاسلام وفي الحياة الاقتصادية وفي معاملة الشعوب الخاضعة وفي نظم الحكم . وكان كل عصر من العصور سالفه الذكر يحمل معه أسلوباً في حكم البلاد ومعاملة أهلها وإدارة دفة الأمور فيها ، وكان لكل عصر أسلوباً يتفق مع طبيعة العصر ويرضى اتجاهاته ويستجيب لأهدافه .

عصر الراشدين ١ :

كانت لعصر الراشدين طبيعته الخاصة التي أملت عليه أسلوبه الخاص وسياسته الخاصة في حكم البلاد الاسلامية عامة ومصر خاصة . فقد كان العصر استمراراً للعصر النبوي ، وكان عهد الدعوة العالمية الى الاسلام مبلغه لغير العرب وعصر التطبيق العملي لمبادئ الاسلام في بلاد غير عربية ، وكان هذا التطبيق من حيث نجاحه أو فشله يتوقف عليه مصير الاسلام ، فلو أخطأ الراشدون في تطبيق المثل الاسلامية لما كتب للاسلام أن ينتشر بالصورة الشاملة التي انتشر بها . لذا كانت للراشدين أساليب سياسية وإدارية تخدم أغراضهم وتحقق أهدافهم .

(١) الكندي : الولاة ص ٦ - ٢٦

كانت لهم سياستهم الادارية التي تتمشى مع أهدافهم من الاشراف الفعلى الدقيق على الأمصار التابعة لهم مع المركزية الشديدة والرقابة الصارمة لاتخاذ الوسائل الكفيلة لنجاح الدعوة الى الاسلام وتطبيق مثله . كان هذا التطبيق فى حاجة الى سياسة ادارية محكمة وضعها عمر بن الخطاب لأن الدولة فى عهده بدأت تتكامل نمواً وبدأ الاسلام ينتشر ، وكانت الدولة بحاجة الى تقاليد ادارية والى خليفة ذى قدرة على التنظيم ، وكان عمر هو المنظم الحقيقى للدولة الاسلامية .

كانت سياسته الادارية تستهدف الرقابة الصارمة على العمال والولاة لأنهم كانوا دعاة الى الاسلام ، فلو أحسن اختيارهم حسنت ادارتهم ونجحت سياستهم ، لذلك اشترط أن يكون الوالى من أكثر الصحابة فضلاً وأعمقهم ايماناً ، وكانوا يعزلون أو يستبدلون بغيرهم مخافة أن يؤدى طول بقائهم الى الاعتداد بالنفس أو الاستبداد .

وكانوا فى نفس الوقت يراقبون مراقبة دقيقة فيقيم عليهم العسس ليبلغوا الخليفة عن كل صغيرة وكبيرة ، حتى اذا وجد خروجاً عزل الوالى واستبدله بغيره ، وكان الخليفة عمر أحياناً يبعث مندوباً عنه يتنقل فى البلاد ، يسمع شكاوى الناس ويراقب الوالى ، فاذا ظهرت عليه أعراض الثراء سئل من أين له ذلك ؟ ثم يقاسمه بينت المال ماله .

هذا الأسلوب الإدارى طبق فى مصر فى عهد ولاية عمرو ابن العاص الأولى ، ويمكننا تتبع مظاهر تلك الرقابة مما كتبه ابن عبد الحكم^١ عن عصر الراشدين فيذكر أن عمرو بن العاص كان يشرك الخليفة فى كل أموره : فى تقدير الجزية وبناء القسطنطينية وحصار بابليون والاسكندرية . ويلاحظ أن الرقابة التى أشرنا إليها نفذت فى مصر بكافة تفاصيلها وابن عبد الحكم يشير الى بعث محمد بن مسلمة الى مصر ومراقبته لتصرفات عمرو من الناحية المالية ومقاسمة أمواله ، وكان يبلغ الخليفة أولا بأول بما يحدث . ويشير المؤرخ سالف الذكر الى أن الخليفة استدعى عمراً الى المدينة وحاسبه حساباً عسيراً .

وتظهر هذه الرقابة أيضاً فى الخطابات المتبادلة بين عمرو والخليفة بشأن الأموال المطلوبة من مصر وكيفية تحصيلها ووجوه اتفاقها .

واستمر هذا الأسلوب حتى بعد وفاة عمر ، فالخليفة عثمان عزل عمرو بن العاص رغم جهوده واستبدل به عبد الله بن سعد ، وظل عثمان على قصر عهده بالخلافة يسير على نفس تلك السياسة من المراقبة الدقيقة . ولو طال العهد بالراشدين لسارت نفس السياسة فى الطريق الذى اختطوه .

لذلك كان عهد الراشدين فى مصر عهد مثالية التطبيق وكان عمرو وعبد الله بن سعد نموذجاً طيباً لذلك العصر المجيد .

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٤٦ - ١٤٩

العصر الأموي ١ :

ثم كان الانتقال الى العصر الأموي بالصورة التي أشرنا إليها والتطورات التي صاحبت ظهورهم . وقد ترتبت على هذه التطورات أمور هامة ، فعالية المسلمين لم يرضوا بهذا الوضع وانتشرت الفتن والثورات في المشرق والمغرب ، وبدأت القبائل ترفع راية العصيان ، واضطر الأمويون أحيانا الى ضرب العرب بعضهم ببعض وتأييد فريق منهم ضد فريق . واستؤنفت الفتوح ، وكان العصر الأموي انتقالا من دور التقشف الى دور الحياة المترفة ، وكثرت النفقات واشتد الطلب على بيت المال ، لذلك كان لزاما أن تتغير الخطوط الرئيسية للسياسة العربية التي أشرنا إليها في عصر الراشدين .

فالساسة الادارية لم تعد مركزية مطلقة ، فالخليفة في دمشق لم يعد يقدر على السيطرة على دولة امتدت أطرافها الى الأندلس غربا وحدود الهند شرقا ، ولا يستطيع بمفرده أن يواجه هذه التطورات والفتن والثورات . لذلك أعطى الأمويون الولاة سبطانا كبيرا وكانهم نواب الخليفة انظر الى سلطات الحجاج بن يوسف في المشرق وموسى بن نصير في المغرب . كانت لهم

(١) الكندي : الولاة ص ٢٦ - ٩٧

سلطات الخليفة نفسه ، يضاعفون الضرائب ويجندون الجند ويعينون الولاة .

ومن أجل أن تتاح لهم حرية العمل لم تكن الدولة تعزلهم بسرعة كما كان الحال زمن الراشدين ، إنما طالت مدة حكمهم وبعضهم بقى يحكم مصر ثلاث عشرة سنة أو عشرين سنة من أجل أن تستقر أمورهم ويفرغون لتحقيق أهداف الأمويين .

ولى يكن الولاة يختارون من أتقى الناس إنما من أكثرهم ولاء لبنى أمية وإخلاصا لهم ، أما من أصدقائهم أو أمرائهم أو مواليهم^١ أو عبيدهم .

وكانت الدولة رغم هذا السلطان تراقبهم مراقبة دقيقة عن طريق نظام البريد الذى تحول فى العصر الأموى الى جهاز للتجسس لمراقبة سيرة الولاة ، فاذا تبين خروجهم عن سياسة الدولة عزلوا ، واذا تبين الاخلاص مدت لهم فى النفوذ والسلطان .

ومن قبيل الانصاف أن نقرر أن السياسة الادارية للأمويين نجحت نجاحا عظيما وأتاحت للدولة الأموية أن تبقى فى الحكم نحواً من اثنتين وتسعين سنة مع ضعف بعض الخلفاء وكثرة الثورات والأزمات . والولاة الأمويون فى مصر كانوا من أكثر الاداريين فى مصر نجاحا وأبعدهم توفيقا .

(١) انظر الكندى : ٤٨ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٨٠ .

العصر العباسي ١ :

وكان من الطبيعي أيضا أن يؤدي انتقال الحكم الى العباسيين على النحو الذي بيناه الى ايجاد سياسة عربية جديدة تنبع من طبيعة ثورتهم وظروف عصرهم وتحقق أهدافهم ، وقد واجه العصر العباسي ظروفًا كثيرة قدر لها أن تؤثر في توجيه سياسته الادارية منها : أن انتقال الدولة العباسية الى العراق كان معناه انتقال مركز الثقل من بلاد الشام مركز الحكومة الاموية وقد حدث هذا الانتقال في وقت تجدد العدوان البيزنطي ، فقد بدأ البيزنطيون بعد سلسلة من الهزائم ينظمون المقاومة لاسترداد بعض ما فقدوه أو على الأقل وقف التوسع العربي ، فنظموا مقاومة ناجحة في آسيا الصغرى والبحر الأبيض المتوسط وصقلية ، بل شنوا غارات ناجحة على حدود دار الاسلام .

يضاف الى هذا ما كان من أمر المقاومة الاموية التي كانت تتركز في مصر والشام والمغرب . ولم يكف الأمويون عن الثورات مطالبين بالخلافة^٢ وكانوا يتخذون من مصر وبلاد الشام مركزاً للدعوة سرية ناجحة ومحاولة للقضاء على العباسيين والعودة الى الحكم مرة أخرى ، وكانت ثورات الخوارج تمزق المغرب في الوقت الذي استقل فيه الأمويون بالأندلس . هذا ولا ننسى تطور الاقليمية في العصر العباسي وما كان من وجود

(١) الكندي : لولاءه من ٦٧ - ٦١١

(٢) الكندي : ص ٢٢٨ - ٢٣٠

وعى اقليمى بين جماعات المسلمين المتطلعين الى مزيد من ميادين العمل السياسى .

وقد وضع العباسيون فعلا سياسة ادارية ناجحة عالجت هذه الظروف وحققت أهدافهم كاملة . فعملوا على ايجاد وحدة ادارية كبيرة تشمل الشام ومصر وبلاد المغرب وتقرر أن يكون لها كيان ادارى خاص . هذا القسم الغربى كانوا يولون عليه نائبا للخليفة يختار من الأمراء العباسيين أنفسهم أمثال صالح بن على^١ والفضل بن صالح^٢ ، وموسى بن عيسى^٣ وغيرهم .

وكان نائب الخليفة هذا يقسم وقته بين مصر والشام ، اذا كان بالشام أقام بدمشق ، واذا كان بمصر أقام بالنسطاط أو بالعسكر ، وعندما يكون فى أيهما يولى نائبا من عنده على الناحية الأخرى .

ومما يلاحظ أن نائب الخليفة هذا كان تفوذه يمتد الى بلاد المغرب ولا تزال التقود الاسلامية من العصر العباسى تدل على هذا السلطان الادارى الذى أتيح لنائب الخليفة .

وكان على نائب الخليفة أن يعالج الظروف التى أشرنا اليها ، فيصد عدوان البيزنطيين ويحمى سواحل مصر والشام ويقضى على مؤامرات الأمويين . ويلاحظ أن العباسيين استغلوا بعض

(١) الكندى ص ٩٧

(٢) الكندى ص ١٢٩

(٣) الكندى ص ١٣٢

الأساليب التي استخدمها الراشدون من كثرة عزل الأمراء ونواب الخليفة وتغييرهم بصفة مستمرة — باستثناء من قد تولى ولاية العهد — حتى لا يؤدي طول بقائهم الى استقلالهم بالقسم الغربي من الدولة .

ولكن حدث منذ عهد المأمون^١ أن تطور هذا النظام الى اقطاعية ضخمة لها سلطانها البعيد وتفوذها الكبير ، ذلك أن نواب الخليفة بدأوا يقيمون في بغداد بصفة مستمرة لا يعزلون كما كان يحدث إنما أصبحت لهم سلطات كأنها سلطات الخليفة ، خطب لهم على المنابر وكتبت أسماؤهم على النقود وذكرتهم^٢ أسماؤهم في الوثائق الرسمية والاتفاقيات السياسية .

ولم يكن هؤلاء النواب يختارون من الأمراء العباسيين إنما اختيروا من الموالي أمثال عبد الله بن طاهر الذي كان له سلطانه العظيم . ثم أصبح نواب الخليفة من الأتراك في عصر المعتصم . ومن أمثلة تفوذ الأتراك في عهد المعتصم ذلك السلطان الذي حصل عليه اشناس التركي^٢ ، اذ كان يتولى حكم بلاد تمتد من المغرب الى الشام وتمتع بسلطات عظيمة كنائب للخليفة وظل هؤلاء الترك يتولون هذا المنصب الرفيع فترة طويلة .

(١) الكندي ص ١٤٩ - ١٥٤

(٢) الكندي ص ١٩٥

ضعف الخلافة العباسية في النصف الثاني من القرن الثالث

الهجري :

كان النصف الأخير من القرن الثالث الهجري حافلا بتطورات هامة ، لا يمكن أن تفهم الأحداث في مصر الا في ضوءها ، وأهم هذه التطورات أن الأمصار الاسلامية شهدت خروجاً على الحكم المركزي للخلافة ورأت عمالاً يورثون الملك أبناءهم ويظفرون باستقلال ذاتي للبلاد التي يظهرون فيها .
وبعض المؤرخين يرى في هذه الحركات انحلالاً للدولة الاسلامية وبداية للكارثة التي قضت على وحدة المسلمين ويردون ذلك الى ضعف السلطة المركزية من ناحية ونمو سلطات الولاة على حساب الخلافة من جهة أخرى .
والحقيقة أن هذه التطورات لم تكن تفككا للدولة الاسلامية فقد دان هؤلاء الأمراء بالطاعة للخلافة واعترفوا بنفوذها الاسمي ، وكانت الخلافة تتدخل في بعض الأحيان تدخلاً مشمراً .
وكان العالم الاسلامي في الحقيقة تجمعه وحدة الخضوع الاسمي لخليفة المسلمين .

ومن الاسراف أن نرد هذه الظاهرة الى ضعف الخلافة فحسب ، فقد ظهرت بعض المحاولات الاستقلالية في فجر الدولة العباسية ، انما هذه الحركات في الحقيقة تعبير عن القومية والاقليمية ، ذلك أن الاسلام حينما انتشر قهر قوميات لها عراقتها في التاريخ والحضارة ، هذه القوميات بعد أن أسلم

أصحابها لم يكن من المعقول أن يطول خضوعهم ، إنما وجدت هذه القوميات متنفسا عنها في هذه الحركات الاستقلالية التي امتلأ بها تاريخ هذه الفترة .

وهذه الحركات الاستقلالية صورة للصراع الاقليمي بين الاقليمية والمركزية فالدولة الاسلامية دخلت في طاعتها أقاليم متباينة جنسا ولغة وطبيعة ، وهي وان كانت قد استكانت للسلطة المركزية وقتا فانها سرعان ما فرضت نفسها على التاريخ مخفية وراء هذه الحركات الاستقلالية ومنتهزة ضعف الخلافة أو انشغالها .

وهناك حقيقة هامة وهي أن هذه التطورات كانت اقتضارا حقيقيا للدعوة الاسلامية ولروح الاسلام ، فالاسلام لم يفرض امتيازا للعرب على حساب غيرهم من المسلمين فتحرر هذه القوميات من نعم الاسلام . هذا ومؤرخو الحضارة يرون في الحركات الاستقلالية طليعة للتنافس بين البيئات الاسلامية في الاتاج الثقافي ، هذا التنافس الذي مهد لعصر النهضة الاسلامية الشاملة .

وتميزت هذه الفترة أيضا بأمور معينة كان لها أثرها الواضح في تاريخ مصر منذ القرن الثالث فصاعدا ، منها ما تناقله المؤرخون المعاصرون من عدوان على أشخاص الخلفاء بالسجن أو القتل أو التعذيب أو العزل أو على سلطانهم بالسلب والتضييق . كما أن لقب الخلافة فقد ما كان له من هيبة وقداسة . ومن الغريب أن بعض الكتاب ردوا ذلك الى ضعف

الخلفاء وانصرفهم الى اللهو ، لا نكر أنه ظهر بعض الخلفاء
الضعاف الذين استسلموا للأقدار ، ولكن الأمر لم يخل من خلفاء
آخرين كانوا على جانب كبير من القوة . الحقيقة أن الأمر لم
يكن ضعف أشخاص الخلفاء بقدر ما كان ضعف نظام الخلافة
نفسه .

وأسباب ضعف النظام ترجع الى الاقسام الذى وضع في
صفوف البيت العباسى الحاكم منذ البداية الأولى . ظهرت
علامات هذا الاقسام في عهد السفاح ، ثم اشتدت في عهد
اللامون ومن تبعه . وفي نفس الوقت الذى كان فيه البيت
العباسى يفقد هذه الوحدة كانت العصبية العربية تضعف
بسبب تفرق العرب في البلاد واختلاط دمائهم . وكان العباسيون
أنفسهم قد عملوا على اهمال هذه العصبية^١ واضعاف ما بقى
لها من نفوذ ، ويظهر أن الخلافة بعد فقدانها تأييد العرب قد
تخبطت سياستها ، ودفعها الخوف على النفوذ الى مخالفة
عصبية جديدة قدر لها أن تقضى على ما بقى للخلافة من سلطة
فقد استعانوا بالترك فاستبدوا بهم واغتالوا سلطانهم . وخضع
سلاسل العباسيين وذلوا لهؤلاء الأتراك يستبدون بهم ويتحكمون
فيهم . ولم يقنع الأتراك بالسيطرة على الخلافة انما امتد سلطانهم
الى الوظائف الادارية وفي مقدمتها منصب الوزارة . وأصبح

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ١٥٥

تعيين الوزراء يتم عن طريقهم ، بل تجاوز نفوذهم حاضرة الخلافة فكان الولاة يختارون اما من طبقتهم أو من المقربين اليهم ١ .

لم يكن الأمر اذن ضعف خلفاء بقدر ما كان ضعف النظام العباسى نفسه فقد شهد هذا العصر خلفاء لو كان زمانهم تقدم بهم لما كانوا أقل من المنصور أو الرشيد أو المأمون .

هذه الخلافة الضعيفة شغلت بمشاكل اقتصادية اجتماعية عميقة الجذور قدر لها أن تشل حركتها وتشغل عليها تفكيرها . بل كانت هذه المشاكل من وراء الفتن والثورات التي ظهرت في ذلك العصر وأخصها الثورة المشهورة بثورة الزنج ٢ التي قدر لها أن تلعب دورا هاما في تاريخ مصر . وهى تشبه من وجوه كثيرة ثورة العبيد في التاريخ الرومانى . والمجتمع الاسلامى كما نعلم يبيح الرق بمقدار الا أن العبيد في الحياة الاسلامية لم يكونوا مثل اخوانهم من قبل في العصر الرومانى حيث كانوا عماد الانتاج ، انما اعتمد الانتاج الاسلامى فى الغالب على الفلاحين الأحرار والصناع . وكان العبيد يستخدمون فى الأعمال المنزلية أو فى الجيش .

ولكن العصر العباسى غير من هذا الوضع واستخدم العبيد فى الأعمال اليدوية فى عدد من المشاريع الواسعة فى المناجم وتجفيف المستنقعات . وعمدت الرأسمالية الى الاكثار من العبيد

(١) الكندى ص ٢٠٢ - ٢١٢

(٢) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٠٥

واستخدامهم في الزراعة على الخصوص ، وكانوا يحشرون في مساكن حقيرة جماعات . وكان كبار الملاك يقتنون الآلاف منهم واستخدموهم في سهول البصرة ، في تجفيف المستنقعات وكانوا يعملون جماعات يتراوح أفراد الجماعة منها بين الخمسمائة والألف ، وكانت أحوالهم سيئة الى أبعد الحدود . وقد اتخذ الدعاة هؤلاء العبيد تربة صالحة لنشر دعوتهم . فادعى صاحب الزنج أنه من نسل زيد بن علي ، وأعلن العصيان وانتشرت دعوته وانضم اليه العبيد واشتعلت ثورة الزنج المشهورة . وقد أحرز الزنج الثائرون سلسلة انتصارات سريعة وهزموا جيوش الدولة الواحد في أثر الآخر ، وأظهروا عجز الأتراك فقد هاجموا البصرة واتخذوها عاصمة لهم ، وهزمت جيوش الخلافة سنة ٢٥٧ هـ ، وسيطر الزنج على بقاع واسعة في جنوب العراق وإيران وهاجموا البطيحة سنة ٢٦٢ هـ ، ودخلوا النعمانية سنة ٢٦٥ هـ والأهواز بعد ذلك بسنة ١ ، وبدأت هذه الثورة السوداء كأنها كارثة محققة تريد القضاء على ما بقي للخلافة من نفوذ .

ضعفت الخلافة على هذا النحو وانهار سلطانها وتركت فراغا سياسيا كبيرا في مصر الاسلامية . وكان لا بد أن يملأ الفراغ ليصون مصر ويدافع عن حدودها وينطلق بها نحو التقدم . فكانت امارة بنى طولون في مصر وبنى الأخشيدي التجربة الجديدة التي ملأت ذلك الفراغ ، وكانت حلقة جديدة في تاريخ

(١) الطبرى ج ٧ ص ٥٦١

العلاقات بين مصر والخلافة . وظهر طراز من الولاة لم تألفهم الحياة السياسية من قبل يستبدون بالسلطات الداخلية في البلاد وتطلق أيديهم في شئونها مكتفين بالدعاء للخليفة بعد الخطبة أو نقش أسمائهم على السكة أو الطراز ويتوارثون الحكم والسلطان أحيانا باعتراف الخلافة ورضاها وأحيانا رغم معارضتها واطهار سخطها ، وينشئون القوات المسلحة في اقليمهم تستمد ارادتها منهم وتدين لهم بالولاء والطاعة وتشهر السلاح أحيانا في وجه قوات الخلافة نفسها دفاعا عن مكاسب الأمراء وسلطانهم ويقومون باصلاحات مالية واقتصادية فتنمو مواردهم وتعظم ثرواتهم وينشئون العواصم والقصور ويعيشون عيشة مترفة فاعمة ، ويضطلعون بمهمة الجهاد التي تخلت عنها الخلافة التي أصابها الوهن والضعف .

وقد حدث أن استردت الخلافة سلطانها الى حين عام ٢٩٢ هـ وعادت الى حكم مصر حكما مباشرا على النمط القديم في فترة صحوتها وقوتها الموقوتة . لكن الظاهرة عادت تلح مرة أخرى ممثلة في الأخشيديين في مصر ، واليكم نماذج من السلطات الكبيرة التي حازها الطولونيون والأخشيديون لنذكر كيف تغيرت ظروف العلاقات بين الخلافة ومصر منذ عام ٢٥٤ هـ حتى أستطاع الفاطميون أن يفتحوا البلاد .

الطولونيون :

انه من الصعب أن نعتقد أن أحمد بن طولون جاء الى مصر ليسيير في نفس طريق الوكلاء السابقين ينقذ أمر الوالي الشرعي

ويبعث اليه بحاجته من المال . بل نعتقد أن ابن طولون كانت آماله أبعد من ذلك ، وأنه كان يفكر في استقلال لا يخرج به عن ولائه للخليفة العباسي ولا يحقق بالثورة والاعتصاب إنما يحقق في نطاق الخلافة وبرضاها اذا استطاع . وعظماء الرجال آمالهم أبعد من تفكير معاصريهم وهم لا يكشفون عن خطتهم دفعة واحدة إنما يكشف عنها بالتدريج ، فما هي أعمال ابن طولون في مصر التي ميزته عن الولاة السابقين ؟

نعتقد أن مشروعات ابن طولون الاستقلالية لم تظهر فجأة . إنما في صورة خطوات متتابعة تتجه نحو تحقيق الاستقلال كما يفهمه الناس اذ ذاك . كانت خطوته الأولى أن يشمل سلطانه مصر كلها وأن يسيطر على مرافقها سيطرة كاملة ، فقد كان نفوذه لا يتجاوز مدينة الفسطاط . وتحقق له ما أراد وتولى أمور مصر رسمياً . ويمكننا أن نعتبر سنة ٢٥٧/٢٥٨ هـ سنة حاسمة في حياته فقد كانت بداية اطلاق يده في البلاد وسيطرته على الاسكندرية وبرقة ، وقدم له حكام الكونز (المديريات) مظاهر الطاعة والخضوع ، وتصرف عندئذ كأنه الوالى الشرعى للبلاد وبدأ في انشاء القطاعات وتأسيس المسجد الجامع وسيطر على البريد فأصبح خاضعا له وضمن ألا تتسرب أخباره الى دار الخلافة الا بالقدر الذى يريد .

واستطاع بوسائله الخاصة أن يحصل من الخليفة المهتدى

على قرار بعزل ابن المدبر عامل الخراج وابعاده خارج مصر. ليتولى خراج فلسطين ودمشق والأردن. فأطلقت يده في الأمور المالية، فولى على الخراج رجالا يدينون له بالولاء. ثم تصدى للفتن الداخلية جميعها ففضى عليها واستقامت له الجبهة الداخلية واعترف بزعامته وعرفت الخلافة مكاتته. ثم كان انشاء الجيش الذي لا يعتمد على الخلافة انما يدين له بالولاء ويكون عونه في تحقيق مشروعاته والدفاع عن الاستقلال الذي أراد تحقيقه وأصبحت له قوات نظامية كبيرة العدد تخضع له مباشرة.

ولكى ينمى ثروة البلاد قام باصلاحات اقتصادية كثيرة بعد طرد ابن المدبر، وسيطر على ديوان الخراج الذي أصبح خاضعا له خضوعا تاما، ثم ملأ ديوان الخراج بموظفين يدينون له بالولاء وفرض رقابة صارمة عليهم ووضع حدا لنهبهم. كما أصلح العملة وسك الدينار الطولوني واعتمد على الخراج باعتباره المورد الضريبي الأول، وارتفع خراج مصر في عهده فبلغ نحواً من ٤,٣٠٠,٠٠٠ دينار^١، كما عمد الى مضاعفة الانتاج في ميادين الانتاج كلها الزراعي والصناعي والتجاري. وجمع بفضل هذه الاصلاحات أموالاً ضخمة كانت عونه في الخطوات التي خطاها في سبيل الاستقلال ومكنته من شراء العبيد والسلاح والاكثر من الجند وبناء القطائع والقصر والميدان والمسجد الجامع والقيام بكافة الاصلاحات العمرانية ومتابعة الجهاد.

(١) ابن سعيد: المغرب ص ١٣٢

كان ابن طولون يتصور أن الاستقلال يقوم على أركان ثلاثة : أن يبقى في مصر لا تعزله قوة ولا يتدخل أحد في شأنه ولو أدى الأمر الى استخدام القوات المسلحة ، وأن يتخذ مصر قاعدة ليلعب الدور الأول في العالم الاسلامى ، وأن تكون له جميع الصفات الرسمية ، وأن تكون امانة مصر وراثية في أولاده . وفي سبيل تحقيق ذلك تصدى لأكبر قوة في الدولة العباسية قوة الموفق أخى الخليفة الذى ظهر على مسرح الخلافة العباسية في وقت تهددتها الأزمات العنيفة كثورة الزنج . وقد اعتمد عليه الخليفة في مواجهة هذه الأزمات ومنحه سلطات كبرى ، وولاه على القسم الشرقى من الدولة ويشمل الكوفة والحجاز واليمن وبغداد وواسط والبصرة والأهواز . وسرعان ما أصبحت له الكلمة الأولى في الدولة ، وأطلقت يده في شئون البلاد وقد تمكن الموفق من هذا السلطان الواسع في الوقت الذى توطدت فيه أقدام ابن طولون في مصر وسرعان ما بدأ الصراع بينهما .

ولم يترك ابن طولون سلاحا الا واستخدمه دفاعا عن نفسه فقد طلع على العالم الاسلامى بأمر جديد كان له وقع عظيم في الأوساط المعاصرة ، فقد جعل نفسه مدافعا عن الخلافة بالسيف وقوة السلاح ، وكتب في سنة ٢٦٨ هـ الى الخليفة المعتمد كتابا هاما ورد فيه : « وقد اجتمع عندي مائة ألف عنان أنجاد وأنا أرى لسيدى أمير المؤمنين الانجذاب الى مصر فان أمره يرجع بعد الامتهان الى نهاية العز ، ولا يتهيا لأخيه فيه شيء مما يخافه

عليه منه في كل لحظة ... »^١ . ويبدو أن الخليفة استجاب لهذه الدعوة الجريئة وتظاهر بالخروج للصيد حتى وصل الى الرقة حيث كان في انتظاره ضابطان من رجال ابن طولون ، وكان من الممكن أن يدخل الموصل ومنها الى بلاد الشام لولا أن انكشف أمره وأعيد الى العاصمة مقهورا . ولو نجح ابن طولون في ايواء الخليفة لتحركت قواته الرابضة على حدود العراق ولدخلت دفاعا عن حق الخلافة . وتصرف ابن طولون هذا يعطينا صورة للوزن الذي أصبح له في العالم الاسلامي وهو تصرف فيه تحد سافر لسلطان الموفق .

بل اتخذ أمرا أشد غرابة فقد عمل على خلع الموفق من ولاية العهد ، ومن أجل ذلك عقد مؤتمر دمشق وحضره عدد من القضاة وقد أصدروا قرارا بخلع الموفق من ولاية العهد استنادا الى أن الموفق تقض البيعة بعدوانه على الخليفة وأنه خرج على السلطات التي أعطيت لولي العهد وأنه غير أهل لامامة المسلمين فقد أعطى نفسه حق خلع ولي العهد واتخذ لقباً جديداً في صيغة كتاب الخلع « أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين »^٢ . ثم أمر بلعن الموفق على المنابر واسقاط اسمه من الدعوة ومحو اسمه من الطرز . واتسع نفوذ ابن طولون بصورة لم يألّفها تاريخ مصر من قبل ، فقد امتد نفوذه الى برقة وبلاد الشام ومنطقة الثغور ، وجاهد البيزنطيين أصدق جهاد .

(١) البلبلى : سيرة ابن طولون ص ٢٨٠

(٢) البلبلى ص ٢٩٦

ثم بايع الجند ابنه خمارويه أميراً من بعده ، ولما استقام
لخمارويه أمر الجبهة الداخلية كان عليه أن يدافع عن أملاكه في
بلاد الشام وأن يستأنف النضال بين بغداد ومصر وأن يقف
للمؤامرات . وكان الموفق قد استراح من حروب الزنج وبدأ
يتفرغ لمصر ليأخذ بثأره القديم . ولكن خمارويه قضى على
أعدائه الذين كانوا قد اجتمعوا منذ عامين للقضاء عليه وأقر
السلام على الحدود الشرقية وامتد نفوذه من برقة حتى الفرات
ومن آسيا الصغرى حتى بلاد النوبة . وبدأ الطولونيون قوة
رهيبة يحسب لها كل حساب ، وكانت نتيجة هذه الانتصارات
أن ارتفع قدر خمارويه في أعين المعاصرين ورأوا أنه يملأ مكان
أبيه في قوة وجدارة وإذا بالموفق ينشد السلام بعد أن أعيته
السبل . وكان خمارويه هو البادىء بطلب الصلح والتفاهم ،
وكتب الى الموفق في طلب الصلح . واجتمعت رغبة المعتمد
والموفق على مباركة هذه الخطوة والترحيب بها ، وبعثوا الى
خمارويه كتاباً كتبوه بأيديهم تعظيماً له ^١ . وفي هذا الكتاب
أعطى خمارويه الحق في أن يحكم البلاد مدة ثلاثين سنة ^٢
لا يهدد بعزل أو تدخل في شئونه كما أعطى حق التوريث ، فكان
هذا الاعتراف أمراً جديداً في تاريخ العلاقات بين الخلافة وبين
مصر ، واستوفت الامارة الشكل وأصبحت مصر دولة يعترف
بها أصحاب النفوذ الاسمي والفعلي .

(١) أبو المحاسن : النجوم ج ٣ ص ٥١

(٢) الكندي : الولاة ص ٢٣٦

ثم توفي المعتمد وبويح المعتضد بالخلافة سنة ٢٧٨ هـ ، وأرسل خمارويه رسله الى الخليفة الجديد يحملون التهئة بالخلافة والهدايا التي تتمثل فيها عظمة الطولونيين ، وقد صدرت معاهدة جديدة لا تختلف كثيرا عن المعاهدة الأولى من حيث الهدف والروح اذ تضمنت الموافقة على ولايته هو وأولاده من بعده ثلاثين سنة وجعلت اليه الصلاة والخراج ، فكان المعاهدة ألغت آخر قيد على استقلال مصر الداخلى . ونعتقد أن أحمد ابن طولون لم يكن له حق توليته العمال فى البلاد دون رأى الخليفة وموافقته ، ويبدو أن هذه المعاهدة أعطت خمارويه فوق ذلك حق تعيين القضاة فقد كان القضاء من الأمور الخاصة بالخلافة ، وكان الخليفة هو الذى يعين القضاة ١ .

ثم حدث تطور هام فى العلاقات بين الخلافة والطولونية فقد تمت المصاهرة بين البيتين ، ويبدو مما رواه المؤرخون أن العرض جاء من جانب خمارويه ولعله كان من الأسلحة التي استغلها لاغراء الخليفة بتجديد العقد ، ولم يكن من المعقول أن يرفض الخليفة هذا العرض الذى جاء من أقوى الأمراء المعاصرين وأكثرهم غنى . وكان خروج الاتفاقية الى حيز التنفيذ معناه وفاء مصر بما وعدت به من التزامات مالية ثم وفاء أمير مصر بالزواج الموعود ، فقد طمع الخليفة نفسه فى هذه المصاهرة ورحب بها . والدوافع التي حدثت كلا الطرفين واضحة ، فخمارويه كان يريد أن يربط بين البيتين بروابط مودة باقية وأن

(١) أبو المعاسن : ج ٣ ص ٥١

يكسب البيت الطولوني مجدا ونفوذا . أما المعتضد الطامع في المال فقد طمع في المزيد منه ، فقد كان متوقعا أن تجهز العروس بما يتفق مع الخلافة وهيبتها ومع مصر وثروتها العظيمة وأن تتدفق الهبات والهدايا الى خزانة الخلافة . ولم يتم الزواج الا بعد توقيع المعاهدة بنحو سنتين أو ثلاث سنين . ويكفى خمارويه فخرا رغم ما أتفق أنه تطلع الى ما لم يتطلع اليه كثيرون من الأمراء المعاصرين وأنه سعى الى الاتفاق مع الخلافة وأعطى دولته صفتها الشرعية وضمن لأولاده حقا في الوراثة ، وصاهر الخليفة . ثم تمكنت الخلافة التي صحت صحوة موقوتة في عهد المعتضد والمكتفى أن تقضى على الطولونيين سنة ٢٩٢ هـ وأن تعيد مصر الى حكمها المباشر مرة أخرى . وظلت مصر تمزقها الثورات الداخلية مثل ثورة ابن الخليج ، وتهدها الغزوات الفاطمية من الغرب وسرعان ما عادت الخلافة الى ضعفها التقليدي وشعرت بالحاجة الى شغل هذا الفراغ مرة أخرى ، ومن هنا نشأت الامارة الأخشيدية لتملأ هذا الفراغ حتى فتح الفاطميون مصر .

الأخشيديون :

بدأ أحمد بن طولون حياته السياسية في بلاد الشام ، وبدأ محمد بن طغج حياته السياسية في مصر ، فقد اتجه اليها ليعمل في خدمة أحد ولاتها الأتراك واسمه تكين ، وكان العناية بعثت به في الوقت المناسب ، فقد جاء مصر وشعور المسلمين معبأ بالسخط والثورة على العباسيين والقوات الفاطمية تطرق أبواب مصر من الغرب .

واستطاع الأخشيد أن يكون عدة والى مصر فى صد
الحملات الفاطمية على البلاد ، وقدر الوالى التركى ما أظهره
هذا الشاب من نفوذ فولاه على منطقة عمان بفلسطين . وكان
عليه أن يكسب عطف الخليفة ورضاه بعد أن كسب عطف
العناصر التركية فى مصر والشام . فقد أغار الأعراب على قافلة
الحجاج المارين ببلاد الشام وكان فيهم قوم من أعيان العراق
ومعهم جارية لأم الخليفة ، واستطاع الأخشيد أن يهزم قطاع
الطرق وأن ينقذ الحجاج ومعهم جارية الخليفة . لكن ابن طنج
كان ينقصه رضا المرتزقة أصحاب السلطة الفعلية فى عاصمة
العباسيين وقد تم له ما أراد حين نجح فى صد الخطر الفاطمى عن
مصر متعاوناً مع عاملها التركى ومع أمير الأمراء الذى جاء
بنفسه الى هذه البلاد ليشرف على الاستعدادات الكفيلة بصد
هذا الخطر . وعاد أمير الأمراء الى بغداد راضياً عن الأخشيد
فقلد ولاية الرملة فى فلسطين سنة ٣١٦ هـ ١ ، وولاية دمشق
سنة ٣١٩ . ولم يكن الأخشيد ليقنع بولاية الشام إنما كان يرنو
الى ولاية أغنى وأعظم وهى ولاية مصر معتمداً على الجند
والأموال التى استكثر منها فى بلاد الشام . فلننظر كيف أصبح
الأخشيد والياً على مصر وكيف اتجه نحو الاستقلال بها .

تقلد محمد بن طنج ولاية مصر ليس على سبيل الاقطاع ،
إنما بطريقة مختلفة ، فقد أصبح تقليد الولاية سلعة تباع لأكثر
الناس دفعا للمال وأكثرهم تقرباً من ذوى الحظوة . واستطاع

الأخشيد بنفوذهم في بلاد الشام وبالتوسل لأصحاب النفوذ ،
ومعتدا على حاجة الدولة العباسية الى رجل قوى يدفع الخطر
الفاطمى ويسد الفراغ في مصر الذي تركه سقوط الامارة
الطولونية وصدر مرسوم في سنة ٣٢١ بتولية الأخشيد على
مصر ١ ، ولكن مرسوم الخليفة لا يغنى ولا يفيد فقد يصدر
المرسوم اليوم وقد يلغى بعد ذلك بسبب تدخل حريم القصر
أو الضباط الترك . وكان تنفيذ المرسوم يتطلب أن يكون الوالى
صاحب قوة ونفوذ وأن يكون مرضيا عنه من أصحاب النفوذ
ببغداد . وقد تحقق للأخشيد هذا كله بعد مصاهرة الفضل
ابن جعفر صاحب النفوذ في بغداد ٢ ، وسلوكه نفس السبيل
الذى سلكه ابن طولون في موقفه من ابن المدبر صاحب الخراج
وصاحب النفوذ الفعلى في البلاد ، فقد اصطدم الأخشيد بنفوذ
مماثل ، فقد كان عمال الخراج في مصر وقت مجيء الأخشيد
قد توارثوا هذا المنصب منذ سنة ٢٧٢ هـ فقد تولاه الماذرائيون ٣
وبقى في بيتهم نحواً من خمسين سنة فكأنهم جعلوا للخراج دولة
في مصر مستقلة بشؤونها المالية .

واضطر الأخشيد الى الاستعانة بالقوات المسلحة للقضاء
على عامل الخراج في مصر وتقدم نحو البلاد براً وبحراً ، تقدم
الأسطول من بلاد الشام واقتحم النيل من دمياط حتى القسطنطينية .

(١) الكندى : ص ٢٨٢

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ١١

(٣) سيدة الكاشف : الأخشيديون ص ٣٧ - ٤٠

ثم تقدمت القوات البحرية من فلسطين فهزم عامل الخراج وقضى عليه .

وكان على الأخشيد أن يعزز هذه الانتصارات جميعها بأن يدافع عن مصر ويحميها ويظهر في العالم الاسلامى بمظهر المدافع عن أهل السنة وعقائدهم وتقاليدهم ، فأظهر التفوق في الدفاع عن مصر وصد هجوم الفاطميين مرة أخرى . وكان نجاحه في حماية الخلافة العباسية وحماية المذهب السني له صدى عميق في الرأى العام المعاصر ، ولكى يؤمن تلك المكانة التى سما إليها ويعزز سياسته الداخلية والخارجية بالقوة التى تسنده أنشأ الجيش القوي وسار في نفس السبيل الذى سلكه ابن طولون من قبل ، كما عمل على اكتساب ود المصريين أهل البلاد والفوز بولاء أهل الذمة الذين كانوا لا يزالون في ذلك العهد قوة يحسب لها حساب .

وإذا كان ابن طولون قد تحدى أعظم قوة في عصره فقد تحدى الأخشيد أمير الأمراء محمد بن رائق الذى اتسع نفوذه فتولى امرة الجيش وخراج جميع البلاد الاسلامية^١ وخطب له على المنابر في الشرق والغرب ، وقد هدد الأخشيد فلم يتردد في أن يشتبك معه في البر والبحر حتى أصبح القوة الكبرى في الحياة الاسلامية حتى ان الخليفة الذى عبث بمصيره الترك وأفزعه عدوان أمير الأمراء وضعف الجند وفتنهم المتصلة اضطروا الى الاستنجد بالأخشيد والكتابة اليه ليقابله في بلاد الشام وتم

(١) سيدة الكاشف : الأخشيدون ص ٧١

اللقاء ، وأظهر الأخشيدي الولاء له وكان يود أن يعتصم الخليفة بمصر ، لكن الأخشيدي استطاع أن يحقق الاستقلال المنشود بعد أن دانت له قوى الدولة كلها ، فقد هزم أمير الأمراء وأصبح الباب أمامه مفتوحا ليحقق ما يشاء ، وقد ظفر من الخليفة بمعاهدة أشبه بالتي ظفر بها خمارويه ، إذ اعترف الخليفة بولاية مصر وراثية في أولاده وأقره على البلاد التي استولى عليها ، بل مضى الأخشيدي الى أبعد من هذا فقد استطاع أن يأخذ البيعة من قواده لابنه من بعده ، وحصل من الخليفة على موافقته على هذه البيعة وأصبح يدعو للخليفة ثم لنفسه ثم لولده من بعده . وامتد نفوذ الأخشيدي الى الحرمين ، وتقليد الخليفة ولاية الحرمين للأخشيدي يشهد بالسلطان الواسع الذي ناله محمد بن طنج .

وارتفع شأن مصر في عهده فقد استطاع أن يتغلب على منافسيه بأن وطد علاقته بالخلافة وساد الأمن والطمأنينة وجعل لبلاطه من الرسوم والتقاليد مثلما كان للبلاط الطولوني ، فقد كثرت أموال الأخشيدي بصورة لم تتوفر لسلفه من قبل ، ومؤرخو عصره يتحدثون عن الثروة الطائلة التي تركها وينسبون ذلك الى نجل الأخشيدي وعدم ميله الى الاسراف غير أنها يجب أن تنسب الى رخاء العصر وازدياد الدخل القومي وسياسة الإصلاح الاقتصادي التي سار عليها .

من هذا يتبين كيف أن العصر الطولوني والأخشيدي قد أتى بجديد في العلاقة بين مصر وبين الخلافة .

ثالثا - نظم القضاء في مصر

أما عن القضاء في مصر من الفتح العربي حتى منتصف القرن الثالث الهجري وتقاليده ونظمه وعلاقة القضاء بالوالي وطريقة تولى القضاة وأسلوبهم في الجلوس وأعوانهم واختصاصاتهم وطريقتهم في إصدار الأحكام وخروجهم للغزو ومشاركتهم في الأحداث السياسية ، فقد استطعت أن أجمع من كتاب القضاة بعض النصوص الهامة التي تلقي الضوء على هذا الجانب الهام من تاريخ الاسلام في مصر وآثرت أن أتمسك بأسلوب المؤرخ بقدر الامكان ، واليك بعض اللوحات من تاريخ القضاء في مصر مستنبطة من كتاب الكندي :

بعد أن انتهى العرب من فتح مصر واستقامت لهم أمورها عين الخليفة عمر أول قاض في تاريخ مصر الاسلامية ، فقد ولي قيس بن أبي العاص بن قيس^١ . وقد جرت التقاليد في عصر الراشدين على أن يكون اختيار القضاة من اختصاص الخلفاء أنفسهم ، فقد ولي بعد قيس قاضيا آخر هو عثمان بن قيس وقد مات بعد مقتل عثمان . وظلت مصر بدون قاض حتى استقام الأمر لمعاوية بن أبي سفيان فولى القضاء سليم بن عتر التميمي^٢ .

(١) الكندي : القضاة ص ٢٠٠

(٢) الكندي : القضاة ص ٢٠٢

على أن اختيار القضاة بعد معاوية ترك لولاية مصر هم الذين
لاختاروا من تولى القضاء في البلاد وكان الخليفة يصدق على
هذا الاختيار ، فجميع القضاة الذين ترجم لهم الكندي بعد
عصر معاوية كلهم ولا هم ولاية مصر المتعاقبين .

وقد استمر الأمر على هذا الحال بعد أن انتقلت مصر للنفوذ
العباسي ، فقد ظل الولاة العباسيون يمارسون هذا الحق الى أن
تدخل الخلفاء العباسيون بأنفسهم في اختيار قضاة مصر . فقد
ولى أبو جعفر المنصور القاضي عبد الله بن لهيعة الحضرمي في
مستهل سنة ١٥٥ هـ ، ويتحدث الكندي^١ عن هذه
المناسبة بقوله : « ان وفد مصر كانوا بالعراق فدخلوا على
أبي جعفر المنصور يوما فقال لهم : أعظم الله أجركم في قاضيكم
أبو خزيمية ، ثم التفت الى ربيع فقال : اتخبنا لأهل مصر قاضيا ،
قال عبد الله بن عبد الرحمن بن حديج ماذا أردت بنا يا أمير
المؤمنين ؟ أردت تشهرنا في الأمصار بأن بلدنا ليس فيه من
يصلح لقضائنا حتى تولى علينا من غيرنا » .

ويبدو أن العباسيين في عهد المهدي بدأوا يختارون القضاة
رجالا من أهل الكوفة المترسين بفقهِ أبي حنيفة ، فقد اختار
المهدي اسماعيل بن اليسع الكندي^٢ ، « وهو أول
من ولى مصر بقول أبي حنيفة ، ولم يكن أهل مصر يعرفونه » .
غير أن الولاة العباسيين عادوا الى ممارستهم حقهم في اختيار

(١) الكندي القضاة ص ٣٦٨

(٢) الكندي القضاة ص ٤٧١

الولاية فالمطلب بن عبد الله والى مصر سنة ١٩٨ هـ ، ولى القضاء
الفضل بن غانم الخزاعي ، ثم عاد الخلفاء الى تولية القضاة
بأنفسهم مرة أخرى ، فقد ولى هارون بن عبد الله القضاء من
قبل المأمون وقدم مصر يوم الأحد لأربع عشرة خلت من شهر
رمضان سنة ٢١٧ هـ ، حتى الفترة التى توقف عندها أبو عمر
الكندى .

وإذا أردنا أن نتحدث عن علاقة القاضى بالوالى فإنها قامت
على أساس التبعية دون شك ما دام الوالى قد وكل اليه الأمر فى
الاختيار ، ولم تكن التبعية قاصرة على مجرد التعيين بل امتدت
الى نواح أخرى . فقد كان الوالى هو الكفيل بتنفيذ أحكام
القضاة وكان فى بعض الأحيان يتدخل فى بعض الأحكام فلا
ينفذها أو يعطلها ، ومن أمثلة ذلك التدخل ما رواه الكندى ^١
من أن رجلاً من الجنود قذف رجلاً فخاصمه الى
القاضى خير بن نعيم وثبت عليه شاهداً واحداً وأمر بحبس
الجندى الى أن يثبت الرجل شاهداً آخر ، فأرسل الوالى أبو
عون فأخرج الجندى من الحبس فاعتزل خير وجلس فى بيته ،
وترك الحكم فأرسل اليه أبو عون فقال : لا حتى ترد الجندى
الى مكانه . وثمة صورة أخرى من تدخل الولاية يرويها الكندى
عند حديثه عن القاضى أبى خزيمه بن يزيد الرعينى وتدخل يزيد
ابن حاتم فى أعماله ^٢ . وكان ولاية مصر يحضرون القضاة

(١) الكندى : القضاة ص ٣٥٦

(٢) الكندى . القضاة ص ٣٦٧

الى مجالسهم كما يحضرون الفقهاء ، ولم يكن القضاة يستطيعون الامتناع عن ذلك الا عندما يكونون قد تولوا باختيار الخلفاء المباشر فيكتسبون الاستقلال في الرأي ، ولا يستطيع الولاية أن يتدخلوا في شأنهم فقد رفض القاضي محمد ابن مسروق الذي ولى من قبل هارون سنة ١٧٧ هـ حضور مجلس الوالى .

ونستطيع من خلال روايات الكندى أن نعطي صورة للحياة الخاصة لهؤلاء القضاة ، فهناك اشارات الى الرواتب التي كانوا يتقاضونها ومنها يتبين أن الأمويين بالغوا في رواتب القضاة وأجزلوا لهم العطاء فقد كان القاضي عبد الرحمن بن حجية^١ رزقه في السنة من القضاء مائتي دينار ومن القصص مائتي دينار ، ومن بيت المال مائتي دينار ، وعطاؤه مائتي دينار ، وجائزته مائتي دينار ، وبلغ مجموع رواتبه في السنة ألف دينار . وكانوا يتلقون الهبات اما من الخلفاء أو كبار رجال الدولة فقد كان الحجاج بن يوسف يبعث في كل سنة الى مالك ابن شراجيل بحلة وثلاثة آلاف درهم^٢ .

وقد أورد الكندى^٣ نصا هاما عبارة عن براءة صرف الرواتب لأحد القضاة « قال أهل أبي سالم الجيشاني أنهم من

(١) الكندى : القضاة ص ٣١٤

(٢) الكندى : القضاة ص ٣٢٠

(٣) الكندى : القضاة ص ٣٥٤

معاقر ، وفيما وجدت في ديوان بنى أمية براءة زمن مروان بن محمد فيها :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، عن عيسى بن عطاء الى خزان بيت المال فأعطوا عبد الرحمن بن سالم القاضي رزقه لشهر ربيع الأول وربيع الآخر سنة احدى وثلاثين ومائة عشرين ديناراً واكتبوا بذلك البراءة ، وكتب يوم الأربعاء لليلة خلت من ربيع الأول سنة ١٣١ هـ) .

ويبدو أن رواتب القضاة في العصر العباسي قد تضاعفت بعض الشيء ، فقد كان رزق القاضي عبد الله بن لهيعة الذي ولي القضاء سنة ١٥٥ هـ في عهد أبي جعفر المنصور ثلاثين ديناراً كل شهر ، وبلغ مجموع رواتبه في السنة ٣٦٠ ديناراً ١ ، ويبدو أن هذا تقليد استمر بعد المنصور .
فها هو الخليفة يجرى على القاضي المفضل بن فضالة القتبالي نفس هذه الرواتب الى أن كانت ولاية عبد الله بن طاهر ، فازدادت رواتب القضاة زيادة كبيرة حقاً ٢ . فقد أجرى على القاضي عيسى بن المنكدر سنة ٢١٢ هـ سبعة دنانير كل يوم . ويبدو أن هذا التقليد استمر من بعده . فالكندي يقول : « فجرت في القضاء الى اليوم » ، ولم يكن القضاء يمنعون عن أن يمارسوا حرفاً أخرى اما التماساً لمزيد من كسب أو حرصاً

(١) الكندي : القضاة من ٤٦٨

(٢) الكندي : القضاة من ٤٦٥

على مباشرة العمل اليدوى التماسا للشواب . فكان القاضى خير بن نعيم يتجر بالزيت ليطعم عياله ، ومعنى هذا أن الرواتب التى أشرنا اليها لم تكن كافية مثلا ليعيش القاضى بالمستوى الذى يريد . وروى الكندى ^١ أن القاضى أبا خزيمه إبراهيم بن يزيد الرعينى الذى ولى القضاء فى شهر رمضان سنة ١٤٤ هـ يعمل الأرسان وكان يعمل كل يوم رسنين ، واحد ينفق ثمنه على نفسه ، وآخر يبعث بثمنه الى اخوان له بالاسكندرية . كما اشتغل بعض القضاة مثل الفضل بن فضالة بجبر العظام . قال الكندى ^٢ ، « كان الفضل رجل صدق وكان يجبر اذا جاءه الرجل قد انكسرت يده جبرها » .

وكان بعض القضاة فعلا يحبون حياة النسك والعبادة والتقشف وكان بعضهم يمتنع عن تولى القضاء . فقد كتب الخليفة عمر بن الخطاب الى عمرو « أن يجعل كعب بن ضنة على القضاء ، فأبى كعب أن يقبل القضاء . وكان بعضهم مقلا فى طعامه لا يأكل منه الا أقله » . قال ابراهيم بن شميظ أتيت عبد الله بن عبد الرحمن بن حجيرة الأصغر وقد تغذى فقال : «أتغذى ؟ فلت نعم . قال : أعيدى عليه الغذاء يا جارية ، فأنت بعدس بارد على طبق خوص وكعك وماء فقال : ابلل وكل فلم تتركنا الحقوق نشبع من الخبز » . وبعضهم الآخر كان ينطلق

(١) الكندى : القضاء ص ٤٦٩

(٢) الكندى : القضاء ص ٤٨٧

في حياته الخاصة معطيا لنفسه أطيب الحياة ما دام لا يآثم ولا يجور . فالقاضي عبد الرحمن بن عبد الله العمري الذي تولى القضاء سنة ١٨٥ هـ « كان يشدو بأطراف الغناء على مغاني أهل المدينة ويبرز كثيراً في مجالسه ولا يتحاشى أن يقول هذا غنى به ابن سريج وهذا به الدلال وهذا من جيد الفريض . ولم يكن بمصر مَسْمِعةً الا ركب اليها يسمع غناءها وربما يقوم ما انكسر عن غنائها ، ويرى ذلك من الدين » . وكان هذا القاضي غاية في التألق في حياته الخاصة « أتيت العمري بعد قيامه من مجلس حكمه فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت وهو مضطجع وقد ترجل وصفر يديه وكحل عينيه واتشح بazar معصفر وأدهن بمالاب وهو يضرب بأصابع يديه بعضه على بعض » .

ويبدو أن القضاة ابتداء من العصر العباسي بدأوا يعنون باتخاذ زي خاص بهم يرتدونه في مجالسهم العامة أو عند ذهابهم للقاء أمير أو خليفة ، فكان المفضل بن فضالة القتباني^١ يتخذ عمامة سوداء على قلنسية طويلة أو يلبسون كساء أسود من صوف .

ونكاد نلمح مما ذكره الكندي أسلوباً خاصاً اتخذته القضاة في مباشرة سلطاتهم والنظر في قضايا الناس . فقد كان القاضي يعقد مجالس القضاء في المسجد الجامع عادة . وكان بعضهم

(١) الكندي : القضاة ص ٣٧٧

يعقد مجلسه في الشتاء في مقدمة المسجد مستديراً القبلة ، وأسند ظهره بجدار المسجد ويمنع المصلين من أن يقتربوا منه ، ويقوم الكتاب بالمباعدة بينه وبين الخصوم . وإذا كان الصيف اتخذ مجلسه في صحن الجامع وأسند ظهره للحائط الغربي ، وإن كان هذا لم يمنع بعضهم من أن يقف في الطريق ليقضى بين الناس ، كما فعل القاضي غوث بن سليمان ^١ « حينما قدمت امرأة من الريف ، وغوث قاض في محفة فوافقت غوثاً عند السراجين رأتها إلى المسجد فشكت إليه أمرها وأخبرته بحاجتها فنزل عن دابته في حوانيت السراجين ولم يبلغ المسجد وكتب لها بحاجتها وركب إلى المسجد » . وإذا جلس القاضي في مجلس القضاء ينادى من له حاجة بخصومة ، ويتقدم له أصحاب القضايا ، وكثيراً ما يتقدم الشاكي بقضية مكتوبة ليرفعها إلى القاضي ، أما إذا كان المتقاضين من أهل الذمة فقد كان القاضي يفصل في قضاياهم على باب المسجد ، وبعضهم كانوا يجعلون لهذه القضايا يوماً في منازلهم .

وأول من أدخل المتخاصمين من أهل الذمة إلى المسجد الجامع القاضي محمد بن مسروق ، وظل القضاة حتى سنة ١٧٧ هـ يحضرون إلى المسجد الجامع وكاتبهم يحمل القضايا في منديل إلى أن كان القاضي محمد بن مسروق فكان أول من عمل له القمطر بمصر ، فكان يودعها أوراقه ثم يختمها فإذا جلس

(١) الكندي : القضاة ص ٣٧٤

للقضاء مرة أخرى أحضرها وقام بنفسها بنفسه . وقد اتخذ
القضاة خزانة خاصة أودعوها المسجد الجامع يودعون فيها أموال
اليتامى وأموال من لا وارث لهم ، وكانت تسمى بالتابوت^١ .
وكان القاضى العمرى أول من عمل تابوت القضاة الذى كان
فى بيت المال وأنفق عليه أربعة دنانير .

وبنمو سلطات القضاة وتنوع اختصاصاتهم وتعدد قضاياهم
نما أعوان القاضى عدداً ووضحوا تخصصاً ، فقد بدأ القضاة
يختارون كتاباً يعاونونهم فى انجاز أعمالهم فينظمون جلسات
القضاء ويدونون الأحكام ويكتبونها ، وقد ينوبون عن القضاة
إذا مرضوا . ويبدو أن يحيى بن ميمون الحضرمى الذى ولى
القضاء قد اتخذ كاتباً له يدعى مغيث . ثم تطلبت أعمال القضاة
استحداث وظيفة أخرى . فقد كان القضاء يعتمد فى المحل الأول
على شهود الصدق وقد يكثر الشهود ويتعددون ، وقد يضطر
القاضى الى أن يتأكد من حسن أخلاقهم وصدق إيمانهم وهو
لا يستطيع بمفرده أن يفعل ذلك ، ومن ثم نشأت وظيفة صاحب
المسائل الذى يستدعى الشهود ويسأل عنهم ويتحرى عن
سلوكهم . وكان المفضل بن فضالة الذى تولى القضاء سنة
١٧٤ هـ أول من اتخذ صاحب مسائل^١ ، واضطر بعض
القضاة بمعاونة صاحب المسائل هذا أن يخصصوا أقواماً

(١) الكندى : القضاة ص ٤٠٥

لإداء الشهادة . وقد اختار المفضل بن فضالة عشرة رجال لإداء الشهادة ، ولما نمت القضايا وتعدد الشهود اضطر محمد بن مسروق بمعونة صاحب مسائله أن يدون أسماء الشهود في كتاب مستقل قال الكندي ١ : « .. دون الشهود وأسقط سائر الناس وفعلت ذلك القضاة من بعده حتى اليوم » . ثم اضطر القضاة الى أن يستخدموا أكثر من شخص يتولون مسائلهم ، فلما ولي العمري جعل أشهب بن عبد العزيز ويحيى ابن عبد الله بن حرملة ، ويحيى بن عبد الله بن كثير على مسائله « وأمرهم بإقامة من عرف منه ستر وفضل » حتى كان العمري هذا أكثر القضاة شهوداً ، وقد اتخذ من أهل المدينة من موالى قريش والأنصار وغيرهم نحو مائة من الشهود .

ومبالغة في الدقة والتثبت من عدالة الشهود أمر القاضي أبا الأسود البصري صاحب مسائله أن يجدد السؤال عن الشهود والموسومين بالشهادة في كل ستة أشهر على أن يستبعد منهم من سبق تجريحه أو الطعن فيه . بل عمد بعض القضاة مبالاة منهم في تحري الدقة في موضوع الشهود والشهادة مثل القاضي عيسى ابن المنكدر الى أن جعل صاحب المسائل يسير متكرراً بالليل يغطي رأسه ويمشي في السكك يسأل عن الشهود ، « وقد رآه غير واحد من الثقات وتحدثوا بذلك عنه » ، وعندما نشأت مشكلة خلق القرآن زمن المأمون كان القاضي يسأل الشهود

(١) الكندي : القضاة ص ٣٩٤

عن القرآن فاذا أقر أنه مخلوق قبل الشهادة ، وان رفض القوا ،
بذلك استبعد من الشهادة .

ويلقى الكندي أضواء طريفة على اختصاص القضاة وتطور
هذه الاختصاصات وتنوعها منذ الفتح العربي حتى منتصف
القرن الثالث الهجري ، فلم يكن القضاة يختصون بالفصل في
القضايا فحسب ، انما كانت توكل اليهم أمور أخرى ، فقد كانوا
مثلا يجمعون بين القضاء والقصاص ، فالقاضي سليم بن عتر
الذي تولى القضاء زمن معاوية كان قاضي الجند زمن عمرو بن
العاص وكان قد اشتغل بالقصاص أيضا سنة ٣٩ هـ ، وكان
عبد الرحمن بن حجية أيضا يجمع بين القضاء والقصاص ،
وخير بن نعيم الحضرمي من قبل حنظلة بن صفوان الكلبي في
شهر ربيع الآخر سنة ١٢٠ هـ ، جمع بين القضاء والقصاص .
وعهد الى القاضي في العصر الأموي بواجبات أخرى فقد وكل
إليه النظر في الجراح وفرض الدية أو القصاص ، قال الكندي :
« كتب معاوية بن أبي سفيان الى القاضي سليم بن عتر يأمره
بالنظر في الجراح وأن يرفع ذلك الى صاحب « الديوان » ،
وكان سليم أول قاض نظر في الجراح وحكم بها ، وكان الرجل
إذا أصيب وجرح أتى القاضي وأحضر بينة على الذي جرحه
فيكتب القاضي بذلك الجرح قصة على عاقله الجراح ويرفعها
الى صاحب الديوان فاذا حضر العطاء اقتص من أعطيات عشيرة
الجراح ما وجب للمجروح وينجم ذلك في ثلاث سنين ١ .

(١) الكندي : القضاة ص ٢٠٩

وفي بعض الأحيان كان يعهد الى بعض القضاة بتولى بيت المال والنظر فيه . وفي العصر الأموي أيضا أعطى القضاء اختصاصا جديداً وهو تدوين الجند في الديوان وتقدير العطاء المستحق لهم ، فكان القاضي عابس بن سعيد الذي تولى القضاء زمن مروان بن الحكم يفرض العطاء أو يزيد منه . ولما دخل العباسيون مصر بقيادة صالح بن علي العباسي رأوا أن ديوان الجند قد اضطربت أموره في زمن الفتنة ، فعهدوا الى القاضي حوثة بن سهل أن ينظر في الديوان وأن يصلح الخلل الذي طرأ عليه . بل شاعت في العصر الأموي ظاهرة الجمع بين القضاء والشرط فكان عباس بن سعيد أول من جمع له القضاء والشرط ، بل نجد أن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج الذي ولى القضاء سنة ٨٧ هـ يجمع بين القضاء والشرط وخلافة الفسطاط ، كما أضيفت الي بعضهم مهمة النظر في أهراء القمح ، فقد كان عياض بن عبد الله الأزدي عاملاً لأسامة بن زيد على الهري فاتته ولاية القضاء من قبل سليمان بن عبد الملك ، فقال أسامة : لا أعزلك عن الهري للقضاء أنت عليهما جميعاً ، وكان يجري عليه رزقهما . وأصبح من اختصاص القاضي في العصر العباسي رؤية هلال رمضان ، والتحقق من بداية شهر الصوم . وقد حدث ذلك ابتداء من عام ١٥٥ هـ ، وفي عهد القاضي عبد الله بن لهيعة « طلب الناس هلال شهر

رمضان وابن لهيعة على القضاء ، فلم ير وأتى رجلان فزعا أنهما قد رأياه ، فبعث بهما الأمير موسى بن علي بن رباح إلى ابن لهيعة فسأله عن عدالتهما فلم يعرفا واختلف الناس وشكوا ، فلما كان في العام المقبل خرج عبد الله بن لهيعة في نفر من أهل المجلس تعرفوا بالصلاح فطلبوا الهلال فكانوا يطلبونه بالجيزة فهو أول القضاة حضر في طلب الهلال . ثم تعدوا الجسر في زمن هشام بن أبي بكر البكري ، وطلب الهلال في جنان بن أبي حبشى . ثم كانت القضاة على ذلك حتى كان ابن أبي الليث فطلبه في أصل المقطم « ١ .

وفي سنة ١١٨ هـ على وجه التحديد أصبح من اختصاص القضاة النظر في الأعباس ، فقد كانت الأعباس في أيدي أهلها قبل ذلك وفي أيدي أوصيائهم ، فلما تولى القضاء ثوبة بن محمد الحضرمي قال : « ما أرى مرجع هذه الصدقات إلا إلى الفقراء والمساكين فأرى أن أضع يدي عليها حفظا لها من التواء والتوارث فلم يمت ثوبة حتى صار الأعباس ديوانا عظيما وذلك في سنة ١١٨ » . وكان القاضى أبو الطاهر عبد الملك بن محمد الحزمى الذى ولى القضاء سنة ١٧٠ هـ يتفقد الأعباس بنفسه ثلاثة أيام كل شهر ، يأمر بمرمتها واصلاحها وكنس ترابها ومعه طائفة من عمال عليها ، فان رأى خلا في شىء منها ضرب المتولى عشر جلدات ، وكان القاضى العمري من أشد الناس لعمارة

(١) الكندى : القضاة ص ٣٧٠

الأحباس ، كان يقف عليها بنفسه ويجلس مع البنسائين كل
نهاره . ومما ينسب الى القاضي لهيعة بن عيسى (١٩٩ هـ)
أنه قضى في أحباس مصر كلها ، فلم يبق منها حبسا حتى حكم
فيه ، اما بنية تثبت عنده واما باقرار أهل الحبس .

ثم عهد الى القضاة أيضا النظر في أموال اليتامى وقد حدث
ذلك في عهد عبد الرحمن بن معاوية بن حديج القاضي سنة ٨٧ هـ
اذ كان أول من نظر في أموال اليتامى وضمن عريف كل قبيلة
أموال اليتامى فيها ودون ذلك في سجل احتفظ به فأصبح ذلك
تقليدا سار عليه القضاة من بعده . واهتمت الدولة العباسية
بأموال اليتامى اهتماما أكبر ، وبدأت تكسب هذا الموضوع
طابعا رسميا فأمر أبو جعفر المنصور بادخال أموال اليتامى بيت
المال ، وكان ذلك في عهد القاضي خير بن نعيم : « فأوردها
خير بن نعيم بيت المال وسجل في كل مال منها سجلا بما يدخل
منها وما يخرج »^١ . وأضيفت إليها أموال الغيب في
عهد الرشيد ، كما أضيف الى القضاة التصرف في أموال
السييل . قال الكندي : « كانت مواخير مصر يعمرها
أهل الديوان وطائفة من المطوعة ، وكانت أحباس السييل التي
يتولاها القضاة تجمع في كل سنة فاذا كان شهر أيب من شهور
القبط بعث القاضي لما اجتمع من أموال السييل ففرقت في
مواخير مصر من العرش الى لوية . فلما هاجت الفتنة أيام خلع

(١) الكندي : القضاة ص ٢٥٥

محمد الأمين تشاغل السلطان عن عطاء أهل الديوان وتعطلت المواجيز وانقطع عنها المطوعة ، فلما ولي لهيعة بن عيسى الحضرمي سنة ١٩٦ هـ جمع أموال السبيل التي من الأعباس ففرض منها فروضا من أهل مصر وجعل فيها المطوعة الذين كانوا يعمرؤن المواجيز وأجرى عليهم العطاء من الأعباس فكان ذلك أول ما فرضت فروض القضاة فصارت سنة بعد لهيعة « ١ .

ثم وضع للقضاة اختصاص غريب لم يكن لهم من قبل ففي سنة ١٩٥ هـ أصبح من واجب القاضى التحقق من الأنساب وإثباتها فقد كان بعض العرب يتحرشون بأهل الحرس من المسلمين الجدد ويؤذولهم ويظعنون في أنسابهم فأرادوا أن يسجل لهم سجل باثبات أنسابهم . وقد رفض القاضى العمري أن يفعل ذلك أول الأمر الى أن ورد اليه كتاب محمد الأمين بتسجيل أنساب هؤلاء الناس ، فدعاهم العمري الى اقامة البينة عنده على أنسابهم فأتوا بأهل الحرف الشرقى وأهل الشرقية وقدموا جماعة من بادية الشام فشهدوا أنهم عرب فسجل لهم العمري وثبتت أنسابهم الى حوتكة . وقد شاعت في ذلك الوقت ظاهرة تزيف سجلات الأنساب والتزوير فيها ، قال الكندى ٢ : « أقر عندي عبد الكريم القراطيسى ، وكان يضع على الخطوط نظيرها ، أنه وضع قضية زورها على لسانه الفضل بإثبات أنساب أهل الحرس الى حوتكة وأنه أخذ في

(١) الكندى : القضاة ص ٤١٨

(٢) الكندى : القضاة ص ٣٩٨

وضعها من أبي كنانة وأبي حكيم ألف دينار وأن المتولى ديوان
الفضل دفع إليه ألف دينار حتى جعلها في الديوان .
وأضيف إلى القضاء كذلك النظر في قضايا أهل الذمة ، وكان
القاضي خير بن نعيم يقضى في المجلس بين المسلمين ، ثم يجلس
على باب المسجد بعد العصر فيقضى بين النصارى . وكان محمد
ابن مسروق أول من أدخل أهل الذمة إلى المسجد للفصل في
قضاياهم ، وقد تجمعت سلطات القضاء كلها في القاضي الحارث
ابن مسكين (٢٣٧-٢٤٥ هـ) « أمر باخراج أصحاب أبي حنيفة
من المسجد وأصحاب الشافعي وأمر بنزع حصرهم ، ومنع عامة
المؤذنين من الأذان ومنع قريشا والأنصار أن يدفع إليهم من
فققة رمضان شيء ، وأمر بعمارة المسجد الجامع وحفر خليج
الاسكندرية ونهى عن تقبيل المصايد فأصبحت للناس ومنع من
النداء على الجنائز ومنع القراء الذين يقرأون القرآن بالألحان
وكشف أمر المصاحف التي بالمسجد الجامع وولى عليها أمينا
من قبله وترك تلقى الولاية والسلام عليهم وضرب الحد في سب
عائشة أم المؤمنين »^١ .

ويعطينا الكندي معلومات طريفة عن كيفية وضع الأحكام
وصياغتها واصدارها فيذكر أن القاضي سليم بن عتر الذي ولى
القضاء زمن معاوية أول من اتخذ حكما مسجلا مكتوبا . فقد
اختصم إليه في ميراث فقضى بين الورثة ثم اختصموا فعادوا

(١) الكندي : القضاة ص ٤٦٩

إليه مرة أخرى ففضى بينهم وكتب كتاباً بقضائه وأشهد فيه
شيوخ الجند . وكانت هذه الأحكام المكتوبة تؤرخ تاريخاً دقيقاً
وتمهر بامضاء القاضي . يذكر الكندي في معرض كلامه عن
القاضي عابس بن سعيد ما نصه : « رأيت له قضية عند آل قيس
ابن زييد الخولاني تاريخها شهر رمضان سنة ٧٠ هـ » . وقد
أمدنا الكندي أيضاً بمعلومات طريفة عن طريقة اعداد الحكم في
قضية من القضايا فقد كان الكاتب يدون « محضراً » بما يجرى
في مجلس القاضي ثم يرفعه للقاضي للنظر فيه وقد يؤجل القاضي
النظر فيه يوماً أو يومين وهو يراجعه ، ويشير إلى أقوال الفقهاء
ويؤشر على النواحي الهامة فيه فاذا فرغ من ذلك كان على
الكاتب أن ينسخ الحكم ويتولى تسجيله . قال الكندي :
« ما صحبت أحداً من القضاة كإبراهيم بن الجراح
كنت اذا عملت له المحضر وقرأته عليه أقام عنده ما شاء الله أن
يقيم حتى ينظر فيه ويرى رأيه ، فاذا أراد أن يقضى به دفعه
لي لأنثىء منه سجلاً فأجد في ظهره : قال أبو حنيفة كذا ، وفي
سطر : قال ابن أبي ليلى كذا ، وفي سطر آخر : وقال أبو يوسف
كذا ، وقال مالك كذا ، ثم أجد على سطر منها علامة له كالخطة
فأعلم أن اختياره وقع على ذلك القول فأثىء السجل عليه » .

وقد ذكر الكندي نصاً له أهمية تاريخية بالغة فقد نقل نصاً
لحكم صادر في قضية من قضايا العصر وهو متعلق بمسجد

عبد الله بن عمر بن الخطاب . وكان قد ظهرت عليه علامات البلى والقدم فأمر القاضي عبدالرحمن بن عبد الله العمري سنة ١٨٥ هـ ببناء المسجد ورصد له مبلغ ألف دينار تؤخذ من وصية أبي عمر عم محفوظ بن سليمان ، وكان قد توفي في ذلك الوقت ، فتم البناء وجعلت له حوانيت تغل ايرادا ينفق عليه ، وكتب قضية بذلك هذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب أمر به القاضي عبد الرحمن بن عبد الله وهو يومئذ يلي القضاء بين أهل مصر في صفر سنة ١٨٨ هـ بما ثبت عنده في المسجد الذي يقال له مسجد عبد الله الذي بالظاهرة قبليه الطريق الأعظم الى المسجد الجامع ، وبحريه الطريق الذي يسلك الى سوق بربر ، وشرقيه السويقة التي يقال لها سويقة مسجد عبد الله على طريق الموقف ، وغريه الطريق الذي يسلك منه على الجب الذي يقال له جب عبد الله . وحين رفع الى القاضي عبد الرحمن بن عبد الله نقر من جيرة هذا المسجد أن هذا المسجد قد رث وخيف عليه الانكسار خشبه وسقفه واحتاج الى العمارة والمرمة وأنهم قد وجدوا من احتسب في اصلاحه وبنائه وتصيير حوانيت تحته في حقوقه لتكون غلتها في مرمة ما تهدم منه وفي زيتته وحصره وأجر مؤذنيه وشأنه كله ، فسألوا القاضي عبد الرحمن بن عبد الله أن يأذن لهم في ذلك فدعاهم بالبينة على ما ذكروا فأقاموا بينة عدولا عنده وقبل شهادتهم فشهدوا عند القاضي عبد الرحمن بن عبد الله أن هذا المسجد الموصوف في صدر هذا الكتاب خيف على سقفه

من قبل خشبه واحتاج الى العمارة والمرمة في جدره وأن اجنحته التي حوله وما تحت هذا المسجد ليس لأحد فيه حق وأن الذي طلب من عمارته وبنائه واصلاحه وتصيير حوائت تحته في حقوفه ومرمته ما استرم منه وفي زيتته وحصره وأجر مؤذنه وغير ذلك من نوائبه منفعة للمسلمين ممن صلى فيه وأن ذلك ييس بضرر على أحد : وبعث القاضى عبد الرحمن بن عبد الله ثفرا ممن يثق بهم فنظروا الى المسجد الموصوف في هذا الكتاب فرفعوا اليه مثل الذي شهد به الشهود في هذا الكتاب ، فلما ثبت عند القاضى ذلك رأى أن يأذن في عمارة هذا المسجد الذى وصف في هذا الكتاب وبنائه واصلاحه وتصيير الحوائت التى أرادوها تحته في حقوفه لتكون غلتها في مرمته اذا احتاج اليها ولما يعلمه في زيتته وحصره وأجر مؤذنه وغير ذلك من شأنه ويكون فضلا ان فضل سن غلتها في وجوه الخير . ورفع الى القاضى عبد الرحمن بن عبد الله أن هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب قد أصلح وفرغ من بنيانه وحوائيته وأتوا بشهود يقال لهم : عبد الرحمن بن سعيد وعمرو بن اسماعيل بن عمر الأيلى ومحمد بن سليمان بن محمد فشهدوا عند القاضى عبد الرحمن بن عبد الله أن هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب كان يخاف على سقفه من قبل خشبه واحتاج الى العمارة والمرمة في جدره ، وأن كل ما كان تحت هذا المسجد وما فوقه والثلاثة الأجنحة التى كانت حوله ملصقة به أن ذلك كله من حق هذا المسجد وحدوده ليس لأحد فيه حق ولا دعوى

ولا طلبة بوجه من الوجوه وأن المجالس التي كانت حول المسجد خارجة منه كان يؤدي من يجلس فيها الكراء الى من يقوم ببناء هذا المسجد أنها على حالها لم تدخل في المسجد ولا في حوائته : وعدل الشهود عند القاضي عبد الرحمن بن عبد الله فقبل شهادتهم . وسأل القاضي عبد الرحمن بن عبد الله من حضره من جيرة هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب أن يكتب لهم ما يثبت عنده فيه كتباً يضعها عند من يرى ليكون ذلك حجة وقوة وأن يولى القيام بها رجلاً من أهل الثقة : فولى القاضي عبد الرحمن بن عبد الله السكن بن أبي السكن القرشي القيام بأمر هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب واکراء حوائته وأن ينفق من كرائها ما رأى في زيتته وحصره وأجر مؤذنيه وما يحتاج اليه في أمره كله وينفق بقية ان بقيت من كرائه حيث رأى من وجوه الخير وجعله في ذلك أميناً وأمره بتقوى الله وطاعته والعمل في ذلك بحق الله عليه . وأنفذ القاضي عبد الرحمن بن عبد الله أن يكتب هذا الكتاب نسخاً تكون وثيقة في هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب ، فكتب ودفع منها كتاباً الى عبد الله ابن وهب بن مسلم القرشي ، وكتاباً الى حجاج بن سليمان الحميري ، وكتاباً الى ربيعة بن الوليد الحضرمي ، وكتاباً الى شعيب بن الليث بن سعد الفهمي ، وكتاباً الى أبي رجب العلاء ابن عاصم الخولاني ، وكتاباً الى عمرو بن يزيد الفارسي ، وكتاباً الى أبي زرارة الليث بن عاصم القشبي ، وكتاباً الى عبد الصمد ابن سعيد الأنصاري ، وكتاباً الى محمد بن سليمان بن فليح ،

وكتابا الى الأشقر عبد الملك بن سالم ، وكتابا الى السكن بن
أبى السكن المقيم بهذا المسجد ، وكتابا الى محمد بن سليمان بن
محمد بن عبيد ، وكتابا الى ديوان القاضى عبد الرحمن بن
عبد الله . وأشهد القاضى عبد الرحمن بن عبد الله الشهود
المسمين فى هذا الكتاب أنه ثبت عنده ما فى هذا الكتاب وأمر
به وأنفذه على ما سمى وفسر فيه ، وذلك فى صفر سنة
ثمان وثمانين ومائة .

ولم يكن قضاة مصر معزولين عن الأحداث السياسية الهامة
التي كانت تقع فى أيامهم ، فقد كانوا يشتركون فى حملات الجهاد
والغزو فقد اشترك سليم بن عتر فى بعث فى البحر زمن معاوية
والقاضى مالك بن شراحيل الذى ولى القضاء سنة ٨٣ - ٨٤ هـ
عقد له عبد العزيز بن مروان على حملة ابن الزبير ، أما القاضى
غوث بن سليمان الحضرمى الذى ولى القضاء فى ١٥ رمضان
سنة ١٣٥ هـ كان يخرج على الصائفة ، وقد خرج فى غزوه نحو
من خمس مرات .

الفهرس

صفحة

القسم الأول - الكندى المؤرخ

- ١ - كندة قبيلة المؤرخ ٤
- ٢ - (تجيب) عشيرة المؤرخ ٩
- ٣ - الكندى المؤرخ (مولده - نشأته - عصره) ١٧

القسم الثانى

- كتاب الولاة وكتاب القضاة ٧٧
- أولا - الأحداث السياسية مستخلصة من كتاب الولاة :
- ١ - الفتح العربى لمصر ٨١
 - ٢ - عصر الراشدين ٨٢
 - ٣ - الحكم الأموى فى مصر ٨٩
 - ٤ - الدولة العباسية بمصر ٩٠٦
 - ٥ - الدولة الطولونية ١٣٤
 - ٦ - « الاخشيديية ١٥١
- ثانيا - سياسة الخلافة فى حكم مصر ١٥٦
- ثالثا - نظم القضاة فى مصر ١٨٢

أعلام العرب

تصدرها الدار المصرية للتأليف والترجمة

توزيع مكتبة مصر - ٣ شارع كامل صدقي

تظهر تباعاً كل يوم ٧ من كل شهر

ظهر منها :

- ١ - محمد عبده الأستاذ عباس محمود العقاد
- ٢ - المعتمد بن عباد الأستاذ علي أدهم
- ٣ - جابر بن حيان الدكتور زكي نجيب محمود
- ٤ - عبد الرحمن بن خلدون الدكتور علي عبد الواحد والي
- ٥ - ابن نسيمة الدكتور محمد يوسف موسى
- ٦ - معاوية الأستاذ إبراهيم الأبياري
- ٧ - سيد درويشي الدكتور محمود أحمد الحفني
- ٨ - عبد القاهر الجرجاني الدكتور أحمد أحمد بدوي
- ٩ - عبد الله النديم الدكتور علي الخديدي
- ١٠ - عبد الله بن مرون الدكتور فسيح الدين الرئيس
- ١١ - مالك الأستاذ أمين الحولي
- ١٢ - لقلقشتمني الدكتور عبد اللطيف حمزة
- ١٣ - الطبري الدكتور أحمد محمد الحولي
- ١٤ - الظاهر بيبرس الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور
- ١٥ - ابن الفارض الدكتور محمد مصطفى حلمي
- ١٦ - المختار الثقفي الدكتور علي حسني الحريوطي

- ١٧ - الوليد بن عبد الملك . . . الأستاذ أحمد الشرباصي
- ١٨ - الأصمعي . . . الدكتور أحمد كمال زكي
- ١٩ - زكريا أحمد . . . الأستاذ صبري أبو الجعد
- ٢٠ - قاسم أمين . . . الدكتور ماهر حسن فهمي
- ٢١ - شكيب أرسلان . . . الدكتورة سيدة اسماعيل الكاشف
- ٢٢ - ابن قتيبة . . . الدكتور عبد الحميد سند الجندى
- ٢٣ - أبو هريرة . . . الأستاذ محمد حجاج الخطيب
- ٢٤ - عبد العزيز البشري . . . الدكتور جمال الدين الرمادى
- ٢٥ - الحسناء . . . الدكتور محمد جابر عبد العال الهينى
- ٢٦ - الصاحب بن عباد . . . الدكتور بدوى طبانة
- ٢٨ - الناصر محمد بن قلاوون . . . الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق
- ٢٩ - أحمد زكي . . . الأستاذ أنور الجندى
- ٣٠ - حسان بن ثابت . . . الدكتور سيد حنفى حسنين
- ٣١ - الثعلبي بن حارثة الشيباني . . . العقيد محمد فرج
- ٣٢ - مظفر الدين كوكبوري . . . الأستاذ عبد القادر أحمد طليحات
- ٣٣ - رشيد رضا الامام الجاهد . . . الدكتور ابراهيم أحمد المدوى
- ٣٤ - اسحاق الوصلى . . . الدكتور محمود أحمد الخفنى
- ٣٥ - ابر حيان التوحيدى . . . الدكتور زكريا ابراهيم
- ٣٦ - ابن المعتز العباسى . . . الدكتور أحمد كمال زكي
- ٣٧ - الزهاوى . . . الدكتور ماهر حسن فهمي
- ٣٨ - أبو العلاء المعرى . . . الدكتورة عائشة عبد الرحمن
- ٣٩ - أحمد لطفى السيد . . . الدكتور حسين فوزى النجار
- ٤٠ - الجسولى . . . الدكتورة فوفية حسين عمود
- ٤١ - الناصر صلاح الدين . . . الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور
- ٤٢ - عبد الله فكرى . . . الأستاذ محمد عبد القنى حسن
- ٤٣ - عبد الله بن الزبير . . . الدكتور على حسنى الحروبولى
- ٤٤ - عبد العزيز جاويزى . . . الأستاذ أنور الجندى
- ٤٥ - ابن رشيق . . . الأستاذ عبد الرؤوف مخلوف
- ٤٦ - محمد بن عبد الملك الزيات . . . الأستاذ محمود الهجرسى

- ٤٧ - حفنى ناصف . . . الأستاذ محمود غنيم
- ٤٨ - أحمد بن طولون . . . للدكتورة سيدة اسماعيل كاشف
- ٤٩ - محمود حمدي الفلكي . . . للأستاذ أحمد سعيد التمرداش
- ٥٠ - أحمد فارس الشدياق . . . للأستاذ محمد عبد الفنى حسن
- ٥١ - المهدي العباسي . . . للدكتور على حسنى الحريوطي
- ٥٢ - الأشرف قانصوه الفوري . . . الدكتور محمود رزق سليم
- ٥٣ - رفاعة الطهطاوي . . . الدكتور حسين فوزى النجار
- ٥٤ - زرياب : أبو الحسن على بن نافع
(موسيقار الأندلس) . . . الدكتور محمود أحمد الحفنى